

كِتَابُ
طَبَقِ الْمُشْتَخِجِ بِالْمَغْرِبِ

تأليف
الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرعي رحمه الله
المتوفى سنة 670 هـ

الجزء الأول

محققه وقام بطبعه
إبراهيم طلال

كتاب

طَبَقَاتُ الْمَشَاحِجِ بِالْمَغْرِبِ

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني رحمه الله
المنوفى حوالى 670 هـ

الجزء الأول

حققه وقام بطبعه

إبراهيم طلائى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

تقديم الكتاب

أضع بين يديك ايها القارئ الكريم هذا الكتاب القيم،
الذى يكتب له لأول مرة ان يخرج من حيز المخطوطات
وظلمات خزائن الكتب ، بعد ان تحدث الناس عنه كثيرا ،
ونقل منه كتاب السير والتاريخ بالمغرب العربى ، وخاصة
تونس والجزائر ، ولم يكتب له الحظ ان يعتني أحد منهم
بتحقيقه واخراجه .

وما اقدمنى على هذا العمل المضنى وشجعنى عليه
الا ما نحن عليه فى مغربنا هذا من حاجة الى احياء تراثنا
وابراز معالم شخصيتنا التاريخية ، وربط حاضرننا المشرق
بماضيها المجيد ، لنبنى نهضتنا على دعائم من الاصاله
والافتخار معا ، لا نفرط ولا نفرط ، ولعلها تكون منى
مساهمة متواضعة فى دفع مسيرة النهضة واثرائها ، تلك
النهضة الثقافية التى تحيها الجزائر وسائر اقطار المغرب
العربى فى هذه الظروف الحساسة .

وقد اعتمدت فى تحقيق الكتاب ثلاث نسخ خطية رأيت
فيهن الغناء عن غيرهن ، وهن قلائل ، النسخة الاولى نسخة

خزانة شيخى الفاضل ابراهيم ابن ابى بكر القرارى ،
وهى أصح النسخ ، واشدها تحقيقا ، وقد أهمل الناسخ
ذكر تاريخ كتابتها وذكر اسمه ، والنسخة الثانية نسخة
مكتبة الشيخ اطفيش الحاج محمد ، وهى نسخة قديمة
جدا قريبة من عهد المؤلف يذكر كاتبها انه فرغ منها
سنة 758 هجرية ، والنسخة الثالثة نسخة خزانة القاضى
ابو فاره ابراهيم ، ويرجع تاريخها الى القرن الثانى عشر
الهجرى .

وقد حاولت ان اقابل بين النسخ ما استطعت ، واثبت
النص صحيحا بعد تحقيقه ، وربما تكون النسخ متفقة
فى العبارة مع عدم اتضاح المراد ، أو استقامة العبارة ،
عند ذلك اثبت العبارة كما هى مع الاشارة اليها ، وابدأ
ما يبدو لى صوابا .

وخدمة للكتاب وتقريبا له لمتناول القارئ اضفت
عناوين هامشية لمختلف المسائل والمباحث الواردة فى اثنام
الكتاب ، واثبتها على هامش الصفحات ، حتى يسهل
الرجوع اليها ، واستجلاؤها ، كما اضفت للكتاب فهرس
للعناوين والموضوعات الواردة فيه ، وللإعلام والاماكن
المذكورة . وسوف يجد القارئ من حين لآخر تعليقا منى
على ما اراه لا بد منه للإيضاح أو ازالة اللبس .

وبودى لو اخرج الكتاب وعليه دراسة علمية وتحقيقات
تاريخية لتكون فائدته أكمل وأشمل ، ولكن اعتقد ان
هذا العمل سيكون خطوة ثانية بعد تحقيقه وطبعه ، وعسى
أن يجد من ابنائنا الطلبة والرجال المتفرغين للبحث من

ينتدب لذلك ، وحسبى أن أكون قد قمت بأول خطوة
فى الموضوع .

وقد رجوت من الشيخ الفاضل المحقق عبد الرحمن
بكى - وانا فى اثناء تحقيق الكتاب - ان يقدم له بمقدمة
تكون أمس بالموضوع وأنسب للكتاب ، أكتفى بها عن
التعريف بالكتاب وبالمؤلف ، فلبى رغبتى ورحب بها ،
فله بنى كامل الشكر والتقدير ، كما أقدم ثنائى وشكرى
الخالص للاخوان الذين قدموا لى يد المساعدة ولم ييخلوا
بأى جهد ، فساهموا معى فى اخراج الكتاب بما قدموه
من جهود وخدمات ، شكر الله سعيهم وجازاهم خيرا ..

البلدة 20 رمضان المعظم 1394 هـ

الموافق ليوم 7 أكتوبر 1974 م

المحقق : ابراهيم طلاي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

مقدمة

ان دراسة سير الاولين وايامهم الزاهرة التى تزخر بالحيوية والنشاط فى مختلف الميادين من علمية وسياسية واجتماعية وعمرانية لما ينير سبيل الحياة امام المتأخرين، فان فيما يتخللها من ايام عصيبة وفى محاولاتهم الجريئة المتكررة لحل ازمتهما والتخلص من ورطتها لدروسا وعبرا لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

ولقد كان للأسلاف رحمهم الله تاريخ مجيد حافل بالكمال والاعمال البناءة ، جم المشاكل وما يستتبعها من الحلول المبنية على افكار صحيحة ونظريات سديدة ، من العبادة بالمتأخرين ان يتجاهلوها أو يغفلوا عن الاستفادة من عبرها ، على ان تاريخهم لم يصل اليها سالما كاملا ؛ فان عدم الاستقرار من جراء تحكم النزعات واستحكام المنازعات وبغى الانسان على اخيه الانسان قد شتته هنا وهناك ، فقام على المتأخرين ثمنه باهضا وخسارته فادحة ، اللهم الا اذا شمروا عن ساعد الجد لاستخراج كنوزه

الدينية ليستفيدوا منها في حياتهم الحاضرة ، فكم للاسلام في تاريخه من مآثر ومفاخر ؟ وكم انجب من عباقرة كان لعرائس افكارهم جمال رائع لو اتيح لها خطاب ؛ فان ما اغفلته الايام فوصل الينا يشير ويرشد الى هذا الارث العظيم .

هذا واذا استعدنا عزتنا المفتصة وردت الينا دولتنا السليبة وأصبحنا مطالبين بما يدعم كيانها ويعلى شأنها ، ويمكنها من استجلاء ثرواتها واستغلالها وأكثب الصيد ابناء الجزائر فلم لا يرومونه ؟ وليعملوا جادين ، فجري المذكيات غلاب .

ومن ذلك ما كان لرجال الاباضية في القرون الاولى للهجرة من صيت ذائع وحياة روحية رائعة في مختلف نواحي المغرب الاوسط (الجزائر) وما جاوره .

كان مجتمعهم في المغرب مجتمعا اسلاميا في عقيدته وأخلاقه وسمته ، غنيا برجاله وعلمائه وجيوش طلبته ، بله العامة الذين يخضعون لرؤسائهم ومشائخهم ويستमितون في حمايتهم ، وكانت النواحي الآهلة بهم كالزاب ، واريغ ، وسوف ، وتاجديت ، وبغاي ، وجبال أوراس ، وبادية بنى مصعب ، (ميزاب) تعج بهم عجا . فكانوا الى ذلك على اتصال وثيق باخوانهم اباضية جبل وسلات ، وجبل دمر وقصطالية ، وجربة ، وطرابلس ، وجبل نفوسة . وكان بينهم تجاوب في الاراء العلمية فيقال : قال علماء جبل نفوسة كذا ، وقال علماء قصطالية كذا . وقال علماء بغاي كذا . وقال علماء جربة كذا . وقال علماء بنى مصعب كذا الخ ... وكانت لهم خطة متحدة الاهداف في كفاح الجورة الحاكمين بأمرهم قمعا

للظلم وتفغيصا للقاسطين وصدا لهم عن القضاء عليهم
واصطلامهم ، كما هى سياسة الحكام الشيعة يومئذ
وخلفائهم من الصنهاجيين (انظر وصية المعز لدين الله
معد بن اسماعيل آخر ملوك العبيديين بالمغرب لما انتقل الى
مصر سنة 362 هـ لخليفته يوسف بن زيرى الصنهاجى) .

قال ابن الخطيب : لما ارتحل المعز واحتل قابس لوجهته
يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول سنة 362 هجرية
بلغ يوسف بن زيرى مشيئا اياه آبار الخشب ثم امره
بالرجوع الى افريقيا ، وقال له عند وداعه : (ان نسيت
شيئا مما اوصيك به فلا تنس ثلاثة اشياء : لا ترفع الجباية
عن اهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر) (اراد زناة
ومزاته ، كما صرح بذلك فى رواية أخرى) - ولا تول
احدا من اخوتك وبينك فانهم يرون انهم احق بهذا الامر
منك - وأستوصى بالحضر) .

ومما أوصاه به ايضا انه قال : (تركت لك بافريقيا
مائة ألف منزل فاجعل فى كل منزل فارسا تكتفى بذلك
وتأتى على من حاربك) .

كانوا يعيشون عيشة الروح لا عيشة
الجسد ، لا يحفلون بالقشور ، ولا يميلون الى
الترف والنعيم . بل صرفوا كامل عنايتهم الى الاضطلاع
بدين الله ، الى تصحيح العقيدة ، الى نشر تعاليم الاسلام
بين الجماهير الساذجة وحملهم عليها قولا وعملا . فانساقوا
فى هذه السبيل سبيل الآخرة ايثارا للأجلة على العاجلة .
وساعدتهم على ذلك تحررهم من مهام الملك التى تستنزف
الجهود والافواق وتحملهم على الانغماس فى الحياة المادية
طوعا أو كرها .

انهم وان لم يعرضوا تماما عن الحياة المادية الا انهم
يعيون حياة هزيلة لا تعدو - على عمومها - تربية المواشى
وفلاحة الارض وغراسة النخيل والاشجار لاسيما الزياتين ،
الى شيء من تجارة عمادها المقايضة . واذا قدر لبعض
الاشياخ مثلا ان يكون ذا ثروة فانه يفنيها في كفالة الطلبة
الذين ينقطعون لخدمة العلم واقامة شعائر الدين والوعظ
والارشاد احتسابا وامثالا لما يامر به الدين ويدعو اليه
القرآن الكريم . الامر الذى حفظ للدين تعاليمه . وللعلم
حقائقه . ولحسن السلوك منهاجه . فكثرت جيوش العلماء
وكثر تنقلهم من ناحية الى أخرى تبيثا للاقدام ، واصلاحا
لذات البين ، وتصحيحا للاخطاء ، وقياما بواجب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، على صعوبة المواصلات .
وقلة الوسائل . وخوف السابلة . وبعد المسافات ، ناهيك
انهم كانوا يسافرون فى قوافل من العلماء بتلاميذهم
ومعهم مدرستهم المتنقلة وهى عبارة عن حمولة (I2) بعيرا
من الحصر ينصبونها كلما نزلوا مكانا فسيحا أهلا .
وتتألف هذه المدرسة من أقسام : قسم للصلاة ، وقسم
للشيخ ، وقسم للنساء ، وبيوت للتلاميذ ، كل وما يخصه
الى آخر ما تستلزمه هذه الحركة المباركة . والحق أنهم
اوتوا صبرا عجيبا على مجابهة خشونة العيش ، وترك
حظوظ النفس ، ارضاء لربهم ، واستعدادا لحمل الامانة
التي عرضها الله على السماوات والارض والجبال فابين أن
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ؛ يقصرون أول
حياتهم على التعلم حتى اذا ما نبغوا تصدوا للتعليم . وعقد
الرحلات للدعوة الى الله وتفقد احوال المسلمين ورأب
صدعهم ، وجمع كلمتهم ، وتصنيف الكتب فى مختلف

العلوم . وهنا يجدر بنا ان ننبه على ظاهرة حسنة . بل
مفخرة انفردوا بها فى ذلك الوقت المبكر . ذلك انهم كانوا
أول - أو من أول - من سبق الى التأليف الجماعى كما هو
الشان فى تأليف الموسوعات العلمية فى العصر الحاضر ؛
فتجد اشياخا ياتون من نواحى متعددة فيجتمعون على
تأليف موسوعة فقهية كما فعل مؤلفو ديوان الغار بجزيرة
فى القرن الرابع ، وكما هو شان مؤلفى ديوان العزابة
او الاشياخ فى القرن الخامس ، فقد جاؤوا من نفوسة
وقنطرار ، وتجديث ، وأريغ فالفوا هذا الديوان فى
خمس وعشرين كتابا لا يزال موجودا الى اليوم .

على ان هناك بعض النواحى تمتاز عن سائرهما بتعاطى
التجارة وعقد الرحلات الى البلاد النائية طلبا للرزق
كتجار وارجلان الذين يسافرون الى السودان وبلاد غانة
... قال الادريسى عن مدينة وارجلان (ورقلة) : (هى
مدينة فيها قبائل مياسير ، وتجار اغنياء يتجولون فى بلاد
السودان الى بلاد غانة ونقارة - هقاره - فيخرجون منها
التبر ويضربونه فى بلادهم - عملة مسكوكة - باسم
بلدهم وهم : اباضية وهبية) انتهى .

ولذلك تركت لنا هذه الناحية - سدراته وما حواليتها -
خاصة حضارة رائعة ، دلت المحفريات التى أجزتها الأنسة
(مرغريت فان بير شايم) - الباحثة الاثرية التى انتدبتها
الحكومة الفرنسية للبحث عن الآثار القديمة بقطر الجزائر
على زخرفة ونقوش فى غاية من دقة الصنع مما يدل على
ان الفن المعمارى قد بلغ فى تلك النواحى اوجا بعيدا .
واثبتت فى فصول نشرتها بمجلة المصورة الفرنسية
(الجيريا وافريقيا الشمالية) عدد جويلية - اكتوبر 1953

انها كانت ارقى بكثير من الفن الاندلسى الذى كان مضرب
المثل فى تلك العصور ، واطبقت شهرته الآفاق . وقد
خصص لاثارها فى متحف الاثار الجزائرى قاعة باسم
(قاعة سدراته) .

على ان وضع الاصحاب يأبى عليهم التفرغ للاكتساب
فقد كانوا مقلقين فى اوطانهم ، مخاطرين وخائفين فى
اسفارهم ، عرضة للنهب والسلب والقتل من غوغائهم
ومن جيرانهم . بله امان الجورة فى تجريدهم مما
يملكون . وتشريدهم فى طول البلاد وعرضها ، والتنكيل
بهم ظلما وعدوانا (انظر صحيفة 400 من سير الشماخى
وهجوم عسكر صنهاجة على قلعة درجين واصطلامها سنة
430 هـ) .

وهل تبقى بربك ثروة وسط هذه الزعازع والاعاصير
ادبية كانت اومادية ؟ ولولا الفتن الداخلية والخارجية
والحروب المتوالية التى تسلطت عليهم فأفقرتهم من
الاموال وأخت عليهم كما اخنت على لبد وأتت على ما
هنالك من ثرات علمى - لأبقت تلك القرائح الوقادة
والعقول الراجعة لنا وللمكتبة الاسلامية ما يرفع رأس
الجزائر عاليا بين أمم التاريخ .

وناهيك بتجديث وما بلغت من ازدهار وتآلق انوار ،
فقد قصت علينا السير ما يدهش ويبهز . قال الشماخى :
تاجديت موضع معلوم بقبلة اريغ وليست ببعيدة منه .
اجتمع فيه من أهل الدعوة والعلماء والطلبة وأهل الصلاح
ما لم يوجد فى غيرها ، وعد فيها مائة عالم لا يرد احدهم
مسألة الى الآخر الا من جهة الادب . وفيها مائتان يحفظون
مائتى كتاب ، وثمانون طالبا تؤاما ، وسائر الطلبة كثيرة .

ويحضر الصلاة ثلاث مائة فارس . واذا كبروا تكبيرة الاحرام نفرت المواشى الخ ... ودخل عامل لصلتها فرأى كثرة العزابة وكثرة الحلق وضيق المكان فاعتقد انهم يدنسونه وجه الارض بالخلاء والسماذ فدار فيها وحواليها فلم يظفر بشيء مما تكرهه عينه ، وتعابه نفسه . فقال وقد مديده بسيفه : (ما يخاف الناس الا من هذا او من الله) فهذا - يعنى السيف - ليس هذا موضعه ، وما منعهم من ذلك الا خوف الله .

وبالجمله قل ان يخلو موطن من مواطنهم من علماء عاملين وزهاد مخبتين ، وصالحين ذوى كرامات ساطعة الانوار رغم بغى البغاة من امراء وقبائل ومن فتن داخلية ، ظهرت عقابيلها بعد . فكانت بمثابة جسم قوى يتمتع بحصانة صحية لا تظهر عليه عوارض المرض وان ظلت جراثيمها كامنة فى دماائه ، حتى اذا ما ضعف الجسم ظهرت العوارض من جديد فتغلبت عليه فأوردته مورد العطب . كذلك مجتمعنا هذا ظلت عوامل المحو والابادة تناوشه ، وظل هو بدوره يقاومها بينما قوة مقاومته تضعف شيئاً فشيئاً حتى القى السلاح واستسلم لضربات الدهر القاسية القاضية . وهكذا ينقرض المذهب الاباضى من هذه المواطن العديدة . فبموت علمائهم ومفكرهم فشا الجهل فى ناشئتهم وعامتهم ، وفقدوا من يأخذ بأيديهم الى صراط الله العزيز الحميد ، فعصفت بهم رياح الزيغ وابتلعهم خضم المجتمع فأصبحهم غيرهم بين عشية أو ضحاها الا من رحم ربك .

ونحن اذا استثنينا البقية الباقية بورجلان وجدنا المذهب الاباضى بالمغرب الاوسط ينحصر فى بادية بنى

مصعب (ميزاب) - وان لم يكن ثمت بنجوة مما انتابه فى مواطنه الاولى - ولو ذهبنا نستعرض ما منى به فى ادوار تاريخه من خوف ونهب وسلب وسطو وفوضى وتسلط الاطماع ومن فتن داخلية وقحط ومسغبة وامراض وضيق عيش وغير ذلك من ارزاء الحياة لتعجبنا كيف قدر لمجتمع صغير مثله ان يبقى الى اليوم فى الوجود . ولعله يظل كذلك - ما دام يستمسك بالدين - صامدا صمود الجبال الراسية يهزأ بالانواء والاعاصير . ويضحك فى وجه النوائب والمحن الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ومن يدري ؟ وما ذلك على الله بعزيز .

هذا وبالرغم مما تقدم فقد استطاعوا ان يحققوا الاهداف الآتية :

1 - وقوفهم كالشجا فى حناجر المبيدين المارقين الذين نشروا الزيف والالحاد . وعاثوا فى الارض فسادا : لم تسلم من ظلمهم وأذاهم طائفة من طوائف المسلمين غير الشيعيين . ولولا هذه المقاومة لأتت دولة بنى عبيد على معالم الايمان الصحيح فى مغربنا . ولا حول ولا قوة الا بالله (انظر ان شئت كتاب معالم الايمان للدباغ) .

2 - ابقاؤهم معالم حضارة رائعة فى سدراته ونواحيها كما اسلفنا الكلام على ذلك .

3 - انشاؤهم مجموعة قرى هى مدن ميزاب آخر معقل للاباضية بالجنوب الجزائري . وان ما يمتاز به اهله من الاستقامة بصفة عامة لشاهد صدق على ما كنا نصف به اسلافهم والحمد لله .

وبعد، فبودنا لو تجافينا اثاره الدفين من تاريخنا القديم ونشر بعض ما يتخلله من صفحات قاتمة . لولا قصدنا ان يتمظ بذلك ابناء الجزائر اليوم . ويستفيدوا من اغلاط الماضى عسانا - ونحن على اعتاب تشييد دولتنا من جديد - ان نقيمها على أسس متينة من العدالة والوحدة والتسامح وتجافى عوامل الانهيار واسباب السقوط التى وقع فيها من سبقنا ، والعامل من اتمظ بغيره .

يكفى الجزائر ما عانت من عنت الاستعمار ، وما قاست من ويلاته وبوائقه ، وما أصل فيها من الجهل واسباب التفرقة والعداوة والفساد . فلا ينبغي لنا بحال ان نرتكب فى سلطاننا ما نشكوه من غيرنا . وهذا لا يتحقق الا اذا سادت فى الامة الروح الدينية والحصانة الخلقية ، والا فلن تنفع وحدها الجيوش الجرارة فى قمع الظلم ، ولا كتائب البوليس والجندرية فى حفظ النظام ، ولا محاضرات المرشدين وخطب الائمة من عليام المنابر فى ايقاف تيار الفساد والاخلال بالامن الذى تتوقف عليه سلامة البلاد وراحة العباد .

ان ازدهار الاسلام فى عهوده الذهبية التى استطاع فيها انقاذ العباد من عبادة العباد . وتحرير الشعوب المستعبدة من براثن الاضطهاد والاستبداد . انما كان باقامة الدين والتخلق بخلق القرآن الكريم . وسوس الرعاية بالعدل : لا محسوبية ولا محاباة ولا عصبية ولا مداجاة . بهذا - لا غير - ندعم كياننا ونحافظ على وجودنا ونكسب رضا الخالق والمخلوق ، ونبقى لنا فى سجل التاريخ صفحة ذهبية يتأسى ويمتزى بها من ياتى بعدنا من ابناءنا . فاللهم يسر وأمن .

كتاب الطبقات

لا شك ان نهضة علمية ظلت قرونا متصلة الحلقات تترك ميراثا ادبيا خصباً يغنى المكتبة الاسلامية عن اللجوء الى مصادر غيرها لمعرفة تاريخها ، ولكن هيهات هيهات ان تبقى ثروة مع الفتن ، والفوضى وجور السلطان وغزوات المغيرين . ونحن اذا اقتصرنا على ما وصل الينا من هذا التاريخ - كسير أبى زكرياء يحيى الورجلانى ، وسير أبى عمار عبد الكاف التناوتى ، وسير أبى سهل ابراهيم ، وسير أبى نوح صالح بن ابراهيم ، وسير أبى الربيع سليمان بن عبد السلام الوسيانى ، وسير أبى القاسم البرادى الدمري المعروف بكتاب (الجواهر) ، وسير أبى الربيع سليمان بن يخلف المزاتى - اذا اقتصرنا على ذلك فانه لا يعطينا الا صورة مصغرة لا كاملة لتلك الحياة الخصبية . أما غيرها مما اشارت اليه كتب السير ولم يصل الينا ككتاب : (المغرب فى تاريخ المغرب) للإمام أبى يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلانى الذى شيد بذكره ، وقيل عنه انه فى بعض مكاتب اروبا - فمن ميراثنا الضائع ، فهو : اما مما قضت عليه بوائق الدهر . واما ان يكون مما بقى فى زوايا بعض الخزانات فعثت فيه الارضة فذهب ضحية الاهمال والامتراش ، والامر لله .

ومن بين الكتب الباقية التى نشرت صحائف ناصعة عن رجال الاباضية العاملين بالشمال الافريقى الى حدود القرن السابع للهجرة ، وفصل كثيرا مما اجملناه فى مقدمتنا كتاب الطبقات للشيخ أبى العباس احمد بن سعيد الدرجينى . وكتاب الطبقات من مصادر سير الشماخى الذى يعتبر المرجع الرئيسى فى التعريف برجال الاباضية.

والشيخ أبو العباس أحمد الدرجيني من علماء القرن السابع الهجرى ومن أسرة ماجدة ، أسرة علم وتقوى وكفاح ، كان لها المكان الاسمى فى توجيه الجماهير ومشیخة العلم بنفطه ، وقصر درجین وقصطالية من بلاد الجريد ، فهو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن على بن یخلف المراتى ، خمسة فى نسق علماء نحاریر ، لم یتمخلل سلسلتهم الذهبية جاهل أمى ، وزيادة على ذلك فان أبا العباس شاعر ، وأبوه سعيد شاعر ، وجده سليمان شاعر ، بيد أن صاحب الطبقات كان اشعرهم ، كما صرح له بذلك أبوه سعيد اذ قال له : (انت أشعر منى ، وأنا أشعر من والدى) والجد یغلب علیه الشعر الملحون باللغة البربرية ، وبودنا لو اطلعنا على هذه القصائد اذا لتأتى لنا دراسة انفاص شاعر من شعراء ذلك العصر ، وانت خبير ان الشعر الملحون ترجمان الجماهير الشعبية فى احاسيسها وتعبر صادق عن الروح السائدة بینهم .

اما تاریخ ولادته فهو فى مطلع القرن السابع ، قال الشيخ البرادى فى كتابه « الجواهر المنتقات مما اخل به كتاب الطبقات » نقلا عن أبى العباس الدرجینی نفسه یحدث عن بداية تعلمه اذ یقول : (وذلك انى دخلت حلقة وارجلان - حرسها الله - عام ستة عشر وستمائة فى ربیع الآخر منها فى أول ما وجب علی الصوم ، والبال خال من الهم ، وكنت اعجب ممن ینفرد ولا یجتهد ، وممن یخلو بالمفید کیف لا یتستفید ؟ ...) .

أخذ العلم عن أبى سهل یحیی بن ابراهیم احد علماء وارجلان ، وأیمتها المشاهیر فى القرن السابع ، وكان أبو العباس نسیج وحده ذکیا المعیا ، مقبلا بكلیته على

التحصيل ، عاملا بوصية ابيه الذى وجهه توجيهها صادقا ،
ودفع به دفعا قويا بقصيدته التى حفظه فيها على الجدى فى
طلب العلم ، والاكتراع من مناهله العذبة الصافية ،
نقطف منها الابيات الآتية :

مضت سنة واستقبلت بعدها أخرى
فياليت شعرى ما تجيء به البشرى ؟

ابالعلم فزتم ، أم الى اللهو ملتم ؟
ونحن نعد العام ، والفصل ، والشهرا

ألا انها تحصى عليك لياليا
فما الترك والاهمام للحر بالاحرى

فحاسب أبا العباس نفسك ، جاهدا
وناقش ، ولا تنس الصغيرة والكبرى

ألا فانتهازها يا أحمى فرصة
فمن لك دأبا فى استقامتها دهرا

ومهما استقمت قوم الله سعدا
فلمست بمبعوث هناك الى عمرا

فكن طالبا جزلا ، اديبا ، مهذبا
ولا تخش حسادا ، وان نظروا شزرا

فان تك تلميذا نبيا ، وحاذقا
فشيخك بحر العلم اعظم به بحرا

فما عذر من استاذه فذ عصره
« أبو سهل » الحبر الذى قد علا فخرا

حوى العلم ، والدين القويم وراثه ،
فاصبح فى ذا العصر أطيبهم ذكرا
فقيه تناهى فى العلوم فحسبه
بكل فقيه ماهر فطن أزرى
به « ورقلا » تزهو جمالا وبهجة
به اشرقت نورا ، به ابتسمت فخرا

هذا وقد صرح فى صدر الكتاب انه قسمه الى جزئين ،
جزء التاريخ ، وجزء السيرة ، كما قسم كل قرن - على
غرار أبى عمار عبد الكافى - الى طبقتين ، الخمسين الاولى ،
والخمسین الثانية ، وقد سد بهذا التقسيم ثغرة طالما شكا
منها الباحثون ، هى خلو المراجع الاولى غالبا من تاريخ
الميلاد أو الوفاة ، فانبهم لذلك عصر كثير من رجال التاريخ
على الباحثين ، فكان فى طريقة الدرجینى تخفيف من
مؤونة البحث ، وحصر لعصر كل - وكم للنظام من يد فى
تيسير العسير - ترسم خطى أبى زكرياء يعينى بن أبى
بكر اليراسنى فى سيره ، قدما بقدم ، بيد انه فصل فى
طبقاته ما اجمله أبو زكرياء فى سيره .

على اننا اذا تصفحنا الكتاب لا نجده يقتصر على ذلك ،
بل يسير على نهج علماء السير السابقين ، لا تخلو تراجمهم
من استطرادات مهمة ، ومحاورات علمية ، قيمة ، لا سيما
اذا كانت تتصل بالترجم له مباشرة ، او بسبب قريب
الامر الذى كانت به كتب التراجم مشحونة بالابحاث
العلمية ، وقد يشغل مجموعها احيانا الحيز الاكبر من
الكتاب ، ولذا نجد مصنفنا كثيرا ما يسوق مسألة ثم يكرر
عليها جرحا وتعديلا ، وأخيرا يقرر فيها القول المعتمد .

وهكذا ينتقل بنا من تاريخ الى سيرة الى مسائل شرعية
وبيان احكامها الى غير ذلك مما يجعل الكتاب سائغا ،
مستساغا .

وبالمجمل فكتاب الطبقات يعطينا صورة اجمالية عن
رجال الاباضية الى حدود القرن السابع ، والدارس
للتاريخ الاسلامى فى الغرب الاسلامى لا يمكن أن يستوفى
معلوماته دون الاطلاع على هذا الكتاب القيم ، فلتتبعه أيها
القارئ الكريم بتدبر وامعان تجد الخبر اليقين (ولا
ينبئك مثل خير)

هذا ، وقد شامت همة الاستاذ ابراهيم طلاي - أحد
ابناء الامة النابهين واستاذ الادب بثانوية البليدة - ان
يكشف عن هذا الكنز الدفين ، ويقوم بطبعه وتحقيقه ،
وسوف لا يلبث - نظرا لمقدرة الاستاذ وعنايته المعهودة
- ان يقدمه الينا بحول الله وقوته ، تحفة ثمينة ، ودرة
غالية ، تسر الناظر ، ويتحلى بها جيد العلم ، وفقه الله
وسدد خطاه ، انه ولى التوفيق ، نعم المولى ونعم النصير .

ميزاب ، بكلى عبد الرحمن بن عمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور، خلق الانسان عمله البيان وكل شيء عنده بمقدار سبحانه من جعل له عينين ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، فسميد يسره لليسرى وشقى يسره للعسرى ، هو الذى خلقكم وما تعلمون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، احمده حمد من عرف جلاله وكبرياه وأقدس من دون التشبيه صفته واسماؤه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين الذى ارسله الله رحمة للعالمين ونسخ بشريعة دينه كل شريعة ودين ، وعلى آله واصحابه الاكرمين ، وتابعيهم باحسان الى يوم الدين ، وتابعي التابعين صلى الله عليه وعليهم اجمعين صلاة دائمة الى يوم الدين .

وبعد : فان العلم دليل يقتدى به ، والى طريق الرشاد هاد يهتدى به «انما يخشى الله من عباده العلماء» «والعلماء ورثة الانبياء» وفى الآية والخبر دليل على ان العلم ما صاحبه العمل ، وصادفته الخشية والوجل ، فانه من خشى الله تعالى لما لديه ، ويسمى فيما يقدم بين يديه ، وهل لمن عرى من الخشية فوز بعمل الحسنات ، واستحقاق وراثة تلك الدرجات ؟ وينبغى لمن نزح الى هذا النزح وطلب هذا العمل الارفع ، ان يتعرف مناقب السلف والاخبار ، ويحصل سيرهم الصالحة ليقتدى بحميد تلك الآثار ، فان ذلك مما يقوى الرغبة والاشتياق (I) والحرص على المصير الى تلك المنازل السنية واللاحاق ، ويحض على الطريق الاقوم ، وينهى عن اهواء الهاوين فى هواء الخسران والندم ، فما اقمن من عزف طريق الصلاح ان يتبعه ! وما اقبح من جهة ان يضييعه ! وقد استمرت عادة اصحابنا ان اول ما يمرن عليه المبتدئ اذا وصل ، السكينة والوقار وتعليم سير السلف ، لتكون لهم على اتباعهم معينة ، فاذا اكتسب تلك الحلة قلما بدلها ، ثم بعد ذلك « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » . قاله ينفعهم وينفع بهم فى الدنيا والدين ، ويجعلنا لآثارهم مقتدين ، لا مبدلين ولا مغيرين ، وينقذنا برجمته اجمعين ، وهو ارحم الراحمين .

وقد سأل من وجبت طاعته ولم يسع اهمال امره واساءة طاعته ان اجمع من سير اسلافنا واخبارهم ما تيسر لى جمعه واضع فى ذلك تصنيفا ، واحرز كل خبر بما يليه من

(I) فى نسخة : الاستيناق

كتاب ابى زكرياء يحيى بن ابى بكر رضى الله عنه (١) ، استخلص ذلك وانتقيه فبادرت لاجابة سؤاله ايجابا لعظم حرمة السؤال وان كان ينبغى ان اكون ممن استعفى واستقال فرأيت عصيانه من النكير بل المحذور ، فأخذت فى تهذيب الكتاب المذكور واضيف الى ذلك ما لا بد منه من خطبة وشعر غير مشهور ، على انى معترف بالقصر والفهاهه ، وراغب فى الاغضام من ذوى الفطان والنباهه متيقن ان المام يطيب بطيب موارد ، وان كان اجاجا ، وقد يعود مرا معافا وان كان عذبا ثجاجا ، ولا شك انى قصدت الفن الذى بدأت بذكره لم احفل بميب عائب ، ولا بشكره ، فان ظفرت بموافقة من أجبت سؤاله فقد ظفرت بالمرغوب ، فان قصرت فلا غرو لابطام السكيت (2) عن شأوى المجلى ، والله اسأله . التوفيق والارشاد الى سواء الطريق ، وقد رأيت ان اقدم مقدمة تكون فراشا للكتاب ، تفهم منها الفاظ اصطلاح عليه اصحابنا المتأخرون ، وفيها عند من لا يعرفها اضطراب ، ثم آتى بتسمية مشائخها وذكر طباعتهم خلفا عن سلف ، على ترتيب يتأتى بيانه ، ليتم المقصود ويتألف ، ثم اجرد السيرة وانقلها من الكتاب المذكور ، على حسب ما وقعت فيه ، وما كان فى الفاظه خشونة نقلت معانيه فيكون تفهم ما سئلت سهلا على قارئه .

ذكر الفاظ مما اصطلاح عليها أهل الطريق

وتعارفوه بينهم

فمن ذلك العزابة واحدهم عزابى ، هذه اللفظة عمل من تطلق
لفظة المزابى

(١) يشير الى تاريخ ابى زكرياء يحيى بن ابى بكر الذى لا زال مخطوطا وهو اصل هذا الكتاب

(2) السكيت بصيغة التصغير : آخر الحيل فى الحلبة عكس المجلى

استعملتها لقبا لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير ، وحافظ عليها وعمل بها ، فان حسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا ، وان حافظ على السير والعمل بها فقط سمي به ، وان حصل العلم دون السير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسم بهذا الاسم ، واعلم ان لهذا الصنف سيما انفردوا بها ، واحوالا عرفوا بها ، لا يتفضل عليهم فيها سواهم ، وذلك فى تسميتهم ، وخطابهم ، ومؤاكلتهم ، ولباسهم ، واوقات نومهم ، وقيامهم ، واورادهم وصيامهم ، وعبادتهم ، وعندهم فى ذلك قوانين يعتادونها وحدود لا يتعدونها ، وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه ، فاستعير لمن بعد عن الامور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة ، ولو استقصينا وصف تلك الاحوال لاتسع القول فطال ، وسيأتى ذكر ما امكن من ذلك فى موضعه ان شاء الله ، وأول ما استعمل هذا اللقب فى أيام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر رضى الله عنه ، لما أسس الحلقة ورتب قوانينها .

الحلقة ، اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم فى الدين بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم ، يحصل البعض ، وان أعياه الكل ، « فان فان لم يصبها وابل فطل » ، فكانهم محلزون ولو انهم مفترقون .

التلميذ اسم للواحد المبتدىء عند الدخول فى الطريق سواء كان طالب فنون أو مقتصرأ على الصلاحية فقط ، وأصل هذه اللفظة فارسى .

المخمة : اجتماعهم لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ أو بغير شيخ ، وكأنهم يهتمون به عمل الليل وعمل النهار .

المجتمع والجمع والميعاد ، ألفاظ مترادفة على معنى واحد وهو ان يجمعهم الشيخ على وعظ يفيدهم ، أو لتذكير أمر مهم يكون شوري من اصلاح فساد أو تلافي فوات ، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، فمع الاختيار ان يكون ذلك يوم الاثنين ويوم الخميس ، ويكون في أى وقت دعت اليه الحال ، ليلا أو نهارا ، في أى يوم كان ، أول من رتبته ابو الحر على بن الحصين بمكة (I) .

الهجران والابعاد ألفاظ تترادف على معنى واحد وذلك متى أجرم واحد من أهل الطريق جرما ، أو ظهرت عليه خزية أو أتى بنقيصة فى قول أو عمل أو تضييع ، فانه يهاجره كل أهل الصلاح فلا يكلم ولا يحضر جماعة ولا يؤم ولا يؤاكل ، ولا يجالس ، وكانت خطة حالت بينه وبين أهل الخير ، فان تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة ، وزال عنه شين ذلك الوسم ، وكان بقاؤه فى وحشة الهجران بقدر عظم الجرم وصغره ، وتوبة المجرم واصراره ، فمنهم من يتوب فيرجع فى الحال ، ومنهم من يبقى ساعة أو ساعتين أو يوما أو يومين أو اياما أو اعواما أو عمره ان عظم الجرم وداوم المجرم على الاصرار ، وترك الاستغفار ، أسأل الله ان يقينا شر انفسنا وشر كل ذى شر .

(1) أبو الحر على بن الحصين العنبرى الشافى من أصحاب عبد الله بن يحيى طالب الحق وهما من الشراة ، عاش فى اوائل القرن الثانى للهجرة بجنوب الجزيرة العربية رحمه الله

الظهور : تولية امام عدل يسند اليه الامور .

الكتمان : ملازمة الامر سرا بلا امام .

ولاية الدفاع : ان يدهم أهل الكتمان بداهمة ، فيولوا عليهم من يدفع عنهم العدو .

ذكر طبقات المشائخ وتسمية المشاهير منهم

جيلا بعد جيل

هذا الفصل نقتله مما فعله الشيخ ابو عمار عبد الكافي رضى الله عنه : وذلك انه لما رأى العزابة يسندون أمر دينهم واحدا عن واحد ، اكابر عن اكابر ، وثقة عن ثقة ، رأى من حسن نظره ان يكون ذلك جملة عن جملة ، ولم يتخللها خلل ولا اختلال ، لان ذلك اذا كان واحدا عن واحد دخله الغلط ووقع فيه الطعن ولان اخبار الآحاد ضعيفة عند اصحاب الحديث فرتبها رحمه الله على المبين من سني الهجرة ، والتاريخ الذى بينه وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الخمسين من كل مائة ، وسمى من تيسر ذكره ممن اشتملت عليه كل خمسين سنة من المؤمنين المذكورة .

قائمة

في اسماء المشائخ

فالذين اجتمعت عليهم الخمسون الاولى من المائة الاولى هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفضيلتهم رضى الله عنهم ، واسماؤهم ومزاياهم أشهر من ان نحتاج الى تعدادهم ، فهم نجوم الهدى ومصابيح الدجا ، وانما نعتت على مكانتهم من امهاد الفضل ، تبركا بذكرهم ، ولئلا يكون السكوت عن ذكرهم فى محالهم من التقدم اعراضا ، أو التجوز عن شرفهم غمضا (I) واغماضا . (2)

(I) تساملا . (2) التجاوز عن الشيء وتركه

وممن اشتملت عليهم الخمسون الاخرى من المائة الاولى :
جابر بن زيد الازدي ، وعبد الله بن اباض المدني ،
وعمران بن حطان الشيباني ، وجعفر بن السماك العبدي
وابو بلال مرداس وعروة ابنا ادية ، وهى جدة لهما وهما
ابنا جدير حنظليان فيما ذكره المبرد ، وصحار العبدي ،
وقريب ، وزحاف ، وسالم بن عطية الهلالي ، والخباب بن
كليب ، والاحنف بن قيس ، واياس بن معاوية ، ونظراؤهم
كثيرون .

وممن اشتملت عليه الخمسون الاولى من المائة الثانية :
ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي ، وضمام بن
السائب ، وابو مودود حاجب الطائي ، وابو عبيدة عبد
الله بن القاسم ، وابو نوح صالح بن نوح الدهان ، وعبد
الله بن يحيى الكندي ، وابو حمزة المختار بن عوف الشاري ،
وبلج بن عقبة ، وابرهت ابن عبد الرحمن ، وابو الحر على
ابن الحصين العنبري ، وابو يزيد الخوارزمي ، وابو محمد
المهدي ، وابو روح ومازن ابنا كنانة ، ونظراؤهم كثير .

وممن اشتملت عليه الخمسون الاولى من المائة الثانية
ومن هنا انتشار المذهب بالمغرب ، ولذلك كان رجاله شريطين
وغربيين عربا وبربرا تلامذة ابي عبيدة وغيرهم ، الربيع
ابن حبيب ووائل بن ايوب الحضرمي وابو غسان مغلد بن
المعرد ، وعبد السلام بن عبد القدوس ، ومحبيب بن
الرحيل ، وابو الخطاب المعافري وهو عبد الاعلى بن السمح
وعبد الرحمن بن رستم الفارسي ، وعاصم السدراتي ،
وابو داود القبلي ، واسماعيل بن درار الغداسي ، وعبد
الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم ، وابو حاتم المزوزي
وابو سفيان ، ونظراؤهم كثير .

وممن اشتملت عليهم الخمسون الاولى من المائة الثالثة :
أفلح بن عبد الوهاب ، وابو مرداس ، ومهدى ، وابان بن
وسيم ، ومحمد بن يانس ، وابو مهاصر ، وابو زكرياء
التوكيتي ، وعبد الحميد ، ونظراؤهم كثير .

ممن اشتملت عليه الخمسون الاخيرة من المائة الثالثة :
محمد بن افلح وابنه يوسف وسعد بن ابي يوسف وعمروس
ابن فتح ، وابو منصور الياص ، وابو معروف ، ونظراؤهم
كثير .

وممن اشتملت عليه الخمسون الاولى من المائة الرابعة :
حسنون ابن ايوب ، وابو مسور اليهراسني ، وابو الخطاب
وسيل بن سيتتن (I) الزواغي ، وابو القاسم يزيد بن
مخلد ، وابو خزر يغلي بن زلتاف ، وهي امه وهو ابن
ايوب ، وعبود المراتي ، وجنون بن يمریان ، وسليمان بن
ماطوس ، وسليمان بن زرقون النفوسي ، ومحمد بن مسلم
وابو سهل الفارسي ، ونظراؤهم كثير .

وممن اشتملت عليه الخمسون الاخيرة من المائة الرابعة :
أبو نوح سعيد ابن زنفيل وابو صالح بكر بن القاسم
اليهراسني ، وابو زكرياء فصيل بن ابي مسور ، وابو
عمر النملي ، وابو موسى عيسى بن السميح الزواغي ، وابو
نوح سعيد بن يجلف المدوني ، وابو محمد ويسلان ابن يعقوب
ونظراؤهم كثير .

وممن اشتملت عليه الخمسون الاولى من المائة الخامسة :
ومن هنا ابتداء العزابة ابو عبد الله محمد بن بكر ،

(I) اثبتته صاحب السير باسم وسيل بن ستين ، وكذلك صاحب الاباضية في موكب
التاريخ وهو أصح

وزكرياء ويونس ابنا فضيل بن ابي مسور ، وعبد الله بن مانوج ، وعبد الله بن زورزتين ، وويسلان بن ابي صالح وابو بكر الزواغي ، وورسفلاس ابن مهدي ، وعبد الله ابن الخير ، وورسفلاس بن عبد الله ، وابو مكحول مطكودانس الزنزفي ، وأهل غار « أمجاج » وابو جابر بن سدرمام ، وابو عمران موسى بن زكرياء ، وكباب ابن مصلح وابو يحيى زكرياء بن جرنان ، وعبد الله المدوني ونظراؤهم كثير .

وممن اشتملت عليه الخمسون الاخيرة من المائة الخامسة سليمان بن يخلف ، وابو سليمان داود بن ابي يوسف ، وابو العباس احمد بن محمد بن بكر، وعيسى بن يرشوكسن ويحيى بن ابي بكر ، وزكرياء بن ابي زكرياء ، وماكسن ابن الخير، ومزين بن عبد الله، ومصالة بن يحيى، وسليمان ابن موسى ، وعبد الله ابن سلام ، واسماعيل بن بيدير .

وممن اشتملت عليه الخمسون الاولى من المائة السادسة عبد الرحمن بن معل ، ويحيى بن زكرياء ، وايوب بن اسماعيل، واسماعيل بن المميز، وعبد الله بن محمد. فالى هنا انتهت تسمية من سمينا - ثم قال فهؤلاء ائمتنا في الدين وقاداتنا في الاسلام رحمهم الله .

« قال الشيخ ابو العباس » ، فهذا الترتيب الذي رتبته الشيخ ابو عمار عبد الكافي رضى الله عنه حسن فى المعنى الا انه لم يذكر الطبقة التى فيها شيوخه ومعاصروه الا بعضا من الكل واستغنى فيها عن كثير من العدد ، وفيمن سمي كفاية ، ولولا قصده الاكتفاء بتسمية من سمي لزدت من معاصره عدة مشائخ ، أئمة أهل علم ودين ، واصحاب

تواليف اضراب عثمان بن خليفة السوفى وقرناؤه ولكنى عدلت عن ذلك اذ المقصود تسمية جماعة فالمحصول قد حصل ، ورأيت ان اذكر جماعة الاشياخ الذين أخذوا عن الجماعة التى انتهى اليها ترتيب الشيخ ابى عمار واضمهم الى الخمسين من المائة التى نحن فيها وهم الذين اخذنا نحن عنهم وفى آخر الكتاب اذكر ان شاء الله ما وصل لى وصح عندى من مناقبهم ، وكراماتهم ، فيتقدم ذكر مناقب من تقدمهم فيكون كل واحد فى رتبته ، ويجرى كل سابق فى حليته .

فمن اشتملت عليه الخمسون الاخيرة من المائة السادسة ابو عمار عبد الكافى بن يعقوب التناوتى ، وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتى ، وابنه ابراهيم ، وزكرياء ابن صالح ، وفصيل بن ابى مسعود ، واسحاق بن ابراهيم ومحمد التميمجارى ، وموسى النفوسى ، وابو نوح بن يوسف وابنه يحيى ، ويوسف بن خلفون ، ومحمد بن ابى على السوفى ، وعبد السلام بن عبد الكريم ، والفضل بن ابى سفيان ، واسماعيل بن صالح ، ويوسف بن محمد الوسيانى ، وفى هذه الطبقة ادركتهم يعدون جدى سليمان ابن علي، وجدى يخلف بن يخلف النفوسى، ونظراؤهم كثير.

ومن اشتملت عليه الخمسون الاولى من المائة السابعة مشائخ جيلنا فمنهم من صار الى الله ومنهم الاحياء ، فمن الاموات محمد بن ابى جميل ، وسعد بن معاذ ، وابراهيم ابن اسحاق ، وابو سهل يحيى ، وابو يعقوب بن عبد الله ، وميمون بن معدين ، وقد اشير علي بان انظم والسدي فى سلكهم، ومن الاحياء ، يحيى بن فصيل، وعيسى بن زكرياء

وصالح بن سليمان الزواغى ، ويحيى بن داود السعيدى (١) وبييب بن محمد ، واحمد بن محمد ، وعمر بن يخلف الزواغى ، ومن هذه الطبقة معاصرون من أهل الاجتهاد والزهد والكرامات وليسوا هنالك فى العلوم : عبد الكافى ابن ونمو الريفى ، وابراهيم بن عيسى المديونى ، وسليمان ابن يكنى ونظراء النوعين كثير .

فهؤلاء اشياخنا وقادتنا وائمتنا وساداتنا جعلهم الله اعلاما للهدى وجنبنا باتباعهم سبيل الموبقات والردى وحشرنا اجمعين فى زمرة أوليائه المتقين .

ثم نأخذ فى ذكر ما بسطنا لاجله مقدمة الكتاب ، ونذكر الامم فالامم من اخبار المتقدمين ، ونأتى بعده بمناقب الصالحين ، وربما اندرج ذكر بعض المناقب فى اثناء التاريخ والاخبار ، والله الموفق وبه نعتصم وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ومن هاهنا ابتدائى فى استخراج ما انبه عليه من الكتاب المذكور فأول ذلك ذكر سبب مصير مذهب الاباضية ببلاد المغرب وابتداء أمرهم ونقتله من أرض المشرق واخبار حملة العلم الخمسة النفر .

اول داع مذهب
الاباضية بالمغرب

حدث غير واحد من اصحابنا عن الامام افلح عن ابنه عبد الوهاب عن جده عبد الرحمن بن رستم انه قال : أول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بقرى وان افريقية ، سلامة بن سعيد قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس متعقبين على بعير فسلامة يدعو الى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية ، فسمعنا سلامة يقول وددت ان لو ظهر هذا الامر يعنى مذهب

(١) كذا بالنسخ ولعله بالصاد نسبة الى حميد مصر

الاباضية يوما واحدا من أول النهار الى آخره فلا أسف على الحياة بعده ، فقام عبد الرحمان مجتهدا فى ذلك الامر ، فقال له رجل من أهل الدعوة ان كنت تريد العلم بما كلفت به وعلقت مطلبه بخاطرك ، فدوّنك أرض البصرة ، فان بها رجلا عالما يكنى ؛ ابا عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي ، فانك تجد عنده ما تطلب ، فلذلك توجه عبد الرحمن بن رستم الى البصرة رحمه الله ، وقيل ان أمه هى التى ارشدته الى ذلك وله حديث سأذكره بعد ان شاء الله عند ذكر الخمسة النفر الذين قرأوا على ابي عبيدة واذكر ما صح عندنا من خبرهم فى موضعه من الكتاب .

ذكر فضائل الفرس من العجم

بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه » الآية اشار الى سليمان الفارسى وكان جالسا بين يديه قال : لعلمهم ان يكونوا من رهط هذا ، وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان لله كنزا ليس من ذهب ولا من فضة ، لكنه فى بطون ابناء فارس » ، وذكر ابن داب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه مشى ذات يوم مع المغيرة بن شعبه ، وكان المغيرة اعور ، فقال له عمر رضى الله عنه : هل أبصرت بعينيك هذه قط شيئا يا مغيرة ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين قال له عمر سيعور الاسلام كما عورت ثم ليعمن حتى لا يدرى من له ولا من عليه ، فاذا اتى عليه مائة وستون سنة رد عليه سمعه وبصره ، بوفد كوفد الملوك ، طليبة ارواحهم ، صالحة اعمالهم ، فقال له المغيرة من أى مام يا أمير المؤمنين ؟ امن ماء الحجاز ام من ماء العراق ام من ماء

الشام ؟ فولى عنه عمر وتركه ، فوليت الفرس تاهرت على رأس ستين ومائة . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو تعلق الدين بالثريا لنالته رجال من العجم ، واسعدهم به فارس ، وروى زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا وقصها على اصحابه ، فقال رأيت غنما سوداء خالطتها غنم بيض ، فتأولتها ان العجم يدخلون الاسلام فيشتركونكم فى نسائكم ، واموالكم ، فتمجبوا من ذلك ، فقالوا : العجم يدخلون بلادنا يا رسول الله ! فقال : أي ، والذي نفسى بيده لو ان الدين تعلق بالثريا لنالته رجال من العجم ، واسعدهم به أهل فارس ، ومن طريق آخر ان النبىء صلى الله عليه وسلم قال : لو تعلق العلم بالثريا لنالته الفرس ، وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « ستدعون الى قوم أولى باس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » هم بنو حنيفة وقال بعضهم هم فارس .

قصة سقوط
شرافات الايسوان
وملوك فارس

وذكر ابن قتيبة وعمر بن بحر الجاحظ وغيرهما من اصحاب التاريخ عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما كان ليلة مولد النبىء صلى الله عليه وسلم ، ارتج ايوان كسرى ، فسقطت منه اربع عشرة شرافة فعظم ذلك أهل مملكته فما كان باوشك من ان كتب اليه صاحب اليمن يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب اليه صاحب الشام يخبره ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية يخبره ان ماء تلك الليلة لم يجر فى بحيرة طبرية ، وكتب اليه صاحب فارس يخبره ان بيوت النيران خمدت تلك الليلة ، ولم تخدم قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت الكتب عليه ابرز سريره وظهر لاهل مملكته ، فاخبرهم الخبر ، فقال : الموبدان ايها الملك انى رأيت تلك

الليلة رؤيا هالتنى ، قال له وما رأيت ؟ قال له : رأيت ابلا صمابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا فقال له : لقد رأيت ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال له : ما عندى فيها ولا فى تأويلها شئ ، ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أهل علم بالحدثان فبعث اليه فوجه اليه عبد المسيح بن نفيلة الفسانى ، فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر فقال : ايها الملك والله ما عندى فيها ولا فى تأويلها شئ ، ولكن جهزنى الى خال لى فى الشام ، يقال له سطيح فقال : جهزوه ، فلما قدم على سطيح وجده احتضر فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه فقال عبد المسيح :

اصم ام لم يسمع غطريف اليمن
يا فاضل الحطة اعيت من ومن

اتاك شيخ الحى من آل سنن
ايض فضفاض الرداء والبدن

رسول قيل العجم يهوى للوثن
لا يذهب الوعد ولا ريب الزمن

فرفع اليه سطيح رأسه فقال : عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح ، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان ، رأى ابلا صمابا ، تقود خيلا عرابا ، حتى اقتحمت الوادى ، وانتشرت فى البلاد ! عبد المسيح : اذا ظهرت التلاوة ، وغاض وادى السماوة ، وغارت بحيرة ساوة ، وظهر صاحب الهراوة ، فليس الشام بشام ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات ، وكل ما هو آت آت ، ثم قال :

ان كان ملك بنى ساسان افردهم
فان ذا الدهر اطوار دهاير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته
والهرمزان ، وسابور وسابور
فربما اصبحوا منها بمنزلة
تهاب صولهم الاسد المهاوير
حثو المطى ، وجدوا فى رحالهم
فما يقوم لهم سرج ، ولا كور
والناس اولاد عللات ، فمن علموا
ان قد اقل فمحقور ومهجور
والخير والشر مقرونان فى قرن
فالخير متبوع ، والشر محذور

ثم اتى كسرى فأخبره الخبر فغمه وهاله ثم تعزى ، وقال
الى ان يملك اربعة عشر ملكا يدور الزمان ، فملك منهم
تسعة الى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن
قتيبة فالله أعلم ممن التمام ، وليس الا الخمسة الائمة الذين
ولوا بتاهرت من أرض المغرب ، ولوها نيفا على مائة
 وخمسين فيما ذكر بعض الرواة ، قال ابو العباس احمد
رحمه الله . اما قول الشيخ ان التمام كان بالائمة الخمسة
وانهم منهم فانما اراد فى النسب لا فى غيره ، واراد ان
ولايتهم اذ ولوا صحيحا الا ان ولايتهم على دين الاسلام
ومذهب العدل والقوام .

فضائل البربر من العجم

وعن فضائل البربر من العجم ما بلغنى ان عائشة رضى

الله عنها ، دخل عليها ذات مرة رجل من البربر وهى جالسة ومعهما نفر من المهاجرين والانصار ، فقامت عائشة عن وسادتها فطرحتها للبربرى دونهم ، فانسل القوم واجلين بذلك ، فلما قضى البربرى حاجته وخرج ارسلت اليهم عائشة ، حتى اجتمعوا اليها ، فقالت لهم : ما الذى اوجب خروجكم على تلك الحال ؟ قالوا : لا يشارك علينا وعلى نفسك رجلا كنا نزدريه ، وننتقص قومه ، فقالت انما فعلت ذلك لما قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت أتعرفون فلانا البربرى ؟ قالوا نعم ، قالت كنت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات مرة جالسين ، اذ دخل علينا ذلك البربرى ، مصفر الوجه غائر العينين ، فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما دهاك ؟ أمرض ؟ فارتقتنى بالامس ظاهر الدم ، فجئتنى الساعة كأنما انتشرت من قبر ، فقال ، يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بت فيهم شديد ، فقال ما همك ؟ قال : تردد بصرك في بالامس خفت ان يكون نزل في قرآن ، فقال : لا يحزنك ذلك ، فانما ترديدى البصر فيك لأن جبريل عليه السلام جاءنى ، فقال أوصيك بتقوى الله وبالبربر قلت : وأى البربر ؟ قال قوم هذا ، وأشار اليك ، فنظرت اليك ، فقلت لجبريل ما شأنهم ؟ قال : قوم يحيون دين الله بعد ان كاد يموت ويجددونه بعد اذ يبلى ثم قال جبريل : يا محمد دين الله خلق من خلق الله نشأ بالحجاز واهله بالمدينة ، خلقه ضعيفا ثم ينميه وينشئه ، حتى يعلو ويعظم ، ويثمر كما تثمر الشجرة ، ثم يقع وانما يقع رأسه بالمغرب ، والشئ اذا وقع لم يرفع من وسطه ، ولا من اسفله ، انما يرفع من عند رأسه . وبلغنا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قدم عليه

وفد من البربر
يلفه عمل عمر
ابن الخطاب

وفد من البربر ، من لواتة ارسلهم اليه عمرو بن العاص وهم محلقتو الرؤوس واللحا ، فقال لهم عمر من انتم ؟ قالوا من البربر من لواتة ؟ فقال عمر لجلسائه : هل فيكم من يعرف هذه القبيلة فى شىء من قبائل العرب والعجم ، قالوا : لا ، قال : العباس بن مرداس السلمى عندى منهم علم يا أمير المؤمنين هؤلاء من ولد بنى قيس ، وكان لقيس عدة من الاولاد ، احدهم يسمى بربر بن قيس ، وفى خلقه بعض الرعونة فقال : اخرق ذات مرة فخرج الى البرارى ، فكثر بها نسله وولده ، فكانت العرب تقول تبربروا أى كثروا فنظر اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستحضر ترجمانا يترجم كلامهم ، فقال لهم مالكم محلقتو الرؤوس واللحا ؟ فقالوا شعر نبت فى الكفر ، فاحببنا ان نبداه بشعر ينبت فى الاسلام ، فقال هل لكم مدائن تسكنونها فقالوا : لا ، قال : فهل لكم حصون تتحصنون فيها ؟ قالوا : لا ، فقال : هل لكم اسواق يتبايعون فيها ؟ قالوا : لا ، قال : فبكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له جلساؤه وما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر أبكاني حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم حنين ، حين انهزم المسلمون فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبكى فقال ما يبكيك يا عمر ؟ فقلت أبكاني قلة هذه العصابة من المسلمين ، واجتماع أمم الكفر عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبك يا عمر ، فان الله تعالى سيفتح للاسلام بابا من المغرب يقوم يعز بهم الاسلام ويدل بهم الكفر ، أهل خشية وبصائر يموتون على ما أبصروا ، وليست لهم مدائن يسكنون فيها ولا حصون يتحصنون فيها ، ولا أسواق يتبايعون فيها ، فلذلك بكيت الساعة . حين ذكرت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ذكر من الفضل عليهم فردهم الى عمرو بن العاص وأمره ان يجعلهم فى مقدمات المسكر ، واحسن اليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأكرمهم ، وأمر عمرو بن العاص ان يحسن اليهم ، فكانوا مع عمرو بن العاص حتى قتل عثمان ، فلما كان هذا الخبر فى عصابة من أهل المغرب عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجونا ان يكونوا ائمتنا ومن اقتضى آثارهم ، وان يكونوا أهل تلك الفضيلة .

كانوا يقاتلون
ليقيموا دين الله

وبلغنا ان رجلا من ذرية ابي بكر الصديق رضى الله عنه عن بعض الخلفاء انه قال : يا أهل مكة ويا أهل المدينة أوصيكم بالله وبالبيربر خيرا ، فانهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعد ان تضيعوه ، هم الذين ذكرهم الله فى كتابه بقوله : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين . يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » . لا ينظرون فى حسب امرئ غير طاعة الله ، قال البكرى : فمن حين وقعت الفتنة انما نقاتل نحن العرب على الدينار والدرهم وأما البربر فانهم يقاتلون على دين الله ليعيموه ، قال : وهو يرفع الحديث الى ابن مسعود رضى الله عنه ان آخر حجة حججنا قام خطيبا فقال : يا أهل مكة ويا أهل المدينة أوصيكم بتقوى الله وبالبيربر فانهم سيأتونكم بدين الله من المغرب ، وهم الذين يستبدل الله بكم اذ يقول : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » والذى نفس ابن مسعود بيده لو ادركتهم لكنت لهم أطول من امائهم ، واقرب اليهم من دثارهم ،

وبلغنا عن عائشة رضى الله عنها انها أبصرت صبيها له
ذؤابتان ذا جمال وهيئة فقالت من أى قبيل هذا الصبى
الشقى ؟ قالوا من البربر ، قالت عائشة البربر يقرون
الضيف ويضربون بالسيف ويلجمون الملوك لحام الخيل .

تفضيل البربر
لا يعنى تفضيلهم
عل العرب فهم
فى الدرجة الاولى

قلت وانما قدم الشيخ رحمه الله ذكر الفرس والبربر
تنبيها على فضيلة ائمتنا اذ كانوا من الفرس وفضيلة من
انتهى اليه مذهبنا بالمغرب اذ كانوا جلهم البربر ولم يقصد
بذلك تأخير العرب عن الفضيلة اذ فضيلة العرب افضل
وشرفهم أقدم فمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
واصحابه ، وعلى ألسنتهم أنزل القرآن ، ومنهم كان
اسلافنا من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ،
ولكل خصلة من الفضل بحسب عطاء الله ويسره له ، والله
يؤتى من فضله من يشاء والله واسع عليم .

سوق الحديث الى ذكر النفر الخمسة

الحملة العلم وأخبارهم

أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمع المعافى ، وعبد
الرحمن بن رستم الفارسى ، وعاصم السدراتى ، واسماعيل
ابن درار الغدامسى ، وابو داود القبلى ، وتحدثهم الى ابى
عبيدة رحمه الله وأخبارهم الاول فالاول .

✽ أخبار عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى

الملك الفارسى رحمه الله

كان مولده بالعراق وكان ابوه منجما وكان يرى فى علم
مدخر عندهم ان ذريته ستلى أرض المغرب ، وكان أبوه
رستم متوجها من العراق ومعه عبد الرحمن ابنه وزوجته

ليصل الى أرض المغرب ، فلما كان بمكة أو قريبا منها
ادركته حماته ، وانتقضت ايامه ، فلقي عبد الرحمن
وامه الحجاج من أهل أرض المغرب بمكة فتزوج رجل من
القيروان ام عبد الرحمن ، فأقبل بهما حتى قدموا أرض
القيروان ، ونشأ بها عبد الرحمن .

انتقال عبد الرحمن
ابن رستم الى المشرق
طلباً للمعلم

فلما بلغ مبلغ الرجال وقرأ وتصفح ، نظر اليه رجل
من أهل مذهبنا ، فقال له يا بني ، ان كنت جادا فيما أراك
تطلبه فاقصد أبا عبيدة مسلم بن ابي كريمة ، تجد عنده
ما تطلب . فسار عبد الرحمن بن رستم الى ابي عبيدة
رحمه الله فاجتمع بالنفر الذي ذكرنا ، فقصدا ابا عبيدة
فصافحهم ابو عبيدة وسألهم عن أحوالهم ، ومن أين أقبلوا
فاخبروه انهم أرادوا تعلم العلم ، فاجابهم الى ذلك ، ومكثوا
عنده عدة سنين ، وكان ابو عبيدة رحمه الله مستغيثا
تخوفا من بعض امراء البصرة (I) فادخلهم سرىا وجعل
فيه سلسلة وطفق يعمل القفاف بباب السرب فمتى رأى
شخصا مقبلا حرك السلسلة فسكتوا فاذا انصرف حركها
فيأخذون فى دراستهم ، وكان عبد الرحمن شابا جميلا
حديث السن وكان ابو عبيدة يجعل بينه وبين الناس سترا
لئلا يشغلهم بجماله ، فلما بلغوا من العلم ما شاء الله
وأرادوا الانصراف الى بلادهم رغب عجائز متصلحات من
المذهب الى ابي عبيدة فى ان يريهن عبد الرحمن ليوذعنه
ويزودنه بالدعام ، فقالت احداهن : بارك الله فيك كما
بارك فى عين الشمس ، وقالت الثانية بارك الله فيك كما
بارك فى انسان العين ، وقالت الثالثة : بارك الله فيك
كما بارك فى مطيب الطعام من الملح . فلما عزموا على

يوسون فى سرب
خطية

(I) هو الحجاج بن يوسف امير الامويين على العراق

المسير الى بلادهم كلموا ابا عبيدة وشاوروه فيما يستقبلون من أمورهم ، فقالوا له : يا شيخنا أرأيت ان لو كانت لنا قوة بالمغرب ووجدنا فى انفسنا طاقة أفنولى علينا رجلا منا ؟ فقال لهم ابو عبيدة توجهوا الى بلادكم فان يكن فى أهل دعوتكم من العدد والعدة ما تجب معه التولية عليكم ، فولوا على انفسكم رجلا منكم ، فان ابى فاقتلوه ، وأشار الى ابى الخطاب رحمه الله تعالى .

قالوا فلما أرادوا الخروج من عنده هيا الشيخ المركوب لتوديعهم ، ووضع رجله فى الركاب فسأله اسماعيل عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الاحكام قبل ان يستوى على متن الدابة ، فقال له : ابو عبيدة اتريد ان تكون قاضيا يا ابن درار ؟ قال له : أرأيت ان ابتليت بذلك ! فبماذا تأمرنى يرحمك الله ؟ وقد ذكر انه انما قال له ذلك فى موطن قبل الموطن المذكور . ثم توجهوا الى المغرب فلما وصلوا عرضوا الامامة على عبد الرحمن فاعتذر بامانة كانت عنده للناس فقبلوا عذره وأرادوا تولية ابى الخطاب رحمه الله .

اسماعيل بن دوار
يسال الشيخ
ويستفتيه ورجله
فى الركاب

فلنذكر ولايته وایامه وسيرته .

قال الشيخ أبو العباس رحمه الله انما وضع الشيخ رحمه الله فى هذا الموضع من كتابه ذكر ولايته ابى الخطاب ، ثم ولاية الفرس ، لما اعتمده من ذكر ولاية الفرس وانتشار المذهب وائتمته ونقله الى أرض المغرب فلما كان ذلك هو المهم جعله أولا ، والذى ينبغى ان نقدم نبداً بذكر من استخلف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم امامة عبد الله بن وهب الراسبى رحمه

الله ونبدأ من اخباره ، ثم نأخذ السير على التدرج ، ولعل فعله اصلح والذي رآه انجح ، اذ علم ما عداه قد انتهى حفظ الاكثرين اليه واغنت شهرته عن الدلالة عليه ، فنشرع فى ذكر ولاية من ولى بالمغرب ، ولنبتدىء بذكر ابي الخطاب رحمه الله ، وله التقدم لسبقه اليه ولاستحقاقه اياه ، وسبق فضيلة العرب ثم لا بد ان شاء الله من ذكر ما امكن من اخبار من اشرت اليهم فى موضع يفرد لذلك ان شاء الله تعالى .

امامة ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح

رحمه الله ورضى الله عنه

ذكر بعض اصحابنا انه لما قدم ابو الخطاب واصحابه من المشرق الى طرابلس اهتم بامور الناس ومصالح المسلمين من له فيهم نظر من المشائخ والاعيان ، وافاضل الناس ، واجتمعت جماعة ممن وصفته ، وذلك بعد قتل الحارث وعبد الجبار ، والناس حينئذ فى الكتمان فكانوا يتفاوضون فى عقد الامامة ، وفيمن هو اهل لها ، فاجالوا افكارهم فيمن يولونه امورهم ، ثم اذا اجتمع رأيهم على امضاء ذلك جعلوا يرددون النظر فيما عزموا عليه هل لهم به طاقة ؟ وهل يستطيعون مدافعة عدوهم ام لا ؟ فكانوا يجتمعون فى موضع يقال له « صياد » بخارج مدينة طرابلس ويظهرون انهم يجتمعون فى قضية أرض مشتركة بين قوم ارادوا قسمتها ، وذكر انما اظهروا انهم اجتمعوا فى قضية لرجل وامرأة تخاصما فيها وتفاقم امرهما فكانهم يريدون اصلاحهما ، وكلما انقضى مجلس وانفصلوا دخل منهم جمع الى والى المدينة فسلموا عليه مداراة له ، حتى اذا اتفق

رأيهم على عقد الامامة اجتمعت كلمتهم على مبايعة ابي
الخطاب رحمه الله .

مبايعة ابي الخطاب
بالامامة خارج
طرابلس

وذكر بعض اصحابنا انهم لما اتفقوا على ذلك جعلوا
بينهم موعدا معلوما ليجتمعوا فيه بصياد ، فاتفقوا على ان
يأتى كل واحد منهم بجماعة رجال من عشيرته واتباعه ،
وان يأتوا بالاسلحة ويجعلوا الدروع في الجواليق ويخفونها
بالتبن ، وجعلوا امارة بينهم وبين من فى المدينة من مشائخ
أهل دعوتهم ومن لا يقدر على النهوض معهم انهم اذ رأوهم
دخلوا المدينة بجماعتهم ان يشهروا السلاح ، واخبروهم
سرا ان الامام ابو الخطاب، فلما كانوا بالموعد الذى يجتمعون
فيه بعمامة المسلمين من شيوخ القبائل من نفوسة وهوارة
وزريرة ، وزناتة وغيرهم فتوافوا بصياد ، ومعهم ابو
الخطاب ، حين عمدوا لعقد ما اعتقدوا قالوا له امض معنا
على بركة الله الى الامر الذى ترددنا فيه منذ زمان ، قال
فخرج معهم ابو الخطاب ولم يدر ما يريدونه فلما وصلوا
صياد تكلم متكلمهم ، فقال أليس قد اجتمع رأينا على ما
قد علمتوه ؟ قالوا بلى ، قال فأتوا أمركم اذا ، فقامت منهم
طائفة ناجية فتناجوا ساعة ، ثم رجعوا فقالوا لابي الخطاب
أبسط يدك لنبايعك على ان تحكم بيننا بكتاب الله وسنة
نبيئه صلى الله عليه وسلم وآثار الصالحين ، فقال لهم ابو
الخطاب ما حسبت ان لهذا كان خروجي معكم ، فقالوا لا بد
لنا من تقليدك أمور المسلمين . فلما رأى جدتهم ، قال لا
اقبل ان اتحمل امانتكم الا على شرط ، قالوا كل شرط يجوز
فنحن نعطيكم ، ونعطيك فيه ، فقال لهم : شرطى عليكم ان
لا تذكروا فى عسكري مسألة الحارث وعبد الجبار ، خوفا من
ان يكون فى جماعة المسلمين اختلاف وفرقة .

بيان مسألة الحارث وعبد الجبار واختلاف الناس فيها

وقد حدث بعض اصحابنا ان مسألة الحارث وعبد الجبار اتصلت الى المشرق فكان بين اصحابنا الذين فى المشرق بهذه المسألة اختلاف وفرقة وفى المغرب اشد من ذلك ، حتى كتب اليهم ابو عبيدة وابو مودود حاجب الطائى رضى الله عنهما بالكف عن ذكرها . قال الشيخ ابو العباس الخفاف الذى فى المسألة قديما وحديثا اصله فى الولاية المعينة هل تنتقل الى الوقوف أم لا الا ان انتقلت بحكم متعين الى البراءة ؟ وهذه المسألة مبنية فى العقائد وفى الفقه ، على اليقين هل يدفعه الشك ؟ فعند اصحابنا ان اليقين يدفع الشك ولا يدفعه الشك ، فالولاية لا تنتقل الى الوقوف ، وعند الزيدية انها تنتقل الى الوقوف ولهم فى ذلك اشكالات يأتى ذكرها ومدافعتها ، وذلك ان الحارث وعبد الجبار كانا رجلين موصوفين بالصلاح ، وهما من أهل الولاية ، فوجدا فى موضع واحد مقتولين وسيف كل واحد منهما فى جثة الآخر . فوقع الاختلاف فيهما ، فقائل يقول ان كلا منهما قتل الآخر ، فينبغى ان نبرأ منهما فهذا اردل الاقوال ، وقائل بان كل واحد منهما قتل الآخر الا انا لا ندرى الباغى منهما فنبرأ منه ولا المبغى عليه فنقول فلا يسعنا الا الوقوف عن ولايتهما والبراءة منهما هذا قول اصحاب عبد الله بن يزيد ، فقائل انهما باقيا على ما كانا يستحقانه من الولاية لان صلاحيتهما متيقنة وقتل احدهما الآخر مشكوك فيه فلا نتوقف عن ولايتهما فهذا من الاحتمال ، اذ من الاحتمال الذى سبق الى الخيال ان يكون البيعة الذين قتلتهما قد أوجوا سيف كل واحد منهما فى جثة صاحبه وتركوهما لما أرادوه من هذا الخلاف

اليقين هل يدفعه
الشك او لا يدفعه
الا اليقين

فهذا قول اصحابنا . وللزيدية (١) هنا افراط بمسئلتين ، احدهما ان يقع اللعان بين الزوجين وهما من أهل الولاية فلا بد ان يكون البعل قاذفا أو تكون المرأة زانية ، وكلا الفاحشتين من الكبائر الا انا لا ندرى من ارتكبتها منهما فعلينا الوقوف أو البراءة ، والثانية ان ترى من بعد رجلين من أهل الولاية وقد جرد كل واحد منهما سيفه ، وضرب صاحبه حتى ماتا ولست تدري الباغي ولا المبغي عليه ، قلنا هذا كله احتمالات ولنا في رسول الله اسوة حسنة ، اذ نزل عليه : « وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم » ، فلم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه توقف عن مواصلة احد ممن اظهر الايمان من أهل المدينة ولا من الاعراب ولا انه تجنب احدا مع انه صلى الله عليه وسلم اعلم انه لا يعلمهم ، وان الله تعالى يعلمهم ، بل أبقاهم على ما هم عليه من الولاية المتقدم اليقين بها حتى فضحتهم الآية من سورة براءة في قوله تعالى : ومنهم ، فلما عرفوا يقينا انتقلت الولاية الى البراءة ، فاطلب ذلك في موضعه تجده .

وبلغنى عن ناس من اصحابنا الذين بالشرق . بل قد وقفت عليه من قولهم : انهم رجحوا قول اصحابنا في القتيلين والمقتولين ، ورجحوا قول الزيدية في الملاعنين فاعتمد هداك الله على القرآن وما تعلق به يدحض كل قول يخالفه ، فهذا هو الخلاف الذى فى المسئلة .

رجعنا ، فأراد ابو الخطاب رضى الله عنه ان يقطع الاختلاف من جماعة المسلمين بامامته ، فقالوا له لك ذلك

(١) لعله الزيدية . تامل

علينا ، فبايعوه على القيام بحقوق الله ، وعلى ما فى الكتاب
والسنة واتباع الائمة المهتدين ، فقبل مبايعتهم ، وانصرف
الى المدينة ومعه جماعة المسلمين ، وذكر بعض أصحابنا ان
ولاية ابي الخطاب كانت على رأس اربعين ومائة سنة ، ثم
اجتمع رأيهم على دخول المدينة مدينة طرابلس وبها عامل
لابى جعفر المنصور ، فعمدوا الى رجال باسلحتهم فحملوها
فى الجواليق على الجمال ، وكانهم غير أقبلت الى المدينة ،
وقد جعلوا افواه الجواليق الى داخلها من اسفل ، وجعلوا
مع كل جمل رجلين بالسلاح ، فلما توسطوا المدينة ولم
يفطن احد بما صنعوا فتحو الجواليق ، فخرج الرجال
والسلاح فى ايديهم ، وقالوا : لا حكم الا لله ، ولا طاعة
الا طاعة الله وطاعة ابي الخطاب ، وقصدوا نحو العامل
ليقتلوه ، فأبى عليهم ابو الخطاب من ذلك ، وقال : انما
دخلنا عليهم بالامان . فلما رءاهم أهل المدينة وقد شهروا
السلاح قالوا : هذه غدره ، فقال لهم اصحاب ابي الخطاب :
لا بأس عليكم لسنا بأهل غدر . فمن اراد العافية منكم
فليقم فى منزله ، وخير ابو الخطاب العامل فى الاقامة فى
المدينة وينخلع عن العمل ، أو الخروج بالامان . فاختار
الخروج الى أرض المشرق ، ودفع لابي الخطاب مفتاح بيت
المال فأخذها منه .

فاحسن ابو الخطاب رضى الله عنه السيرة وعدل فى
سيرته واحكامه ، وكانت ولاية ابي الخطاب اربع سنين وقد
ولي على رأس اربعين ومائة ، وبلغنا ان امرأة من نساء
القيروان كتبت بطاقة الى الامام ابي الخطاب رضى الله عنه
تشكو اليه جور «ورفجومة» تقول فيما كتبت له : « اما بعد
(يا أمير المؤمنين) فان لى ابنة وقد بلغت فى الخوف عليها

من ورفجومة والموطة عليها ان حفرت حفرة تحت سريري
وصنتها فيها عنهم خشية ان يفسدوها كما فعلوا بامثالها
فانظر الينا والسلام» وكانت ورفجومة ولالة مدينة القيروان
فلما وصلت البطاقة الى ابي الخطاب رضى الله عنه صادفته
وهو يتوضأ ، فقرأها وجعل يبكي رحمة بما نزل بها ، فنادى
(الصلاة جماعة) واجتمع اليه الناس وصلى بهم ، ثم
صعد المنبر خطيبا ، فحمد الله واثنى عليه ثم أخذ فى
ترغيب اصحابه فى الجهاد وامر رعيته فى التأهب
والاستعداد ، وان يعزموا على المصابرة والجلاد ، فخرج من
المسجد وسل عند بابه سيفه وكسر غمده ، قال : لا حكم الا
لله ترغيبا فى الجهاد وغضبا لله ولدينه ، وبلغنا من طريق
آخر ان ورفجومة اخرجوا امرأة من القيروان وهى تصيح
وتقول : اغيثنى معاشر المسلمين ، فلم تجد احدا يدفع
عنها فلما بلغ ابا الخطاب رحمه الله ما نزل بها ، واستغاثتها
بمعشر المسلمين فلم تجد احدا يدفع عنها قال ابو الخطاب
مجيبا لها : لبيك لبيك . وقد ذكر بعض اصحابنا ان امرأة
من أهل القيروان طلبها ورفجومة فصاحت من القيروان
يا ابا الخطاب اغثنى فمد الله فى صوتها فسمعها ابو الخطاب
من مدينة طرابلس ، فقال لها : لبيك يا اختاه ، قال الشيخ
ابو العباس رحمه الله ولا ينكر هذا وامثاله من كرامات
الاولياء يؤيده ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله جل وعلا : « لا يزال العبد يخدمنى حتى احبه
فاذا احببته وهبت له عينى فيرى بها وسمى فيسمع بها »
الحديث ، ولا تقل العين والاذن ههنا جارحتان ، بل الكلام
عليهما كالكلام على امثالهما مما نزل فى القرآن وفيما
ورد فى السنة ، وكل ذلك محمول على قدرة الله تعالى ،

قال : فعند ذلك امر ابو الخطاب مناديه بان ينادى : النفير النفير، فعسكر على طرف المدينة حتى اجتمع اليه من اصحابه جموع كثيرة ، ثم ان ابا الخطاب خرج فيمن اجتمع له من اصحابه ومعه عبد الرحمن بن رستم الفارسي رضى الله عنه ، فخرجوا فى سنة ممحلة ذات جوع وجذب ، فأمدهم الله بالجراد، فاذا نزلوا نزل معهم، واذا ارتحلوا ارتحل معهم.

تغير ابي الخطاب
جسمه بين الجهاد
او الرجوع

وبلغنا ان ابا الخطاب لما خرج أمر مناديه فنادى : ايها الناس من له ابوان كبيران أو احدهما فليرجع ، ومن له عروس قريب عهدا فليرجع ، ومن اراد الرجوع منكم فليرجع بالليل ، فلما جنهم الليل رجعت طائفة من عسكره . فلما كان بالغد أمر خيلا تقطع وراءه فوجد اثر من رجع من الناس الى أهلهم ، ثم فعل ذلك فى الليلة الثانية وفى الليلة الثالثة ، حتى رجعت خيله فاخبرته بانه لم يبق من يرجع ، وانه لم يبق معه الا من له رغبة فى الجهاد ، فعرض عسكره فى ستة آلاف، وقال فيما قال : انى لأرجو لمن خرج فى عسكرنا ومات مجاهدا ان يكون من أهل الجنة الا من فيه احدى ثلاث : قتل نفس بغير نفس ، واقتناء فى حرام . واقتناء أرض غصبا . فمن كانت فيه هذه الخصال أو واحدة منهن فليعلم انه واجد منهن مخرجا أما قاتل النفس فبان ينقاد لاولياء المقتول ، فان لم يعلم له ولي فليدفع نفسه فى سبيل الله ، واما الاثنتان الاخيرتان فانه ليشهد على نفسه بتركهما والتخلي عنهما . وبلغنا ان ابا الخطاب مر بمدينة «قابس» فحاصر اهلها حتى ضعفوا واذعنوا له بالطاعة فجعل على المدينة عاملا ، وارتحل حتى اذا نزل على القيروان فحاصر اهلها اشد الحصار ما شاء الله ، وفى مدة حصاره القيروان مرض عاصم السدراتى مرضا شديدا ، وكان من اخيار

استشهاده عاصم
السدراتى لى حصار
القيروان

أهل العسكر ، وانجدهم ، واشهدهم شوكة على أهل القيروان
فسمع بمرضه أهل القيروان وانه انتهى القثاء فبعث أهل
القيروان ببائع القثاء ، فسموا واحدة من قثائه ، وأمره
ان لا يبيعها الا لعاصم السدراتى فمضى البائع بما عنده
من القثاء الى المعسكر ، فاشتري لعاصم اصحابه تلك
المسومة ، فأتوه بها فاكلها فثار فيه سمها ، حتى هلك ،
وقد هرب البائع حين باعها فاستشهد عاصم رحمه الله ،
فصاح أهل المدينة اين عاصم السدراتى المقتول بالسم ؟
ثم جعلوا يقولون مات عاصمكم يا بربر . فعلم ابو الخطاب
انهم خدعوه وبلغ منه موت عاصم مبلغا عظيما ، فقال
لاصحابه : انهم خدعونا وغدرونا ، فستدعهم ونفدريهم
كما فعلوا ، فخدعهم رحمه الله ، وامر أهل العسكر بان
يأخذوا سلاحهم ويخلوا اخبيتهم ويخرجوا تحت الليل
ويأخذوا الطريق شبه الهاريين مذعورين ، فاصبح منزل
عسكر ابى الخطاب خاليا ، فظن أهل القيروان انهم هربوا
منهم ليلا ، وقالوا : انهزمت البربر ، واخذوا بأثارهم ،
ومضى ابو الخطاب رحمه الله فيمن معه الى واد وراء فحص
رقادة ، وكمن فيه بخيله ورجله ، فأخذ اهل المدينة فى طلب
ابى الخطاب واصحابه . فلما لحقوا بهم ، وجدوهم معسكرين
فثار ابو الخطاب واصحابه فى وجوههم ، فهزموهم فقتلهم
ابو الخطاب واصحابه ، يقتلونهم ، حتى دخلوا معهم
المدينة فتحصلت المدينة لابي الخطاب فى سنة احدى واربعين
ومائة من التاريخ

فلما ولى ابو الخطاب المدينة استعمل عليها عبد الرحمن
بن رستم رحمه الله ، وقد أمر ابو الخطاب اصحابه حين
كان فى حصار المدينة ان لا يفسدوا زرعاً ولا غيره .

انه لا يشبه من ولي
عليكم من قبل

وحدث بعض أصحابنا ان شيخا من شيوخ القيروان بعث ابنا له يرتاد مزرعة كانت له بقرب منزل عسكر ابي الخطاب فقال يا بني : اذهب وانظر هل بقي في مزرعتنا شيء ، قال : فخرج الغلام الى المزرعة فوجدها سالمة لم ينلها فساد ، فرجع الغلام الى ابيه فأخبره ، فعجب لذلك وعجب الناس لعدل ابي الخطاب وسيرته وطاعة اصحابه له فيما يأمرهم به وينهاهم عنه . وكان من مقالة الشيخ المذكور اذ ذاك لمن حضره من أهل القيروان : أتظنون ان ابا الخطاب يشبه من ولي عليكم قبله ديننا وفضلا ؟ وان سيرتهم كسيرته حسنا وعدلا ؟ كلا والله . أين مثل ابي الخطاب في سيرته وعدله وفضله !

وبلغنا ان امرأتين قد خرجتا من القيروان حين فتحتها الله لابي الخطاب بعد هزيمة اهلها ، فنظرت احدهما الى القتلى مزملين في ثيابهم كأنهم رقود ، فقالت لصاحبتهما : انظري اليهم كأنهم رقود . فسمي ذلك الموضع رقادة الى اليوم . ولما دخل ابو الخطاب المدينة أمر اهل المدينة بأن يخرجوا الى قتلاهم ليدفنوهم .

الحارب الموحد
لا يعمل سلبه

وقد أمر ابو الخطاب من يتفقد القتلى ، فوجد قتيلا واحدا منهم مسلوبا ، وأمر مناديا ينادى في عسكره من نزع عن احد من القتلى شيئا فليرده ، فلم يرد احد شيئا . فعلم ان سالبه عمل غير صالح ، فلما أيس من رده سلب القتيل المذكور طوعا ، ومخافة من عقاب الله تعالى ، دعا ابو الخطاب ربه عز وجل ان يفضحه ويظهره على اعين الناس ، فأمر ابو الخطاب فرسانا من عسكره بان يخرجوا ويجروا خيلهم بين يديه وكان فيهم رجل فارس من سدراتة فلما اجريت الخيل انقطع حزام سرج السدراتي ، فوجد

كساء سفسارية تحت سرجه ، فسقط الكساء على اعين الناس . وقيل بل كان جبة حرير . قلت والمجراد أيضا عند الاحتياج اليه واجابة الدعاء على الخائن كل ذلك من الكرامات فاخذه الامام رحمه الله فعززه حسب ما اقتضاه الاجتهاد .

وبلغنا ان ابا الخطاب رضى الله عنه لما هزمهم احسن فيهم السيرة وامر اصحابه ان لا يتبعوا مدبرا ، ولا يجهزوا على جريح فقال رجل من لواته من عسكر ابي الخطاب يقال له خالد أناكل من اموالهم كما يأكلون اموالنا ويعتقدون انها غنيمة احلت لهم ؟ فقال : ابو الخطاب رحمه الله ان فعلنا كما فعلوا فحق على الله ان يرفضنا ويدخلنا معهم جهنم فنكون كما قال الله تعالى : « كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ، وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فدوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » (١) ثم ان ابا الخطاب توجه الى مدينة طرابلس وقد استعمل عبد الرحمن بن رستم رحمه الله على القيروان . وعلى ما يليها من المدن ، فاستعمل عبد الرحمن على كتابته رجلا منهم يقال له عبد الله بن عقيب ، فصلحت احوال الناس .

وقد كان الرجل السدراتى لما لم يتجاوز عنه ابو الخطاب رأى ان قد نزلت عليه مصيبة عظيمة فى اجتماع الفضيحة والاعانة عليه ، فسار مغضبا ، متوجها الى بغداد ليستنفر منها جيشا من تلقاء ابي جعفر المنصور ، فلما وصل بغداد طلب الدخول على ابي جعفر فوقف على الباب سنة لا يؤذن له فى الدخول على ابي جعفر ولا بالانصراف ، فبعد تمام

ان فعلنا بهم مثل
ما فعلوا بنا نكون
متساوين فى الذنب

(١) سورة الاعراف : آية ٣٧ - ٣٨

حول اذن له ابو جعفر فى الدخول ، فدخل عليه وخلا به ،
وسأله عن حاجته ، فقال له : حاجتى ان تنفذ معى عسكريا
الى ناحية المغرب ، فامر ابو جعفر بالاستعداد بالمسير الى
أرض المغرب ، فانفذ جيشا وجعل عليه محمدا بن الاشعث
الخزاعى اميرا . وذكر بعض اصحابنا ان عدد أهل العسكر
خمسون ألفا ، وقال : بعضهم سبعون ألفا ، فجعل على طائفة
من العسكر رجلا دون ابن الاشعث ، فتوجه ابن الاشعث
قاصدا الى ابى الخطاب، فلما انفصل العسكر من مصر ارسل
عيونه فكانت العيون تختلف بين الفريقين باخبار كل
منهما الى الآخر ، وبجميع ما يحدث عندهم . فقدمت عيون
ابن الاشعث من عند ابى الخطاب فسألهم عن اخباره ، فقالوا
له أنجمل ام تفصل ؟ فقال : بل اجملوا ، فقالوا رأينا
رهبانا بالليل واسدا بالنهار ، يتمنون لقاءك كما يتمنى
المريض الطبيب ، لو زنى صاحبهم لرجموه ولو سرق
لقطموه ، خيلهم من نتاجهم ، ليس لهم بيت مال يرتزقون
منه وانما معاشهم من كسب ايديهم . فلما سمع ابن الاشعث
ما وصفوه هاله ذلك ، فشاور الامير الذى دونه فى الرجوع
فأبى له من ذلك .

مناورة ابن الاشعث

ولما رأى ابن الاشعث ذلك وخاف تفرق
الكلمة ، عمد الى رجال من عسكره فامرهم ان يتزويوا بزي
الرسل ، كأنهم قدموا من ارض المشرق ، وادوهم كتابا
استخرجه على لسان ابى جعفر ، وامرهم ان يتنحوا عن
العسكر ، فاذا كان وقت الضحى من الغد اقبلوا كأنهم
قادمين من بغداد بكتاب خليفتهم ، فلما كان الوقت الذى
وعدهم بالقدوم فيه اقبلوا ، فلما رآهم أهل العسكر
تبادروا ، وأتوا بهم الى ابن الاشعث ، فناولوه الكتاب الذى

قدموا به ، فقرأه وأظهر ان ابا جعفر امره بالرجوع ،
فرجع بالعسكر لما اعتل به من أمر ابي جعفر اياه بالرجوع
لامر هو احوج اليهم فيه مما توجهوا اليه ، فرجع ، وكره
صاحب ابن الاشعث الرجوع فلما رءاه كذلك أرسل اليه وأمر
به فقتل ، فغيل الى الناس ان ابا جعفر امره بذلك ، وضم
الى نفسه العسكرين . ثم انه كر راجعا الى المشرق وتباطأ
فى سيره ، وقرب المراحل ، والعيون تختلف باخبار الفريقين
فاذا ارتحل ابن الاشعث أول النهار نزل عند انتصافه ،
فاذا كان غدا ارتحل ، وعيون ابي الخطاب كلما رأوا ابن الاشعث
ارتحل مرحلة رجعت منهم طائفة ، وابن الاشعث كلما
ارتحل مرحلة أمر خيلا تقطع الاثر خلفه لتتظرو هل بقي
فى عسكره من عيون ابي الخطاب أم لا ، وعيون ابن الاشعث
فى عسكر ابي الخطاب مقيمة ، فلما وصلت عيون ابي
الخطاب اليه من عسكر ابن الاشعث تخبره برجوعه - وقد
اجتمع على ابي الخطاب زهاء تسعين ألفا - ابتدروا الناس
الى مواطنهم وذلك فى زمان الحصاد ، فقال لهم ابو الخطاب
يا قوم : ان العرب أهل مكر وغدر ، فلا تفرقوا عن
ملككم ، حتى تستيقنوا برجوع القوم ، وغلبت عليه العامة
فأذن لهم بالحاق (١) أهليهم فساروا وفرقوا عنه ، وفى
كل ذلك لم تزل عيون ابن الاشعث فى عسكر ابي الخطاب .

مباغثة ابن الاشعث
لابى الخطاب

فلما تيقنوا تفرق جموع ابي الخطاب اسرعوا بالمسير
الى صاحبهم ، فاخبروه بافتراق العسكر عن ابي الخطاب ،
فكر ابن الاشعث راجعا يطوى المراحل ، فلم يشعر ابو
الخطاب الا وعسكر ابن الاشعث قد غشي حيز طرابلس ،
وأبو الخطاب بها مقيم فقال لاصحابه ان العدو قد غشي

(١) كذا فى النسخ لعله باللاحاق بأهليهم

حريمى فلا يسعنى القمود عن المدافعة عن رعيتى ، وقد
اعلمتكم من قبل بما كنت اتوقعه من مكر العرب ، قال
ففرق الرسل ابو الخطاب فى البلدان تستنفر عسكره ،
وتستمدهم فارسل الى عبد الرحمن بن رستم يستحثه ،
فأمر ابو الخطاب اصحابه بالخروج فإشار عليه بعضهم
بالاقامة حتى تاتيه امداده ، فابى الا الخروج ، وقسال : لا
يسعنى المقام ، وقد دخل العدو حريم رعيتى ، حتى ادفع
عنها ما غشيها أو الحق بالله ، فخرج بمن حضره من اصحابه
ومن بقرب المدينة من نفوسة وهوارة وزويشة وغيرهم ،
يريد محمد بن الاشعث فالتقى « بتاورغا » وهو على مسيرة
ثمانية أيام من طرابلس .

«مقتل ابى الخطاب واصحابه رحمهم الله»

حدث غير واحد من اصحابنا ان ابا الخطاب لما سمع
برجوع ابن الاشعث اليه خرج بمن حضره من اصحابه فأجد
السير اليه ، فوجده ابو الخطاب قد سبق الى الماء نازلا عليه
فقال ابن الاشعث لاصحابه : ان نزل أبو الخطاب واصحابه
واستراحوا وسقوا كراعهم ، واستقوا فانكم لا تظفرون
بهم بشيء ، ولا طاقة لكم بهم ، والا فانتم أقدر عليهم منهم
عليكم ، وهذا بتاورغا ، فلما وصلهم ابو الخطاب وعسكره
شأقت نفوسهم الى لقائهم ، والجهاد فى سبيل الله على بصيرة
فلاقاهم ابو الخطاب فى قلة والعدو فى كثرة ، فاسرع القتل
فى اصحاب أبى الخطاب واشتد القتال فكان الرجال بين
الصفين تنهدم كالحيطان ، ولم يبرح ابو الخطاب واصحابه
رحمهم الله حتى استشهدوا جميعا ، وكانوا فى أربعة عشر
ألفا فيما ذكر الرواة ، وقد ذكر بعضهم اثنى عشر ألفا ،
فلم ينج من القتل الا اليسير ، فتسامعت رعيتة بمقتله ،

فهربوا الى الجبال ، ولجأوا الى الحصون المنيعة والقلاع العالية . وبلغنا ان عبد الرحمن بن رستم رحمه الله لما وصلته رسل الامام اسرع ليلحق به ، فلما انتهى الى مدينة « قابس » تلقاه مقتل الامام وعسكره ، فافترت عساكره وكر راجعا الى مدينة القيروان ، فلما سمع عبد الرحمن بن حبيب بمصاب ابي الخطاب ومن معه وتفرق العساكر ثار من مدينة القيروان ، وطلب عبد الرحمن بن رستم فلم يجده ، فلم يزل يبحث على اخباره حتى ظفر به فابتدره رجل من أهل القيروان من اصحاب عبد الرحمن بن رستم الى عبد الرحمن بن حبيب شافعا اليه فيه فقال له ايها الامير لى اليك حاجة ، فقال حوائجكم كلها مقضية ، الا عبد الرحمن بن رستم ، رضى الله عنه ، فقال ان لم أسألك فى عبد الرحمن بن رستم ففيم أسألك ؟ فتركه له . وبلغنا ان عبد الرحمن بن رستم لما اراد استعمال ابن حبيب على بعض اموال المسلمين قال : يا معشر المسلمين ، لا تولوا ابن حبيب امور المسلمين ، فانه ابليس الا ان عليه بشر ابن آدم ، فحقدوا عليه ابن حبيب .

فلما تفرق جنود ابي الخطاب وجنود عبد الرحمن بن رستم وتخلص من ابن حبيب خرج عبد الرحمن هو وابنه عبد الوهاب وعبد لهما خائفين مستخفين ، متوجهين الى أرض المغرب ، وليس معه حمولة ولا مركوب غير فرس واحد ، فمات الفرس فى بعض الطريق ، فدفنوه مخافة ان تقص أثرهم ، فيطعم فيهم ، وذلك فى خارج قسطلية ، فسمى ذلك الموضع « قبر الفرس » فلما عدموا الفرس وقد ضعفت قوى عبد الرحمن تعاون عليه ابنه يحمله تارة ، ويحمله العبد أخرى ، فاذا حمله العبد قال عبد الوهاب :

خروج عبد الرحمن
الى المغرب الاوسط

ان ادركنا العدو فلا تحطط ابى عن ظهرك لما دون
خمسائة ونحوها ، واذا عبي العبد وحمله عبد الوهاب
قال : له العبد كقوله له ، فلما وصلوا حول واد ، أجيح (1)
وهو جبل منيع قصده عبد الرحمن وتحصن به .

تحصن عبد الرحمن
بجبل سولجج

وحدث أبو الربيع سليمان بن يخلف رحمه الله عن
حدثه : ان عبد الرحمن لما تحصن بوادى اجيح وتحصن
بالجبل ، لحقه هنالك ستون شيخا من شيوخ الاباضية من
طرابلس ، وسمع ابن الاشعث بذلك ، فأقبل مجدا معدا
فى طلبه ، فأخبر بأنه فى جبل منيع ، حتى وصله فحاصر
عبد الرحمن بن رستم بعد ان عسكر على عسكره مخافة
ان يأتيه ابن رستم واصحابه ، فأطال المكث تحته فوخم
عسكر ابن الاشعث ووقع فيهم الجدرى ومات منهم خلق
كثير ، فجمع ابن الاشعث اصحابه فقال لهم مستشيرا : قد
رايتم هؤلاء القوم وما هم فيه من المنعة واقامتنا عليهم
لا تجدى شيئا ، فما ترون فى الإقامة عليهم أو الارتحال
عنهم ؟ فاختلف رأيهم ، فجد هو على الارتحال ، فرجع الى
القيروان وقد يؤس من عبد الرحمن واصحابه ودخلها
وتحصن فيها .

ولاية ابى حاتم يعقوب بن ليبي المزوزى الهوارى رحمه الله ورضى عنه

حدث غير واحد من اصحابنا ان ابا حاتم ولى مدينة
طرابلس فى رجب سنة اربع وخمسين ومائة ومكث فيها
اربعة سنين ، وكانت ولايته ولاية دفاع ، وطلب الحق ،
يرسل ثقاته بما يجتمع من مال الصدقة الى عبد الرحمن

(1) كذا ثبت فى النسخ . وما تفتته المراجع الاخرى : سولجج

قبل ظهوره ، وسبب ولاية ابي حاتم ان جماعة من اصحابه من بقية من كان مع ابي الخطاب لما أنسوا من نفوسهم في حيز طرابلس بعد ابي الخطاب قوة ، هموا بالاجتماع لامر ابرموه ، فظهروا عن انفسهم غيره ، كما فعلوا أول مرة في تولية ابي الخطاب ، فعزموا على القيام على حيز طرابلس وواليها من قبل ابي جعفر المنصور فسمع الوالى باجتماعهم فأخرج اليهم خمسمائة فارس ، وأمر عليهم أميرا منهم . فلما وصلتهم الخيل ، قال لهم اميرها : اجبيوا بالطاعة لاميرو المؤمنين ، قالوا اجبنا بالطاعة لاميرو المؤمنين . لا يعمنون ابا جعفر ، وامير الخيل يعتقد انهم عنوه ، فرجع بخيله الى والى المدينة ، فاخبروه باجابتهم ، فلم يقنعه ذلك منهم . ثم أن جماعة اعيان اهل الدعوة اجتمعوا ليلة منصرف الخيل عنهم ، واتفقوا على عقد الامامة لابي حاتم ولاية الدفاع ، فعمدوها له في ليلتهم تلك ، فلما اصبح خرج اليهم الوالى بنفسه في خيل عظيمة ، فلما اتاهم قال اجبيوا لطاعة امير المؤمنين ، قالوا اجبنا لطاعة امير المؤمنين ، قال اجبيوا لطاعة امير المؤمنين ابي جعفر المنصور ، فقالوا عليك لعنة الله ، وعلى أي كافر معك ، يعنون ابا جعفر ففناجزهم القتال فاقتتلوا قتالا شديدا فهزمهم أبو حاتم ومن معه من أهل الدعوة ، فاتبعوهم يقتلونهم حتى دخلوا مدينة طرابلس ، فمات من ذوى الجبايرة بشر كثير .

القتل من اهل
التوحيد لا يسلب

وبلفنا ان ابا حاتم لما هزم الله على يديه العدو وقد كان معه من عوام البربر من لا نظر له في امور الدين وانما حضروا تسليما لامور المسلمين فعمدوا الى اسلاب القتل فنزعوها عنهم ، فغضب ابو حاتم لذلك ، وقال ليس من سيرة المسلمين اذا قتلوا من بغى عليهم من أهل التوحيد

ان يسلبوه ، بل يقولون لاهل المدينة ارجعوا الى قتلاكهم فادفنوهم وخذوا ثيابهم . والآن اما رددتم الاسلاب ، واما اعتزلت اموركهم ، وتركت الولاية ، فلما سمعوا ذلك منه اطاعوه وردوا اسلاب القتلى . فدخل ابو حاتم رحمه الله مدينة طرابلس اثر الهزيمة فاقام بها ما شاء الله ، ثم نادى بالخروج الى افريقية ، فبلغنا انه خرج اليه جيش من افريقية ، فتلقاها ابو حاتم ببعض الطريق ، فقاتلهم فهزمهم الله له ، واحسن فيهم السيرة ، فلم يجهز على جريح ولم يسلب قتيلًا .

حصار ابي حاتم
للقروان وتبرج
جيش ابن الانعت

فلما نزل بالقروان حاصر اهلها سنة ، وطال الحصار على اهلها فالتقوا السلم واذعنوا واطاعوا ، الا ما كان من ابن الاشعث فانه انحجر في دار الامارة في بقية من اصحابه الذين قدم بهم من أرض المشرق ، فحاصره ابو حاتم سنة أخرى ، بعد دخول المدينة فاجلى ابو حاتم من بها من بقية جند ابن الاشعث فاعطى كل خمسة منهم قربة وخشبة يحملون عليها قربتهم ، واعطاهم خنجرا يصلحون به نعالهم ، واعطى كل رجل من الخمسة رغيفا لزاده ، فتفرق اولئك البقية منصرفين الى المشرق ، وذكر بعض اصحابنا ان السدراتى المجلود على الخيانة الذى جلب العسكر من المشرق ندم على ما فعل من اعانة العدو على قومه ، واهل مذهبه ، واذاعته اياهم ، فخرج ببقية العسكر يريد بهم المشرق ، واطهر لهم انه يريد ان يردهم الى بلادهم فاخذ بهم طريقا مضلة فهلكوا عن آخرهم .

ذكر وقعة مغمداس

وبلغنا ان ابا حاتم سمع بطوالع اقبلوا من المشرق فخرج من مدينة طرابلس فتلقاها بموضع يقال له (مغمداس)

على مسيرة ثمانية ايام من المدينة ، فلما وصلهم ابو حاتم صفوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فهزم الله على يديه العدو ، فقتل منهم ستة عشر ألفا ، وبلغنا ان رجلا من الحضرة لقي رجلا من أهل الدعوة ، فقال له المخالف ما تفسير تاورغا ؟ (يقرعه بمقتل أبى الخطاب واصحابه رحمهم الله) وكان صاحبنا فطينا فاجابه ، بان قال تفسيرها : مغمداً فيه أربعة اكداس ، فى كل كدس اربعة آلاف ، ثم لما هزمهم رجع الى طرابلس وحسنت حالته فيها .

مقتل ابى حاتم واصحابه رحمهم الله

و بلغنا ان ابا حاتم لما تمكن فى مدينة طرابلس دس الكتب الى المشرق من بقي من الطوالع بطرابلس والقيروان الى ابى جعفر ببغداد ، يشكون ابا حاتم . ويستقضون عليه ، فانفر الى ابى حاتم جيشا كبيرا . وامر عليه يزيد ابن حاتم الازدى قال : فلما انفصل يزيد بن حاتم من مصر بعساكره ، وسمع ابو حاتم بتوجهه ، جمع اصحابه ومن ولى عليه من القبائل ، فحضهم على الجهاد ورغبهم فى الاستشهاد . ولما قرب يزيد من حيز طرابلس خرج اليه ابو حاتم بمن معه من اصحابه ، حين نزل موضعا يقال له « جنى » ومعه قبيلة من البربر يقال لها مليلة ، يزيد بن حاتم على ابى حاتم ، فسأل ابو حاتم من حضره من هواره . هل أعان ابن حاتم علي أحد من البربر ؟ فقالوا : ليس أحد من البربر الا قبيلة واحدة من هواره . يقال لها مليلة فقال ابو حاتم : اللهم اذل مليلة ، فاجاب الله دعوته ، فبقيت فيهم الى اليوم ، فهم اذل البربر ، قيل وكان مع ابن حاتم رجل من نفوسة يقال له عمر بن مطكود لا غير .

مقوم يزيد
ابن حاتم الازدى
بجيش من المشرق

فلما التقى الفريقان اقتتلوا قتالا شديدا ، فاستنجز
القتل في اصحاب ابي حاتم ، فلما رأى ذلك ابو حاتم قال
لاصحابه : زفوني الى الموت في سبيل الله زفاف العروس ،
وقفوا لى قليلا قال ، فتقدم ابو حاتم رحمه الله حتى
استشهد ومن معه من اصحابه وهم (I)
رحمهم الله .

وبلغنا ان الموضع الذى استشهدوا فيه يرى فيه نور
ساطع يضيء فى كل ليلة الخميس يبصر من بعيد ، يصعد
عمودا فى السماء وكذا ذكر من شاهده من أهل عصرنا
على الصفة المذكورة . وحدث يعقوب بن يوسف الجبراني
انه اجتاز هو وصاحب له بالموضع المذكور ، فى ليلة شديدة
الظلمة ، وكانت ليلة الخميس ، فلما هبطاه وهو فى مطمئن
من الارض ، اضاء لهم النور حتى تبين اثر الحشرات فى
الارض ، كما تتبين نهارا ، فلما خرجا منه دخلا فى مظلمة
عظيمة ، فالتفتا الى الموضع فاذا الضياء ساطع فى الهواء ،
والظلمة تحفهم من كل جانب فعادا ، الى الموضع فطفقا
يدعون الله تعالى لما تبيناه من كرامة ، وكان يعقوب رجلا
شجاعا شديد المرة لا يروعه هول ولا يصيبه خور ، بل
كان ثبتا لايتهم خبره .

امامة عبد الرحمن بن رستم رحمه الله ورضى عنه

حدث غير واحد من اصحابنا ان عبد الرحمن بن رستم
ولى بتاهرت على رأس ستين ومائة ، وذكر بعضهم انه ولى

(I) بياض فى الاصل

سنة اثنين وستين ومائة ، والله اعلم أى التاريخين أصح
وسبب ولايته ان جماعة اهل الدعوة اتفقوا على ان ينتخبوا
موضعا يبنون فيه مدينة تكون حصنا لهم ، فارسلوا رجالا
من ذوى المعرفة ، وفرقوهم فى الجهات يتخيرون مكانا يصلح
لما حاولوه ، ورجعوا وقد وقع اختيارهم على تاهرت ،
فدلّوهم عليها ، فاتفق جمهورهم مع أهل تاهرت القديمة
على شئء معلوم يأخذونه على غلتها ، وقد كانت قبل ذلك
رياضا لا عمارة فيها الا السباع والهوام .

فلما اتفقوا على عمارتها امروا مناديا ينادى بسباعها
ووحوشها وهوامها ان اخرجوا فانا اردنا عمارة هذه الارض
فأجلوها ثلاثة ايام ، وبلغنا انهم رأوا وحوشها تحمّل
أولادها خارجة بها منها ، فكان ذلك مما رغبتهم فى عمارتها
وقوى عزمهم على انشائها. ثم انهم اطلقوا النيران فاحترقت
اشجارها ، وبقي أصول ما احترق منها فشق عليهم مؤونة
اقتلاعها ، فعمدوا الى حيس فلتوه بعسل ، وجعلوا تحسّت
اصل كل شجرة منها شيئا قليلا ، فلما جن الليل طرقت
الخنازير تلك الاصول ، فجعلت تتبع رائحة الحيس ، وتحفر
تحت الاصول ، حتى أتت على آخرها ، فلما اصبحوا وجدوها
مقتلعة ، فعمدوا الى مكان فأصلحوه لصلاتهم ، فلما ارادوا
بناؤه وقع اختيارهم على اربعة مواضع فاقرعوا عليها ،
ايها يجعل المسجد الجامع ، فوقعت القرعة على المكان الاول
الذى اصلحوا لصلاتهم ، فبنوا الجامع به ، ثم اخذوا فى
انشائها وعمارتها ، فجعلوها ديارا وقصورا .

ثم ان أهل الخير والصلاح وذوى الآراء السديدة من جماعة أهل الدعوة رأوا ان لهم قوة تجب معها عليهم تولية امام . فتشاوروا فيمن يرون لذلك أهلا من القبائل ، فوجدوا من كل قبيلة رأسا أو رأسين ، فكل منهم أهل لذلك فقال فضلاؤهم : ان عبد الرحمن بن رستم ممن لا تجهلون فضله ، وهو احد حملة العلم وعامل الامام أبى الخطاب رحمه الله ، وقد كان المسلمون عرضوا عليه الامامة قبل تولية أبى الخطاب فاعرض عنها ودفعا عن نفسه فهو أهل للإمامة لدينه وعلمه ، وسابقتها ، ومكانه ، وغير ذلك من حميد أوصافه ، لا سيما وليست له قبيلة تمنعه ان يدل أو غير . فان رأيتم توليته أموركم فافعلوا ، فاتفق رأيهم جميعا على توليته ، فبايعوه على الامامة ، بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأثار الخلفاء الراشدين ، فأحسن السيرة فى امامته ولم ينقم عليه أحد فى حكومته ، ولم يكن فى ايامه اختلاف ، والاباضية كلها يومئذ مجتمعة متألفة لم يثر فيها ثائر .

قال الشيخ ابو العباس وقد وقفت فى كتاب المسالك والممالك من ذكر بناء تاهرت على ما هو أوضح وأزيد فائدة ، ورأيت ان اثبته فى هذا الموضع وان كان فى بعضه خلاف لما صححناه عن المشائخ . ذكر ابو عبيدة البكرى « ان تاهرت مدينة مسورة لها اربعة ابواب ، باب الصفاء وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن ، ولها قصبة مشرفة على السوق وتسمى المعصومة ، وهى على نهر يأتيها من جهة القبلة ونهر آخر يجرى من عيون تجتمع تسمى « نافس » ومنها شرب بساتينها وهى فى شىء ، وفيها

جميع الثمار وهى شديدة البرد كثيرة الغيوم ، والثلج .
قال أبو عبد الرحمن بكر بن حماد : (١)

ما أحسن البرد وريمانه
وأطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم اذا ما بدت
كأنها تنشر من تحت
فنحن فى بحر بلا لجة
تجرى بنا الريح على السم
نفرح بالشمس اذا ما بدت
كفرحة الذمي بالسبت

وتاهرت الجديدة على خمسة اميال منها تاهرت القديمة
وهى فى شرق الحديثة ، ويقال انهم لما ارادوا بناء تاهرت
كانوا يبنون بالنهار ، فاذا جن الليل واصبحوا وجدوا
بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى ، وهى الحديثة
وكان صاحب تاهرت ميمون بن عبد الوهاب بن عبد
الرحمن بن رستم ، بن بهرام بن ذو شراز بن سابور بن
بابكان بن سابور ذى الاكتاف الملك الفارسى . كان ميمون
رأس الاباضية وامامهم ، وامام الصفار ، والواصلية ،
وكان يسلم عليه بالخلافة ، وكان مجتمع الواصلية قريبا
من تاهرت ، وكان عددهم ثلاثين ألفا ، فى بيوت كبيوت
الاعراب يحملونها . وتعاقب مملكة تاهرت بنو ميمون
وبنو اخويه اسماعيل وعبد الرحمن بن الرستمى الى
سنة ستة وتسعين ومائتين 296 ، فوصل ابو عبد الله الشيعى

(١) هو الاديب المشهور والشاعر التاهرتى ولد بها وتوفى بها سنة 292 هـ

مدينة تاهرت فدخلها بالامان ثم قتل فيها من الرستمية عددا كبيرا ، وبعث برؤوسهم الى اخيه ابي العباس ، واطيف بها فى القيروان ، ونصبت على باب رقادة . واقام ملك بنى رستم بتاهرت مائة وثلاثين سنة . وذكر محمد ابن يوسف ان عبد الرحمن بن رستم كان خليفة لابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة ايام تملكه على افريقية ، فلما قتله محمد بن الاشعث الخزاعي وذلك فى صفر سنة اربع وأربعين ومائة ١٤٤ هـ هرب عبد الرحمن باهله وما خف من ماله ، ونزل القيروان فاجتمعت اليه جماعة من اصحابه واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم ، فنزلوا موضع تاهرت البرج وهو غيضة اشب ، ونزل عبد الرحمن منها موضعا مربعا لا شجر فيه ، قال البربر : (نزل تافدمت ، تفسيره : الدف شبهوه بالدف لتربيته ، وادركتهم صلاة الجمعة فصلوها هنالك فلما انقضت الصلاة ثارت صيحة شديدة على اسد ظهر فى الشعراء فاخذ حيا وأوتى به الى الموضع الذى صلوا فيه فقتل هنالك ، فقال عبد الرحمن بن رستم هذا موضع لا يفارقه سفك دم ، ولا حرب ابدا ، وابتدروا من تلك الساعة فبنوا فى ذلك الموضع مسجدا وقطعوا خشبه من تلك الاشجار ، فهو كذلك الى اليوم ، وهو مسجد جامع وهو من اربع بلاطات ، قال : وكان موضع تاهرت ملكا لقوم مستضعفين من منداس وصنهاجة فراودهم عبد الرحمن على البيع ، فابوا ، فوافقهم ان يودوا اليهم الخراج من الاسواق ، ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاخططوا وبنوا ، وسمى موضع تاهرت معسكر عبد الرحمن الى اليوم . (١)

(١) راجع المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك من ص 66

اصناد من
اباضية المشرق
لعبد الرحمن

قال الشيخ : وبلغنا ان الوالى على اهل عمان في ايام عبد الرحمن رجل يسمى عبد الوارث ، وابو عبيدة حي اذ ذاك وفي امامة عبد الرحمن رحمه الله . ثم ان ولاية عبد الرحمن بالمغرب اتصلت بمن بالبصرة من اهل الدعوة فبعثوا اليه بثلاثة احمال مالا ، فلما وصلت الرسل تاهرت جعلوا يسألون عن دار الامارة وقد خلفوا المال بخارج المدينة ، فلما وصلوا الدار ، وجدوا الامام رحمه الله فى أعلى بيت يعمل بيده فى السقف ، والعبد يناوله الطين ، فسألوا العبد ان يأذن لهم ، ويستأذن عليهم . وقد علم العبد ان سيده يسمع كلامهم ، فقال له : اخرهم قليلا : فنزل وغسل من الطين جسده ، فأذن لهم ، فدخلوا فسلموا عليه ، وامر بخبز وسمن فقدم بين ايديهم فلما أكلوا استأذنوا للتنحي عنه للنجوى ، فأذن لهم ، فتناجوا واتفقوا ان يدفعوا له المال ، وانهم راضون ما عاينوه من احواله . فلما وصلت الاموال ووضعت للامام ، شاور اصحابه فيها فاشاروا عليه بان يأخذها ، ويبيثها فى فقراء المسلمين ، وفى الاسلام ، وفعل رحمه الله ذلك بمحضر الرسل .

يرد مسابقة
اباضية المشرق
حيث صاروا فى
غنى عنها

فلما رجعت الرسل الى المشرق اعلموا اخوانهم بسيرة عبد الرحمن وعدله وفضله ، وبعثوا بعد ذلك باموال اكثر من الاولى ، فلما وصلت الى عبد الرحمن شاور اصحابه أيضا ، فقالوا : رأيك يا امير المؤمنين ، فقال اما اذ رددتم الي الرأى ، فان رأيت ان يرد الى أهله ، فهم أحوج منا اليه فقد قوانا الله واغنانا ، فله الحمد ، فشق ذلك على الرسل وليس لهم بد من طاعة الامام ، فعجب اهل المشرق من زهادة الامام فى الدنيا ورغبته فى الآخرة فاقروا بامامته ووصلوه بكتبهم . فكانت تاهرت حرزا وحصنا لجماعة

أهل الدعوة وسميت المعسكر المبارك . قلت اما كون الامام رحمه الله وافق اصحابه في صرف المال الاول في الوجوه التي ادلوا بها لما رأى في ذلك من سد الخلل ، وأما رده المال الآخر فلعله تعلق بقوله صلى الله عليه وسلم تؤخذ من اغنيائكم وترد في فقرائكم ، فتصد التخصيص في الاضافة ورأى فقراء موضع أخذت منه الزكاة بها أولى ، ولعله علم ان في المال الاول مالا غير مال الصدقة ، وان المال الآخر كله من مال الصدقة فرأى فيه الرأي الذي ذكرته من صرفه في فقراء الجهة التي أخذ منها المال .

يجعل الامامة بعد
شورى بين ستة
انصار

قال : فلما حضرت الوفاة عبد الرحمن رحمه الله جعل الامامة شورى في ستة نفر كصنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه : احدهم مسعود الاندلسي ، وكان فاضلا فقيها ، ورعا من شيوخ المسلمين ، وابو قدامة يزيد بن فندين اليفرني ، ومروان الاندلسي ، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن ، وابو الموفق سمعوس ابن عطية ، وشكر بن صالح الكتامي ، فلما مات رحمه الله اجتمع أهل الشورى يتفاوضون فيمن يولونه أمور المسلمين فتدافعها بعضهم الى بعض . الا ان عامة المسلمين مالت نفوسهم الى اثنين من النفر المسميين ؛ احدهما مسعود ، والآخر عبد الوهاب فبعضهم أراد تولية هذا ، وبعضهم أراد تولية هذا ، فمكثوا نحو شهرين يرون الرأي ثم ان الجمهور رجحوا مسعود او مالت نفوسهم الى توليته ، فتبادروا لبياعوه ، فهرب واختفى فابتدروا عبد الوهاب لبياعوه فلما سمع مسعود بتركهم اياه وطلبهم عبد الوهاب خرج مبادرا ليكون أول

من يبايعه ، وكان ابو قدامة لما لم تمل قلوب الناس اليه ورأى انه قد خلا منها اراد تولية عبد الوهاب وقال : هو منا أقرب رحما من غيره ، فلعل ذلك يعطفه علينا ، وانما قال ذلك لان ام عبد الوهاب يفرنية فرجوا ان يؤثرهم فى الامر ، فقام ابو قدامة فى نفر من اصحابه فأبوا الا مبايعة عبد الوهاب لما يرجونه من ايثاره اياهم ومع ذلك فقد تخوفت نفوسهم منه .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن رحمهما الله

فلما اراد الناس مبايعة عبد الوهاب تقدم مسعود الاندلسى ليبايعه فعارضه ابن فندين واصحابه بالقول ، فقالوا نبايعه على شرط ان لا يقضى أمرا دون جماعة معلومة ، فقال لهم مسعود : لا نعلم فى الامامة شرطا غير ان يحكم فينا بكتاب الله وسنة نبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترك ابن فندين واصحابه الشرط . فتقدم مسعود فبايع عبد الوهاب وبايعه الناس بعد ذلك ببيعة عامة وحملوه الى دار الامارة ولم يتخلف عن بيعته احد ولم ينقم عليه احد فى حكومة ولا فى أمر من أموره حتى نجم ابن فندين واصحابه .

لا نعلم فى الامامة
شرطا غير ان يحكم
بكتاب الله
وسنة رسوله

أول افتراق فى الاباضية

مع ان طائفة تنتحل اسم الاباضية يقال لهم (العمرية) لم تجمعنا واياهم العمرية من قبل وهم يزعمون انهم اباضية ، ويسندون مذهبهم الى عبد الله بن مسعود رحمه الله وهم تبع عيسى بن عمير ، وسنفرد كتابا فى الرد عليهم ، ونقض ما خالفوا فيه أهل الحق ، ونذكر فيه

الافتراقات والرد على كل فرقة خالفت أهل الحق ، قلت انما نبه الشيخ رحمه الله على ذكر العمرية ليعلم ان الافتراق قد كان من قبل ، وانما عنى هنا أول الافتراق بالمغرب ، قال الشيخ اسماعيل بن صالح رحمه الله سألت الشيخ ابا نوح بن يوسف رحمه الله قلت : أين الكتاب الذى وعد به الشيخ ابو زكرياء ؟ قال قد قام عنه به الشيخ ابو عمار عبد الكافي وهو الكتاب « الموجز » (1) رجعنا . فاما سبب افتراق الاباضية فيما ذكر غير واحد من اصحابنا فهو : ان عبد الوهاب رحمه الله لما ولى المسلمين استعمل على ولايته كلها أهل الورع والزهد ، وكل من علم انه ليست له رغبة فى الولاية ، فاستعان على ما قلده الله من أمور المسلمين باهل العلم والبصائر فى الدين . ولما رأى ذلك ابن فندين واصحابه وتحققوا مخالفة ما يرجونه من اثاره اياهم ، تغيرت قلوبهم وتنكرت صدورهم وساءت ظنونهم وسقط فى ايديهم وندموا على ما فرط منهم فى مبايعة عبد الوهاب ، واخذوا فى العلل والاباطيل ، وقالوا : انما كانت ولاية عبد الوهاب على شرط ان لا يقطع أمرا دون جماعة معلومة ، ورجعوا فى حاجة (2) امرهم الذى لم يجزه لهم اهل البصائر من قبل ، وجعلوا يفتشون ذلك عند الجهال والطفام ، ومن ليست لهم بصيرة فى الدين يستزلون عقولهم ، ويستفزون افكارهم ، ويحيلون عقائدهم واشاعوا انه حابى عليهم بعض الناس ، وولاهم الامور دونهم ، وزعموا انهم بذلك أولى من سواهم ، وانه لا ينبغى ان يلى امر جماعة المسلمين احدا اذا كان فى الجماعة من هو

(1) لا زال الكتاب من جملة المخطوطات ، وقد قام الدكتور عمار الطالبي من جامعة الجزائر اخيرا بدراسة عليه ، واخبرنى انه يقوم بطبعه

(2) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : ورجعوا الى الحاجة امرهم

اعلم منه ، فتفاهم امرهم ، وكثر القيل والقال فى البلد ، وعظم داؤهم ، وكثر النزاع وانتشر الخلاف ، فتارة يقولون نحن ولينا ، وتارة يقولون كيف يلينا وفيما اعلم منه ، وتارة يقولون انما كانت ولايته على شرط .

استفتاء علماء
المشرق فى خلاف
ابن فنديس

ثم ان جماعة المسلمين اجتمع رأيهم مع ابن فنديس واصحابه على التوقف ، واصطلحوا على وضع اوزار الحرب ويراسلوا فى هذه القضية اخوانهم بالشرق ، فما اجابوهم به وقفوا عنده ، وعملوا به . فبعثوا رسولين وتوجها الى المشرق ، فلما وصلا مصر وجدا بها شعيب بن المعروف وشيعته فأخبراه بموت عبد الرحمن ومبايعة الناس عبد الوهاب وخروج ابن فنديس عليه وادعائه فى امامة عبد الوهاب ، وما زخرف من الابطال ، فلما سمع شعيب ما ذكره من الاختلاف خلا بطائفة من اصحابه ، منهم ابو المتوكل ، فعزموا على المسير الى تاهرت ليكونوا ألتاء على الامام ، ثم ان الرسولين توجهوا الى مكة فوجدا أبا عمرو الربيع بن حبيب وابا غسان مغل بن المعرد رحمهم الله فى جماعة من اصحابنا ، واخبراهما بما فيه من ارسال اخوانهم اليهم ، وبما حدث بالمغرب ، فدفعوا اليهم كتبهم وقرأوها واجتمعوا ليجابوا عنها فكتبوا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما . أما بعد ، فقد اتصل بنا ما وقع قبلكم وما كتبتم فيه ، فأما ما ذكرتموه من أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا فى الامامة شرطا : ان لا يقطع الامام أمرا دون جماعة معلومة . الامامة صحيحة والشرط باطل ، فلو صح فى الامامة الشرط لما قام لله حق ولا اقيم له حد ، ولبطلت الحدود والاحكام ، وضاع الحق ، والجماعة

يتعذر اتفاقها . على اى الامام ان قدم اليه سارق فلا يمكنه ان يقيم عليه الحق فيقتلع يده حتى تحضر الجماعة ، أو زنى احد فلا يرجم أو يجلد حتى تحضر الجماعة ، ولا يجاهد الامام عدوا ، ولا ينهى عن منكر ، الا بمحضر الجماعة ، فيكونوا كلهم اذا اماما ، وكلهم لا امام ، فهذا ابطال ، وتتبعه غير الاستقامة ، ورمي الامامة به بغيري ، والسؤال عن هذا غي . واما ما ذكرتم من تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو اعلم منه فذلك جائز اذا كان مستكملا لشروط الامامة ، وكان من أهل الفضل والدين والعدل والسياسة والمنزلة المرضية ، فقد ولى ابو بكر الصديق رضى الله عنه ؛ وزيد بن ثابت افرض منه ، وعلى اقضى منه ، ومعاذ بالحلل والحرام اعرف منه ، وأبي بكتاب الله أقرأ منه ، كل شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ومع هذا فلم يكن احد منهم أولى منه بالامامة ، فالجواب اثبات الولاية وابطال الشرط ، ولوانعقدت عليه ، وتخطئة من اختلفه واحله غير محله .

ومما ضمنوه جوابهم ان الامامة لا تبطل الا بحدث فى الامام بعد الاعذار والانذار ، وتمادى المحدث على الاصرار والاستكبار ، فحينئذ يجب القيام عليه . وابطال ما صار من أمر المسلمين اليه .

ونرجع الى ذكر شعيب وذلك انه لما انتهى اليه الرسولان بما قد تقدم ذكره من وقوع الخلاف بالمغرب توجه الى تاهرت فى نفر من اصحابه ، دون مشاورة من بمصر من المشائخ أهل الدعوة ، بل قد نهاه عن ذلك من فطن به منهم فسار طمعا فى الامارة ، فلما وصل هو واصحابه دخل على الامام ولم يكن له بد من الدخول عليه ، فسأله الامام رحمه

شعيب يتوجه من
مصر الى مقر الامامة
يؤازر ابن فندين

الله عن الامامة والشرط فأجابه بان الامامة صحيحة والشرط باطل ، وسأله أيضا هل تجوز تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو اعلم منه ؟ فاجاب بجواز ذلك . ثم ان شعيبا خرج فتوجه نحو ابن فندين ، واصحابه فأطمعوه في الامارة ، فندم على فتياه للامام رحمه الله فوازر (١) ابن فندين واصحابه على الامام ، وصار لهم عوناً على الخلاف ، فخرج من بالمدينة من اكابر اصحاب ابن فندين الى المنازل المتدانية من تاهرت ، وجعلوا يستفسدون قلوب أهلها ويجمعون فيها بكل ما انعقد من الامامة ، ويتناجون بالاثم والعدوان ، ولذلك سموا « النجوية » . ثم بعد ذلك اجتمعوا لاطهار انكار امامة عبد الوهاب فسموا « النكار » . ولما ادخلوا بذلك شغباً في الاسلام سموا « الشغبية » ، ثم الحدوا في اسماء الله تعالى فسموا « الملحدة » . وسموا النكاث لنكثهم البيعة بغير حدث ، وبلغنا انهم كانوا يدخلون المدينة بالجماعات ، فتكلم جماعة من المسلمين بذلك ، واثاروا على الامام بان ينهاهم عن ذلك ، فنهاهم الامام فلم ينتهوا ، وعاب عليهم خروجهم من المدينة الى المنازل فقالوا : هذه مدينتنا وتلك منازلنا ، فان رأى الامام فى ذلك منكراً تركناه . قال فاعرض عنهم الامام ثم صاروا بعد ذلك يدخلون المدينة بالسلاح ، فاشار أيضاً جماعة من المسلمين على الامام بان ينهاهم عن ذلك . فقالوا : ان رأى الامام فى امساك السلاح منكراً تركناه قال : فاعرض عنهم الامام ، وامر اهل المدينة بامساك السلاح مخافة منهم من غدر يحدث منهم .

اصل تسمية النكار
ومبدأ هذه الفرقة

(١) من وازره موازنة على الامر عاونه وقواه ، مقلوب آزره

وبلفنا ان نفرا منهم اجتمعوا على غدر الامام فاداروا الامر بينهم ، فقال قائلهم كيف لنا بالوصول الى قتله ؟ فلم يتجه لهم ذلك . ثم ان رجلا اشار عليهم بأن يحضروا تابوتا فيجملوه فيه ، ويمضوا بالتابوت الى الامام كأنهم مختصمون فيه ، وكان الاتفاق قد تم ، ليفضي الامر الى وضعه على يد الامين ، ثم لا يرضون الا ان يكون في امانة الامام ، فعمدوا الى تابوت وادخلوا فيه الرجل المشير ، ومعه سيفه وكان غلق التابوت من داخله ، فأقبلوا بالتابوت الى الامام رحمه الله ، ففعلوا ما عزموا عليه من الملاحاة . حتى اظهروا ان كادوا يقتتلون ، فقال قائلهم للامام : يا امير المؤمنين أفصل بين هؤلاء القوم ، وانزع التابوت من ايديهم جميعا حتى يصطلحوا أو يصح لمن يصح منهم ، فقالوا باجمعهم : قد اصاب فيما اشار به عليك يا امير المؤمنين ، فقال : دونكم وما اشار به . فقال المختصمون : لسنا نثق بامانة أحد الا ان يكون امير المؤمنين ، فتوخى رحمه الله مرضاتهم وساعدهم ، فقال : احمِلوا تابوتكم الى حيث أمركم ان تضعوه ، فلما حملوه تبين للامام ان الذي حملوه ثقیل وقال متمثلا « يا بؤسا للغدر فما اسجاء !! » . ثم ان الامام تأمل التابوت فوجده مغلقا من داخله ، فازداد ريبه وغلب على ظنه انهم ارادوا الفدر . وكانوا قد رغبوا في ان لا يوضع التابوت الا في بيت ينال الامام فيه ، فلما وضعوه خرجوا مستبشرين فرحين ، وظنوا ان قد ظفروا بحاجتهم فخيّبهم الله ، ورد عليهم مكرهم وجعل كيدهم في تضليل .

وقد ذكر انهم قالوا لصاحبهم اذا انت قتلت الامام فأذن لصلاة الصبح عند طلوع الفجر ، فاذا سمعوا اذانه ابتدروا لدار الامام ، وان هو لم يؤذن علموا انه لم يظفر بحاجته

فلما جن الليل أخذ الامام رحمه الله فى صلاته فلما فرغ منها وكانت عادته اذا فرغ منها ان يتناول كتابا فيقرأ فيه حيناً من الليل ، فلما كانت تلك الليلة عمد الامام الى زق منفوخ فوضعه على فراشه . والقى عليه ملحفة بيضاء ، فلما قضى حاجته من قراءة الكتاب وحان وقت نومه أخذ مصباحا ، وأوقده وكب عليه غطاء يستره ، وتنحى الى جانب البيت واقبل على الصلاة بحيث لا يسمعه ولا يراه من التابوت . فلما هدأ صوت الامام عن صاحب التابوت ، وظن ان الامام قد نام ، فتحت التابوت فخرج منه فنظر فى البيت يمينا وشمالا ، فلم ير شيئا الا بياضا فى ناحية البيت كهية المضطجع ، فظن انه الامام ، فتيممه فجرد سيفه ، والامام رحمه الله يراه ، فلما وقف على الفراش ضرب الزق بالسيف فظن انه قد قتل الامام فلما سمع الامام وقعة السيف على الزق كشف الغطاء عن المصباح واتاه الامام والسيف فى يده ففده نصفين ولفه فى تابوته .

فلما كان من الغد اجتمعوا فسألوا من لقيهم ، هل حدث حادث فلم يخبروا بشئ فقال بعضهم لبعض : أسمع احد منكم عن الامام وعن صاحبكم شيئا ؟ فكل قال : لا ، فقالوا : امضوا بنا لنأخذ تابوتنا ، فنقول قد اتفقنا . ففعلوا ذلك فقال لهم الامام : امضوا الى حيث وضعتموه فخذوه . فمضوا حتى دخلوا البيت فوجدوا تابوتهم فى الموضع الذى تركوه فيه فحملوه ، فلما وصلوا الى مأمنهم فتحو التابوت فوجدوا صاحبهم قتيلا مقدودا نصفين ، فغيب الله سعيهم ، واخلف ظنهم ، والحمد لله ، فخرجوا من المدينة خوفا من ان يوقع بهم الامام والمسلمون لسوء صنمهم .

ثم ان شعيبا لما خرج من عند الامام قال لابن فندين واصحابه ماذا تنتظرون به فبادروه ورعيته لتظفروا بغفلته وانما قال ذلك استعجالا وخوفا ان يأتى الجواب من المشرق فتكون عليهم الحجة ويفترق عنه أهل الشغب وقد علم ان الصواب ما افتى به أولا ثم رجع عن الصواب حين طمع فيما ضمع فيه ، وكان ابن فندين واصحابه يتربصون الدوائر بالمسلمين ، ويتوقعون فرصة ينتهزونها ويتربصون من أهل المدينة غرة يجدونها ، والامام كما ذكرنا قد أمر بامساك السلاح ورعيته واصحابه ، فهم على ذلك ، فلما كان ذات يوم خرج الامام لبعض حاجاته ، فبادر يزيد بن فندين واصحابه المدينة ليدخلوها على حين غفلة من أهلها فقامت فى المدينة الصيحة فتبادر الناس من كل مكان فخرج افلح بن الامام فى سلاحه مبادرا فوجدهم على باب المدينة ، وقد كادوا يدخلونها ، فوقف افلح على الباب واثبت احدى رجليه فى صفات الباب (I) حتى انسلك جلد قدمه الى العرقوب وجعل يتقى بدرقته ، حتى لم يجد فيها حصنا يتقى به شيئا ، فرمى بها ، فاقتلع باب المدينة فترس به ، وعاد يتقى به الطعن ، والضرب ، فتكامل عنده أهل المدينة فوجدوا يزيد بن فندين مقابله ، وعلى رأس ابن فندين بيضتان ، وضربه افلح بالسيف فقد البيضتين والرأس ، ونشب السيف فى عمود الباب ، فخر ابن فندين صريعا ، فوجد افلح فى يده بعض الشدة حين ضربه فظن ان صلابة فى رأس ابن فندين ، فقال « ما اقوى رأسك يا بربرى يا مشوم » ولما رءاه اصحابه صريعا ولوا منهزمين ، فقتل منهم جماعة كثيرة فكان عدد القتلى اثنى عشر ألفا فعثر بهم

(I) كذا فى الاصل ، وفى نسخة القطب فى صفات بالباب

شؤمهم أول مرة فى هلاك هذا العدد الكثير . وبلغنا ان دم قتلهم سالت على باب المدينة كالسيل لكثرتهم .

ثم ان أهل المدينة اجتمعوا فى عدد وحاولوا ان يردوا الباب كما كان فلم يستطيعوا ذلك ، فقالوا لأفلاح اردد ما نزعنا فقال : ردوا علي غضبى أنفا اردده لكم ، ثم ان الامام رحمه الله رجع الى المدينة فوجد على بابها المقتلة فهاله ما رأى فسأل عن ذلك فاخبر بما كان من ابن فندين واصحابه فامر بجمع القتلى فجمعوا ، وصلى عليهم رجاء للصلح وطلباً للعافية لعامة المسلمين ثم ان شعيباً لما انهزم القوم هرب الى مدينة طرابلس ، فظهر مخالفة الامام والبراءة منه واستقبل الحجاج بذلك ، واتصل ذلك بالربيع رحمه الله وبمن بالمشرق من أهل الدعوة فبرؤوا من شعيب وابن فندين ، ومن قتل معه ، ومن سلك سبيله ، الا من تاب . وكان الربيع يقول فى مجالسه : عبد الوهاب امامنا وتقيننا وامام المسلمين ويظهر البراءة ممن خالقه ، فقيله : كيف تبرأ من شعيب بغير حدث ؟ فقال : أي حدث اعظم من خلافه لعبد الوهاب وبراءته منه ؟ ثم ان بقية اصحاب ابن فندين الذين لم يصابوا يوم قتل عمرت صدورهم ضغائن واحقادا فتنحوا ناحية عن المدينة ، فاجتمعوا بكدية ، فسميت كدية النكار ، وجعلوا يفشون الخلاف والفساد سرا وجهرا ، وفى كل ذلك لم يزل شرهم يعود عليهم ، وبعد ان أهلك الله ابن فندين واصحابه قدم الرسولان بالجواب من فقهاء المشرق مشتملا على ما تقدم ذكره من ولاية عبد الوهاب واستحقاقه الامامة ، وتخطئة ابن فندين واصحابه ، والبراءة منهم . فزاد ذلك يقينا كل من شرح الله صدره للطاعة ، وحمدا

لله على ما وهب له من سلامة دينه ودنياه ، وثبوت عقائدهم
على صحة يقينهم

القمر بابن الامام
ميمون

وبلغنا ان ميمون بن عبد الوهاب قتل ليلا وقطع لحمه
اربا اربا ، فلما اصبح وجده اهل المدينة على تلك الحال
فاوتى به الى الامام رحمه الله فنظر اليه الامام فقال : أى
بنى ، اجتمعت فى مصيبتى فيك ثلاثة امثال للعامه ، احداها
قولهم فيمن مرت الخيل بكسائه ، والثانية قولهم فيمن
اصيب بليل ، والثالثة قولهم اذا مسست ابن السلطان
فأمسسه مسا عنيفا . ثم جهز ابنه ودفنه ، ولم يدر من قتله
وذلك بعد مصاب ابن فندين واصحابه ورجوع الجواب .
ثم ان ابنا لميمون خرج ساعيا ، فلما وصل الى النكار نادوه
يا ابن المهدور دمه ، فرجع الى جده عبد الوهاب فاخبره
الخبر ، فجعل يبحث عن قاتله حتى حقق ان النكار قتلوه ،
فاخرج اليهم عسكريا وامر عليه ابن ميمون فأدركهم بعد
أيام فآلفاهم مجتمعين على ابهة ينتظرون . فصادفوه فقاتلهم
فهزمهم الله له ، وقتل منهم عددا كثيرا فقصر الناس عن
احصاء عدد القتلى ، فقالوا : أي اسماء القوم اقل عددا
فصحوا ان اقل اسماءهم هارون ، فقالوا احسبوا كم قتيلا
اسمه هارون ، فوجدوهم ثلاثمائة ، فما ظنك بسوى هارون
فاوهن الله قوتهم ورد كيدهم واذلهم .

وكان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها ، من
علم التفسير والحديث ، والفرائض ، والاصول ، والفروع
وعلم اللسان ، وعلم النجوم ، وقد حكى عن بعضهم انه
قال : معاذ الله ان تكون عندنا امة لا تعرف منزلة القمر ،
وبلغنا ان عبد الوهاب بعث ألف دينار الى اخوانه بالبصرة
ليشتروا له بها كتباً ، فاقتضى نظرهم ان يشتروها ورقا

مكانة الرستميين
في المغرب

وتطوعوا بالمداد واجرة النساخ والمفسرين ، حتى اكملوا ديوانا عظيما فبعثوا به اليه فشق (I) جميع الديوان فقال الحمد لله اذ ليس فيه مسألة عزبت عنى الا مسألتان ولو سئلت عنهما لاجبت قياسا على نظائرها ووافقت الصواب .

مخاربة الامام رحمه الله للواصلية

حدث غير واحد من اصحابنا ان الامام عبد الوهاب رحمه الله لما أوهن الله على يديه كلمة النكار واورثهم الخزي والعار ، تحرك الواصلية بعض الحركة ، وهم قوم من البربر اكثرهم من زناتة ، وذلك لما احسوا بوقوع التفرق وحاولوا ان ينتهزوا فرصة ، فبلغ الامام ذلك فاعذر اليهم مرة بعد مرة ، وقد نشأ فى الواصلية شباب حدث السن شجاع لا يقوم له شئ ، وهو ابن اميرهم ، وفيهم رجل ينتحل المناظرة فتكاثفت كلمة الواصلية ، واجتمعوا من كل أوب منحازين من تاهرت ، واكثرهم أهل البادية . فظهروا مخالفة الامام رحمه الله ، فاعذر اليهم ، ثم خرج اليهم ، بمساكر كثيرة فقاتلهم مرة بعد مرة فكان الشباب الواصلى لا يدرك احدا الا قتله ، وابوه يحرضه على القتال .

فلما رأى ما نزل به منهم ، وان حريهم مقيم ، أرسل الى أهل نفوسة يستمدهم طالبا منهم جيشا نجيبا يكون فيهم رجل مناظر عالم بفنون الرد على المخالفين ، ورجل عالم يفنون التفاسير ، ورجل شجاع ، يستعده لمبارزة الشاب الواصلى ، ولما وصلت رسل الامام رحمه الله الى جبل نفوسة ائتمروا فيمن يرسلونه الى الامام ، فاجتمعوا

عبد الوهاب
يستمد نفوسه
لتمده باربة رجال

(1) كذا بالنسخ ، لعله فشقق جميع الديوان . فيكون من شقق الكلام : اخرجـه احسن مخرج ، فى الحديث : (تشقيق الكلام عليكم شديد)

على ان يبعثوا اربعة نفر احدهم مهدى الويفوى ، والثانى
أيوب بن العباس ، والثالث ابن يأنيس ، والرابع قيل
اسمه محمد ابو محمد ، وقيل ابو الحسن الابدلانى ، رحمهم
الله ، فاستحضرهم عامل جبل نفوسة فلما حضروا اعلمهم
بما كان من استمداد الامام ، واتفاق الجماعة على توجيههم
وامروهم ان يتأهبوا للمسير .

فبلغنا ان النفر تساءلوا فيما بينهم فقال لهم مهدى اما
انا فاكفيكم المناظرة ، وقال محمد بن يأنيس وانا تفسير
القرآن ، قد اخذته عن الثقات ، واعتمدوا على أيوب فى
المبارزة . وأخذ النفر فى اهبة السفر فخرجوا من جبل
نفوسة متوجهين الى تاهرت ، فلما انفصلوا عن الجبل رغب
اليهم محمد بن يأنيس فى ان يكون لهم خادما فأبوا عليه ،
فألح عليهم الى أن اجابوا رغبته فجعلوا كلما رحلوا، ساروا
نهارهم الى الليل ، فاذا نزلوا عمد محمد بن يأنيس الى
خيلهم فعلقها ، ثم أخذ فى معالجة معيشتهم فاذا طعموا أو
ناموا اقبل على الصلاة راكعا ساجدا الى الفجر ، وكان صائما
نهاره وقائما ليله ، فكان هذا دأبه ودأبهم ، فلما رأوا
تصاديه على ذلك شق عليهم ، واشفقوا عليه . فرغبوا
اليه ان يرفق بنفسه أو يدع عن بعض ما تكلفه فى سفره ،
وينام ساعة من ليله ، فأبى ، فعزموا عليه ان يترك ، والا
نظروا فى خادم سواه ، فلما تحقق جدتهم وخشي ان يعزلوه
عما تولى من خدمتهم . قال : قد اجبت ، على ان تأذنوا لى
فى ركعتين لا غير ، فطابت انفسهم وأذنوا له فى الركعتين
فلما كان فى الليلة المقبلة وقد فرغ من خدمتهم قام لياتى
بالركعتين فقرأ فى الركعة الاولى نصف القرآن ، وفى
الثانية النصف الآخر ، فطلع عليه الفجر ، فلما كان من

الغد وعلم اصحابه بما كان منه شق عليهم اشد مما كان قبل ، فرغبوا اليه في ان يعودوا الى الحالة الاولى ، ورأوا ذلك ارفق به مما صار اليه .

ان كان لا يدخل
الجنة الا من كان
متمله سوف
لا يجد بها انيسا

وبلغنا انهم ناموا ذات ليلة فاستيقظ احدهم فرأى ابن يأنيس قائما يصلي وكانت ليلة مطيرة شديدة البرد والريح فسمع لكساء بن يأنيس صريحا اذا ضربته الريح ، فقال : ان كان لا يدخل الجنة الا من كان مثلك يا ابن يأنيس فستستوحش فيها . بل الله لطيف بعباده ورحمته واسعة .

وبلغنا ان الامام رحمه الله لما سمع بخروجهم من جبل نفوسة متوجهين اليه قال لعبيده من بشرني منكم بقدومهم فهو حر ، وكان العبيد اذا اصبح خرجوا من المدينة ينظرون يمينا وشمالا ، وكان احد عبيد الامام اعرج لا يستطيع النهوض مع العبيد فكان يرقى سور المدينة فلما كان يوم قدومهم أبصرهم العبيد الذين كانوا في خارج المدينة ، فلما تحققوا ذلك بادروا يتسابقون ليخبروا الامام فلما رءاهم الاعرج عن بعد ، عجل الى الامام فبشره ، فخرج حرا فجاءه اصحابه فوجدوا الاعرج قد سبقهم بالبشارة فقالوا « فاز بها الاعرج » فلما وصل النفر المدينة أخبروا الامام بانهم اربعة ، فسأه ذلك ، وكان ينتظر قدوم عسكر كبير فلما دخلوا على الامام رحمه الله ، سأله عن احوالهم وعن قدومهم في اربعة نفر دون عسكر . فاخبره كل واحد منهم بما تكفل به ، واعلموه انهم بمعونة الله عز وجل ومساعدة الامام يقومون مقام العسكر . فامر الامام رحمه الله بانزالهم في دار الضيافة ، فاقاموا في أبر حال .

وبلغنا ان الامام أجل قبل ذلك الواصلية أجلا ، قبل قدوم النفوسيين ، فلما قدموا قال لهم : تأهبوا للخروج

قالوا له : دعنا حتى نستريح وتستريح دوابنا فقد اساءها السفر ، فأنسفهم ، ولما جرى ذكر المناظرة بينهم وبين الامام واعلمهم مهدى انه يكفيهم المناظرة قال لهم الامام : انه جرى بينى وبين الواصلى المنتحل المناظرة كلام ، اريد ان اعرضه عليك فقال : افعل يا امير المؤمنين ، فجعل الامام يعرض عليه ما وقع بينهما من مناظرة ، ويذكر سؤال كل واحد منهما ، وجواب الآخر ، فكلما وجد من كلام الواصلى حيدة ، قال : يا امير المؤمنين زاغ فى الحجة ، وزاغ عن الحجة ، حتى اطلع الامام رحمه الله على جميع ما لبس فيه المعتزلى ، ومواضع حيداته ، فوثق بان مهديا سيظفر بالمعتزلى .

مهدى يفسح
عددا من علماء
المعتزلة

وبلغنا ان مهديا لما صار بتاهرت - جعل - يغيب عن اصحابه اياما لا يدرون له مستقرا ، حتى ساءت ظنونهم ، فلما كان ذات ليلة قدم عليهم ، فقالوا له : قد استبطناك ففيم كان مغيبك ؟ فقال لهم : انى قد رددت الى مذهب الحق سبعين عالما من أهل الخلاف .

ثم ان الامام بعث الى رئيس المعتزلة بانه سيخرج اليهم فى يوم كذا ، فلما كان ذلك اليوم وقد ساءت ظنون المعتزلة وامتلات قلوبهم رعبا يتوقعون ما سيجلى لهم من أمر نفوسة فكانوا فى غم شديد ، فامر الامام رعيته بالخروج الى الواصلية والحضور لمناظرة مهدى للمعتزلة . فقال له ايوب بن العباس يا امير المؤمنين : ان فرسى قد اتعبه السفر فلو امر لنا امير المؤمنين بخيل نركبها ، فامر الامام رحمه الله ايوب بدخول دار الدواب فدخل الاصطبل فجعل كلما رأى فرسا حسن الصورة ، أخذ بناصيته وجذبه فلا تثبت حوافره على الارض يكاد يسقط على رأسه ، حتى آتى على آخرها

فلم يعجبه منها شيء فقال ايوب للامام اجمع (I) فرسى فان
تعبه علي احسن الي من غيره ، فامر الامام بفرسه فاحضر ،
فلما جذبته كما فعل بكل فرس اجتذبه قبل ولم يال جهدا
في جبذه فاقنع الفرس برأسه في الهواء طامعا ، ولم
تزل له حوافر مثبتة في موضعها ، ثم ردد النظر في الفرس
فوجد به الحفاء ، فامر باحراق الرمل حتى حمي ، وفرش ،
وأمر عليه فرسه يطاء ذلك الرمل بحوافره ، ففعل به ذلك
ثلاثة ايام ، فبعد ذلك امر الناس بالخروج ، فخرجوا
والتقى العسكران والناس ينظرون الى ايوب ، فيتعجبون
بما يسمعون عنه من الشجاعة ، وانه لا يلقي شجاعا الا
قتله ، فاعذر الامام الى المعتزلة ودعاهم الى ترك ما به
ضلوا ، فأبوا الا المناصبة وسألوا المناظرة ، وقد صفت
الصفوف فخرج مهدي للمناظرة بين الصفيين ومعه جماعة
من اصحابه ، فقال مهدي لمحمد بن يأنيس أخرج اليه
فناظره ، فقال له ابن يأنيس رحمه الله : بل اخرج اليه
انت ، ولست باعلم منا ، ولكن اخشى ان يعقدني العرق
الذي من قبل ابن يأنيس ، فخرج مهدي فتقدم الى المعتزلي ،
وقد كان قبل ذلك اسلمته نفسه فارسل الى مهدي في خفية
من اصحابه : ان انا ناظرتك فظفرت بي سترت علي ، وان
ظفرت بك سترت عليك ، فليس منا احد يدرى لمن يكون
الظفر . فارسل مهدي الى اصحابه ان علامة ظفري بالمعتزلي
ان انزع القلنسوة عن رأسي ، واضعها تحت ركبتى . ثم
تناظرا فجرت بينهما وجوه من المناظرة والناس يعلمون ما
يقولون ، فلم يظفر احد بصاحبه ، ثم دخلا في مناظرات
لم يفقهها احد غير الامام ، ثم دخلا في وجوه لم يفقهها

(I) في نسخة القطب اجمع على فرسى

احد ولا الامام ، فما كان باوشك من ان ظفر به مهدي
 والقي القلنسوة ، فكبر اصحاب مهدي لعلمهم بظفره
 بالمعتزلي ، فلما رأى المعتزلي ذلك قال غدرت يا مهدي .
 وافترقا عن مجلس المناظرة ، وقد اظفر الله مهديا ، ونصر
 حجة أهل الحق ولله الحمد . ثم خرج الفتى المشهور بالشجاعة
 يطلب المبارزة ، فأخذ ايوب بن العباس في اهبة الخروج
 اليه فجبذ فرسه حتى استوى بين الصفيين واراد ركوبه
 بحيث يراه كلا الفريقين ، فتجاهل في ركوبه ، فضحك منه
 عامة الفريقين وازدروه ، فقال لهم ابو الفتى الواصلي
 الآن جاء من يقتل ولدى ، افلا ترون ان فرسه لما ركبه ادلى
 واسترسل ، ولا يفعل الفرس ذلك الا تحت الفارس الحاذق
 الممارس ، فخرج ايوب الى الفتى فبارزه فتطاردا قليلا ،
 وتضاربا حينا ، فحمل عليه ايوب فضربه وقتله ، وذكر
 بعض اصحابنا انه شكه بالرمح واحتمله كالجراة ، فلما
 رأت المعتزلة رئيسها وفارسها صريعا ، ولوا منهزمين بعد
 ما حمي الوطيس ، وقتل الرئيس واستنجز القتل في المعتزلة
 وكان افلح بن عبد الوهاب يضرب ناحية وايوب يضرب
 ناحية أخرى ، وكان سيف ايوب بن العباس ليس له الا حد
 واحد ، وقيل ان ذلك لانه اذا عيبي حمله على عاتقه ، فلما
 امعن أهل العسكر في قتل الواصلية ودوخوهم ، وضمت
 الحرب أوزارها ، ولم يكن بقى من المعتزلة الا اليسير ،
 وصار المسلمون يعدون من قتله افلح ومن قتله ايوب ،
 فوجدوا احدهما يزيد على الآخر واحدا ، قيل وصاحب
 الزيادة هو افلح ، وذكر بعض اصحابنا ان قتلى افلح
 اربعمائة . ولما أوهن الله المعتزلة ، وانهزموا وعسكر
 الامام في سافلتهم ، بلغنا ان ايوب بن العباس رأى شخصا

قائما كهيئة الرجل فى حومة القتال ، فخاله رجلا فضربه
بالسيف فأحس شدة ، فلما رجع قال لاصحابه : انى ضربت
شيئا فيه شدة ولم ادر ما هو ، فتصفحوا القتل فوجدوه
عمودا قائما ، فلمسوه بايديهم ، فسقط منفصلا من
الموضع الذى اصابته ضربة ايوب .

بطولات
ايوب بن العباس

ثم بعد ذلك بزمان ارسلت المعتزلة الى ايوب بن العباس
بان ياتيهم بعد فعله الافاعيل فيهم ، فعزم على المسير اليهم
فمنعه اصحابه فأبى الا المسير فحذروه الغدر ، فلم يعسا
بهم ، فسار ايوب حتى وصل بعض احيائهم ، فتيمة فاذا
برجال من الحي ينتظرون المامه بهم ، فانزلوه فى خص
ورحبوا به ، فلما جن الليل قدموا له العشاء وهى جفنة
طعام عليها شاة ووطب من لبن ، قال فاكل جميع ما احضروه
وشرب ما فى الوطب من اللبن ، ثم اسند ظهره الى دعامة
الخص وجعل يتلو القرآن ، حتى طلع عليه الفجر ، فصلى
الصبح بوضوء العشاء ، فلما طلعت عليه الشمس ، امرهم
بان يقدموا فرسه ، فقدموه وهم عازمون على غدره ، فلما
ركب فرسه تكلم متكلمهم ، فقال : يا ايوب ان فتیان الحى
راغبون فى ان تلاعبهم على فرسك ، فقال ايوب اجل ، ثم
ان فتیان الحى ركبوا خيلهم ، فتناولوا قضباناً يترامون
بها ، وفيهم رجل شجاع قد تكفل لهم بغدر ايوب فلاعبهم
ايوب قليلا ، ولم يشعر الا والرجل خلفه قد شد عليه
بالرمح ، فتغافل عنه ايوب حين علم به ، فلما اراد ان
يضربه اتقى ايوب ضربته ، وشد عليه ايوب فقتله فحمل
على اصحابه فقتل منهم ثمانية ، ثم حمل أخرى فقتل ثمانية
أخرى ، فصاح ايوب بنساء الحى هل يكفيكن ، أو ازيدكن ؟
فقلن : قد اكتفينا ، قال فتوجه ايوب فمر بواد فوجد فيه

اسدا ولبوة وأشباههما، فشد عليهما بالسيف فقطع أرجلهما فتركهما يزحفان، واجتاز بحى من احياء البربر ، فقال يا اهل الحى من اراد منكم اللحم المكروه فليقصد الوادى عند السدرة ، فابتدر الحى الى الوادى فوجدوا الاسد واللبوة وأشباههما فطفق القوم يأكلون .

زهد مهدي وورعه وذكر بعض اصحابنا ان مهديا كان رجلا ورعا زاهدا فى الدنيا طالبا للآخرة ، وكان له أخ أو ابن خالة طالبا للآخرة من غير اعراض عن حظه من الدنيا ، فاختصما يوما بتاهرت الى الامام ، فقال ، مهدي : يا امير المؤمنين ان هذا اخى قد شغلته دنياه حتى كاد يضر بآخرته ، فقال الآخر : ان هذا اخى قد شغله رفض دنياه حتى كاد يضر بآخرته ، فاعرض عنهما ودعا لهما بخير .

ليست الدنيا عبوة الاخرة > ولما توجه الامام رحمه الله الى جبل نفوسة اصابه مطر بين منازل نفوسة وهو مرتحل ، فقصد دار مهدي فوجدها دار عابد زاهد ليست له رغبة فى الدنيا ، فلم يجد بها ما يقى عن نفسه القطر ، فرغب اليه ابن خالته الذى له حظ من الدنيا وسأله انتقال الامام ومن معه الى داره ، واعلمه ان ذلك ارفق بالامام لما هو فيه من اليسار ، واخف عن مهدي لما علمه فيه من الاقتار ، فاجابه سؤاله ، فخرجوا الى دار ابن خال مهدي ، ومهدي معه ، فلما دخلوا داره وجدوها دار ذى نعمة وبسطة ، وسعة رزق ، فخلع على كل واحد منهم ثيابا جديدة لم يصبها مطر ، وفرش فرشاً وثيرة واحضر أطعمة حفيلة ، وأظهر لهم من صنوف البر ما استحسسه الامام غاية الاستحسان ، حتى استدعى منه ان

قال لمهدى : الآن خصمك ابن خالتك (I) فيما اختصمتما ،
وبان ان حجته قامت على حجتك .

تنزوجه رغم فقره
اصلاحه

وبلغنا ان مهديا خطب امرأة بجبل نفوسة فاستشارت
فى أمره شيخا من المشائخ . فقال لها : ان مهديا رجل له
رغبة فى الآخرة وزهد فى الدنيا واجتهاد فى الصلاح وله
أرض كريمة محثوث لها سد فوق سد ، قد انهدمت سدودها
وخربت جسورها ، ولم تدعه نفسه الى اصلاح شئ منها ،
ولا يستطيع اصلاحها العدد القليل من الناس ، واران ان
يتزوجك ، فلا تصلح جسوره الا بتراب تنقله على رأسك
فزادها ذلك رغبة فيه وفى صلاحيته وتزوجها مهدي ، فلما
كان بعد ذلك بدهر ، زارها الشيخ فلم يجدها فى بيتها
فاعلم بمكانها ، فوجدها فى الحرث مع مهدي ، وهى تنقل
التراب على رأسها لاصلاح الجسور ، فذكرها الشيخ فيما
اعلمها من قبل به ، فحمدت الله على ما اعطاها من خدمة
ولي من أوليائه . قال الشيخ ابو العباس وانما ساق الشيخ
رحمه الله هذا الخبر قبله ليعلمك بمراتب الرجال وما
حووا من درجات الكمال ، وهم مع ذلك لا يعتورهم كبر
ولا استنكاف ، بل قد سلكوا سبيل من درج من اخیار
الاسلاف ، فالله ينفعنا ببركتهم اجمعين .

نزول الامام عبد الوهاب رحمه الله على مدينة طرابلس

حدث غير واحد من اصحابنا ان الامام رحمه الله أراد
المسير الى الحج فاخذ فى اهبه السفر ، ثم سار متوجها ،
فلما وصل الى جبال دمر استعمل عليها رجلا من أهلها

(1) اى غلبك فى الخصام

يقال له فزار ، ثم توجه الى جبل نفوسة ، فاجتمعت عليه جموع نفوسة فاخبرهم بما عزم عليه من تيممه الحج . فقالوا يا امير المؤمنين ان رأيت المقام فعلت ، فانا نخشى عليك من المسودة (١) ، فانهم ان علموا بمسيرك عن بلادك وتوجهك الى بلادهم لم تسلم من آفة تصيبك منهم ، من قتل ، أو سجن ، أو نكال . وقد تعين عليك القيام بأمور المسلمين ، والنظر فيما يجمع كلمتهم ، ويصلح شأنهم فاقامتك فيهم أكد ، وواجب . فقد علمت انك لم تغبت عنهم لضاعت الحقوق وتفرقت الكلمة ، قال فأرسل الامام رحمه الله الى اخوانه بالمشرق وكان المقدم في ذلك العصر في العلم والورع والفضل أبا الربيع بن حبيب ، رحمه الله وابن عباد المصري ، فلما وصلهم الرسل والقوا اليهما من القول ما دار بين الامام وبين جماعة نفوسة ، واخبروهما ان الامام يستفتيهما مستضيئاً علماً من نورهما ، مع ما وهب الله له من العلم ، معتمداً ان فتياً غيره في نازلة مختصة به أولى ، وانهى للنفس عن الهوى . فاجابه الربيع بان من كان مثلك في العناية بأمور المسلمين ومحل امانتهم وخاف على نفسه من أهل الجور والبغي ، فينبغي له ان يستأجر من يحج عنه وهو حي . واجاب ابن عباد بان من كان على هذه الصفة فليس عليه حج ، لان امان الطريق من الشروط التي هي مشترطة في وجوب الحج . فمكث الامام رحمه الله ينتظر رسله ، فلما قدمت الرسل بالجوابين أخذ بجواب الربيع وارسل من يحج عنه .

وأقام بجبل نفوسة في تلك الحالة سبعة اعوام يستدرجهم في تعليم مسائل الصلاة ، وانفصل عنه فيما ذكر

الامام يهتم في
دروسه بمسائل
الصلاة

(١) لقب المباسيين

قبل تكميلها . قال ابو العباس احمد بن الشيخ ابى عثمان سعيد ، وذلك لان نوازل مسائل الصلاة كثيرة ، وهى اول ما يحافظ عليه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد الصلاة » .

الامام عبد الوهاب
يحاصر طرابلس

قال وكان الامام رحمه الله لما صرف الرسل الى المشرق جمع جموعا كثيرة وعسكرا ونزل على مدينة طرابلس محاصرا لها ومحاولا دخولها فى الطاعة ، والمصير الى ما عليه اهل الحق ، فحاصرها اشد الحصار ، ثم رأى له الصواب فى الارتحال عنها فارتحل عنها .

الافتراق الثانى فى الاباضية

حدث جماعة من اصحابنا ان الامام رحمه الله لما اراد التوجه الى تاهرت اجتمعت جموع اهل بلاد طرابلس ، فسألوا واليا يوليه عليهم ، وأراد ان يولى عليهم بعض وزرائه فلم يوافق ذلك مرادهم ، ورغبوا فى ان يولى عليهم وزيره السمع ابن عبد الاعلى رحمه الله ، لما رأوا محبة الامام فيه ، وحسن ظنه مع كونه ابن امامهم . فلما علم الامام عبد الوهاب رحمه الله ان رغبته فى السمع ، اذ لا يقوم مقامه فى نصيحة وعناية وحسن محبة احد ، ثم قال لهم ومع هذا فانى أؤثركم به على نفسى ، فاستعمله عليهم وارتحل الى تاهرت . فلما ولى السمع على حيز طرابلس احسن فيهم السيرة ، وعدل فى احكامه ، فصلحت احوالهم فلم يزل مقرا بامامة عبد الوهاب وناصحا له فى رعيته حتى حضرته الوفاة ، وقد كانت عماله على نواحى طرابلس

تولية السمع ابن
ابى الخطاب
عبد الاعلى عاملا
على نفسه

سالكين مسلكه ، فى حسن السيرة ، فاجتمع اليه اصحابه فقالوا له : اوصنا وأمرنا بأمرك ، فانا مطيعوك فى الحياة وبعد الممات ، فانك لم تال بيننا رشدا جزاك الله عن رعيته وعن الاسلام خيرا . فقال لهم السماح رحمه الله اوصيكم ونفسى بتقوى الله ، والعمل بما أمركم به ، والانتهاى عما نهاكم عنه ، وطاعة امامكم عبد الوهاب وتأييده ما دام على الحق الذى عليه سلفه ، وجهاد من خالفه ، فبذلك تستقيم احوالكم ، وينتظم شملكم ، ويتم خير دينكم ودنياكم . وتوفي رحمه الله ، فلما توفي عظم مصابه وبلغ فى الناس فقده مبلغا عظيما . وخلف ولدا اسمه « خلف » فلشدة محبة الناس فى السماح وعظم منزلته فيهم أحسنت العامة الظن « بخلف » وأراد من ليست له بصيرة فى الدين ولا نظر فى العواقب توليته عليهم ، فقال أهل البصائر : لا ينبغي لكم ان تفتاتوا على امامكم فى شىء مما قلده الله من امورك ، وولاه من صالح جمهوركم ، فقال ذووالعقول القاصرة : اما ان فعلنا ذلك رجونا ان يكون وفق ارادة امامنا ، وقال فريق منهم : نوليه على انفسنا ريثما يصل من الامام أمر نقف عنده ، فان اثبتته اثبتناه ، وان عزلته عزلناه . فابى ذلك كله أهل الصلاح كابى منيف اسماعيل بن درار الغدامسى وابى الحسن ايوب ، وامثالهما . فغلبت العامة وولوه من غير اذن الامام ، ولا رضى من أهل الصلاح فولوه على انفسهم . وكاتبوا الامام بموت عامله ، واقامتهم ولده مقامه ، على انه ان اجاز ذلك اجازوه والا عزلوه . فلما وقف على ما خاطبوه جاوبهم بما نصه :

بولون ابن السوال
دون استشارة الامام

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

« اما بعد فانى آمركم بتقوى الله تعالى ، والاتباع بما
مركم به ، والانتهاه عما نهاكم عنه ، والذي كتبتمونى به
من وفاة السمع وتولية بعض الناس خلفا ، خلفا
منهم ورد أهل الخير ذلك ، فان مولى خلفا بغير اذن امامه
قد أخطأ سيرة المسلمين ، ومن ابى توليته فقد اصاب ، فاذا
اتاكم كتابى هذا فليرجع كل عامل استعمله السمع الى
عمله الذى ولي عليه ، الا خلف بن السمع ، فحتى يأتية امرى
وتوبوا الى ربكم لعلكم تفلحون » .

فلما وصل جواب الامام أهل بلاد طرابلس بما تضمنه
من رد العمال الى اعمالهم ، وتخطئة من ولى خلفا ، وتصويب
من توقف عن توليته ، قلقوا فكتبوا الى الامام يراجعونه في
أمر خلف ، ويسألونه ان يجيز توليتهم اياه . فجواب رحمه
الله بكتابين احدهما الى الجماعة ، والآخر أفرد به خلفا ،
يعلمهم ان ذلك لا يسعه من قبل الله تعالى ، وانه لا سبيل
الى بقاءه على عمل . ثم اقتضى نظر الامام رحمه الله ان
يوجه امناء من قبله الى جهة طرابلس مختبرين لاحوالها ،
وعلم (١) اليهم بتولية خلف على جهات طرابلس ان وجدوه
قد اعتزل واطاع الله ، وامر التقدمة . وان هم وجدوه
مصرأ على الخلاف نابذا امر الامام وراءه ظهريا ، رفضوه .
واخبروا أهل الصلاح بان امامهم برىء منه ، فليجتنبوه ،
حتى يحكم الله فيه وهو خير الحاكمين . قال فوصل امناء
الامام فوجدوا خلفا فى عتوه واستنكاره ، فدفعوا له كتابا

(١) يريد عهد اليهم وامرهم

بالاعتزال ، فابى . وشايعة على ذلك اصحابه الذين ولوه
وانهم لما وصل كتاب الامام بتخطئتهم كتبوا الى ابى سفيان
محبوب بن الرحيل كتابا وجهوه اليه بالمشرق ، وهو اذاك
رأس جماعة أهل الدعوة هنالك ، والمقدم عليهم بعد
انقراض طبقة الربيع ومعاصريه ، رافعين اليه ما صدر عن
الامام فيهم ، وقدروا ما هم عليه من اصابتهم بزمعهم ،
وحسنوا تولية خلف ورجوا ان يكون منه جواب يوافق
نظرهم الفاسد ، فوصلهم جوابه رحمه الله بتخطئتهم
وتصويب من امتنع عن توليته ، وتوجب طاعة امامهم .

هؤلاء يبطلون طاعة
الامام بحجة انه
ليس في حوزتهم

فلما وصلهم جواب محبوب بما خالف موافقهم نبذوه
واخذوا في مسلك طرق الضلال ، حتى اعلنوا بنبذ امامة
عبد الوهاب وقالوا ما هو لنا بامام ، وانما امامنا خلف ،
اذ هو في حوزتنا ، والحافظ لجماعتنا ، والجامع لكلمتنا . واما
عبد الوهاب فانه في حوزة غير حوزتنا ، وغير أهل لجماعتنا ،
فبرا منهم أهل الدعوة وليس بيننا وبينهم خلاف الا في
مسألة الاقرار بامامة عبد الوهاب .

استعمال أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني

رحمه الله ومعاربته خلف بن السمع

الخبيث بن الطيب

ذكر جماعة من اصحابنا ان عامل الامام عبد الوهاب
رحمه الله ابو الحسن ايوب ادركته منيته فكتبت نفوسة
ومن حولهم من بلاد طرابلس الى الامام ، يخبرونه
ويستدعون منه استعمال عامل ، فكاتبهم بان يعلموه برجل
يرضى لاعمالهم وتتفق عليه كلمة أهل الفضل منهم ،
فسموه له ، فكاتبوه باتفاق كلمتهم على ابى عبيدة عبد

الحميد الجناونى ، فكتب بتوليته على اعمالهم والنظر فى امورهم ، ولا علم له بما ارادوه . ونفذ به امر الامام فاجتمعت جموع أهل بلاد طرابلس من نفوسة وغيرهم على ابي عبيدة ليسمعوا منه ويطيعوا ، فلما قرأ كتاب الامام تنصل من الولاية وقال : انا ضعيف قالها مرارا فكتب الى الامام متنصلا ومقرا بالعجز والضعف . فلم يقبل منه الامام عذرا فكتب اليه بالاقامة على ما ولاه من القيام على امور المسلمين .

وكتب فيما كتب به اليه « ان كنت ضعيفا فى المال فبيت مال المسلمين تقويك ، وان كنت ضعيف البدن فالحق يقويك وان كنت ضعيفا فى العلم فعليك بابى زكرياء اللالوتى فاستعن به فيما يستقبل من امورك » . فاجتمعت عليه أيضا الجموع فقال لهم انتظرونى ، فغاب عنهم ما يدرون ما يحاول فسار الى عجوز نفوسية مشهورة بالعلم والدين والصلاح ، فاستشارها فى تحمل ما تقلد أو الفرار ، فقالت له هل تعلم فى بلادك من أهل زمانك أقوم منك بما كلفت به واحق بتقليد ما تقلدت ؟ قال : اما فى امور الرجال فلا ، قالت فادخل اذا فيما قلدك الامام ، والا فانى اخشى ان تهشم عظامك فى نار جهنم ، فقد قامت عليك الحجة ، فرجع اليهم وتقلد ما قلده من امورهم فكانت جماعة نفوسة يذكرون فضلها ، ويعترفون بها .

الامام يقول لابي عبيدة :

ان كنت ضعيفا فالحق يقويك

الهروب من المسؤولية بعد قيام الحجة الم

فلما ولى عبد الحميد احسن السيرة وقام بحقوق الله عزوجل وعمل بطاعته . فلما سمع خلف بن السمع بتولية الامام عبد الحميد بلغ ذلك منه مبلغا عظيما ، واستكبر ، واستخف اشياعه من الضلال فاطاعوه ، وجعل يشن الغارات على رعية عبد الحميد ، ويدس اللصوص ، فوجه اليه

أبو عبيدة عبد الحميد يأمره بالكف عن الرعية، فلم يكف ، فكتب ابو عبيدة الى الامام يخبره بما نزل بالرعية فكتب اليه الامام ان يعامله بالملاطفة والملاينة ما استطاع ، لعله يتذكر أو يخشى ، فقال له : ان لم تجد بدا من المدافعة فدافع عن الرعية . فمكث يلاطفه حيناً الى ان ورد عليه الخبر بوفاة الامام رحمه الله .

امامة افلح بن عبد الوهاب رحمه الله

ولما توفي عبد الوهاب تدانى العدو من تاهرت طمعاً في الاستيلاء عليها ، ورجوا الظفر بها وباهلها لما ظنوه من عجزهم عن المدافعة، اذ اضحوا بلا امام، فابتدر جماعة أهل الدعوة ، فبايعوا افلح بن عبد الوهاب ، فعمدوا له الامامة فكان ميمون النقية، فسكن الله به البلاد ووقيه من الفساد . ولما بلغ ابا عبيدة موت الامام وتولية ابنه افلح الامامة ، كتب ابو عبيدة الى افلح يستشيريه في امر الخبيث بن الطيب ويستأذنه الدفاع ، فكتب اليه بمثل ما كتب به ابوه رحمه الله .

استفحال المشايخين
في نفوسة

فلما بلغ خلفاً وفاة الامام وتولية افلح انف واستكبر ولم يقر بامامته ، ولا دان بطاعته ، وانحاز بمن معه الى موضع يقال له « تيمتى » فسلط اشياعه على الطعام ، وشن الغارات على راعايا الامام ، واستباح الاموال ، واخرب الديار ، وقتل الرجال . حتى قتل عدة من اصحابه ، يحسب انهم من رعية ابي عبيدة عبد الحميد ، ثم عظمت صولته واشتدت شوكته حتى استمال كثيراً من الناس فمالوا اليه ، واكثر ميلهم خصب جانب خلف ، وجذب حيز ابي عبيدة ،

فكانوا معه طلبا لمعاشهم ورغبة فى الدنيا وكانوا معه على رأيه وبدعته .

ولما رأى قلة اصحاب ابى عبيدة وكثرة من معه من الضلال سولت له نفسه الخبيثة انتهاز الفرصة ومبادرة ابى عبيدة واصحابه ليستأصل شافتهم ، فجمع عساكره وتيمم أبا عبيدة فلما سمع به أبو عبيدة امر اصحابه بالخروج فخرجوا . فعسكر ببعد من الجبل ولما تدانى العسكران بعث خلف رعيلا من خيله نحو أربعمئة فارس ، فهم اصحاب عبد الحميد بان يخرجوا الى محاربتهم فمنعهم عبد الحميد من ذلك رقبيا ما عند الامام ، وطلبا للسلامة ، فقصدت الخيل قرية يقال لها « ويدوف » من رعية عبد الحميد ، فانتهبوا ما امكنهم من الاموال وقتلوا ما قدروا عليه من الرجال ، وكان اكثر الخيل اخذه خلف وأهل بيته ومواليه ومماليكه .

محاربة عبد الحميد
الجنائى خلف

فلما تحقق عبد الحميد بغيهم ولم يجد بدا من قتالهم أمر اصحابه بقتالهم . فالتقوا وانهزمت خيل خلف وقتل منهم عدد كثير . فاراد اصحاب عبد الحميد اتباعهم فنهاهم عن ذلك . واحسن السيرة ولما رأى خلف ما اصاب اصحابه من الهزيمة والقتل ، كر راجعا الى الموضع الذى منه خرج وهو موضع يقال له تيمتى فأقام به ، ورجع عبد الحميد الى موضعه وامر اصحابه بالرجوع الى مواضعهم ، وظن ان القوم لا يريدون بعد ذلك بأسا ، ثم ارسل الى خلف اذا ما فعلت ما فعلت فكن فى حيزك ، واكون فى حيزى ، وضع الحرب ، فابى خلف الا المحاربة وجعل يشن الفسارات على رعية عبد الحميد ، وسلط عليها من يسومها أنواع العذاب لا يالوا فسادا وقتلا فى الاموال ، والانفس ، ثم ان خلفا ازدهى بكثرة من اجتمع له من العدد ، فامر ابو عبيدة

اصحابه بالخروج ، فخرجوا وهم فى عدد قليل ، ولكنهم اهل بصائر يموتون على ما بايدىهم من الحق . لا يأسفون على ما سفاتهم من دنياهم ولا يمدون زائدا الا تقوى بهم ، ولا مطلبا الا ما يقدمونه لأخراهم . وقد اختلف فى عددهم ف قيل سبعمائة وقيل عدد اصحاب بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ، فاقبل خلف بمن اجتمع له وقد غره بالله الغرور ، ولم يدر « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » فجاء فى أربعة آلاف فارس فارس الى ابى عبيدة رسولين بخلع ولاية افلح ويقر له بالولاية ، فلما قدم رسوله بذلك الى ابى عبيدة حاجهم ابو عبيدة فى امر الائمة ، فقال : هل احدث افلح أو ابوه فى الاسلام حدثا يحل لكما معه خلع ولايتهما ؟ واحتج عليهم بطاعة السبع لعبد الوهاب رحمه الله ، فاعتلا بانقطاع الحوزات ، فقال لهما : السبع قد اقر بطاعته على اختلاف الحوزات ، فقال له احدهما انا نخاف ان لم نجب الى طاعة هذا الرجل هراقة الدماء ، فقال ابو عبيدة : ايهما اعظم هراقة الدماء أم اترك للقيام بدين الله تعالى ؟ فقال له الرجل : هراقة الدماء اعظم ، قال له عبد الحميد : لو كان الامر كما ذكرت ما افترق اصحاب النهر وان وغيرهم ، واصحاب النخيلة ، وابو بلال واصحابه ، وعبد الله بن يحيى ، وابو حمزة واصحابهما ، وابو الخطاب ومن معه ، وابو حاتم ومن تبعه ، ولأذعنوا للطاعة دون هراقة الدماء ، انما قاتلوا وقتلوا فى القيام بدين الله ، ولم ينكلوا خوفا من اراقة الدماء بل قد بذلوا مهجتهم ، مجاهدين على آثارهم خير مقتدمين ، لا نبى عنهم بدلا ولا عنهم حولا . فمن حاول منا غير ذلك فالله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ، ثم قال للرسولين : فان استعظمت هراقة

تطيل احكام الله
اعظم وزرا من
هراقة الدماء.

الدماء ، فارجعوا الى صاحبكما فقولوا له : ان هذا يوم الخميس فدعونا ، فاذا كان غدا يوم الجمعة نصوم لله تعالى ونطلع ، أنا ، وهو ، وابو المنيف اسماعيل بن درار ، فنبتهل فنجعل لعنة الله على الظالمين ، ونسأل الله ربنا ان يفتح بيننا وهو خير الفاتحين .

٢ أخبار القتال الذي جرى بين الطائفتين

فرجع الرسولان الى خلف فاخبراه بما جرى بينهما وبين ابي عبيدة من القول فامر خلف عساكره بالتهيء للقاء ابي عبيدة ، فلما قرب عسكره عسكر ابي عبيدة ، تقدم رجل من اصحاب خلف ممن يرى تصويب ابي عبيدة واصحابه تعميل نفسه اليهم ويشفق عليهم ، فقال لابي عبيدة : تنح باصحابك الى سفح الجبل فان كانت الدائرة لكم ادر كنتم ما رجوت ، وامنتم ما خفتم ، وان تكن عليكم كنتم في حصن ولا يضركم ذلك . فقال ابو عبيدة لاصحابه هذه نصيحة قد اخرجها الله من عدوكم وعدوه ، فامر اصحابه بالتنحي ، واسندوا ظهورهم الى جبل فظن خلف ان ذلك على جنبين وهلع فقدم سرعان خيله ، ورعيان رجله ، فلما جاء والعساكر على اثره ، وغشوا ابا عبيدة دعا ابو عبيدة بوضوء فتوضأ مستترا برجال ، وصلى ركعتين وابتهل وتضرع الى الله تعالى عز وجل ، وسأل ان يقل شوكتهم وقال : « يا من لم اعرض عنه منذ استقبلت امره لا تفرق هذه العصاة على يدي » وبلغنا ان رجلا من اصحاب خلف دنا من عسكر ابي عبيدة فقال لرجل منهم ما الذي اوقفكم ؟ قال وقفنا ندعو الله ، فقال الخلفي فما بال السلاح ، فقال للدفاع في سبيل الله ، قال من تدفعون ؟ فقال : ندفع من بغي علينا ، فقال له آخر من اصحاب ابي عبيدة لصاحبه مالك انت له القول ؟ فقال له : طمعا في

الصلح ورغبة في تأخير بعض الشر، يا اخي، ثم تدانى القوم بعضهم من بعض ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وذلك فى عشية الخميس الثالث عشر من رجب سنة احدى عشرة ومائتين ، قال وكان فى عسكر ابي عبيدة رجل شجاع ، حاذق بالطعن يقال له العباس ، ولد ايوب بن العباس ، فنظر اليه ابو عبيدة فرآه يضرب يمينا وشمالا ، وقد حمى الميمنة والميسرة والقلب ، فقال ابو عبيدة وقد ركزه انه لحي المعقبات ، وقاه الله نار العقاب ، وذكر عن العباس انه ضرب رجلا بسيفه فأطار رأسه ، وقال العباس للرأس : الى النار وقال الرأس : وبئس المصير ، وكان ممن يكثر النسك والاجتهاد قبل ذلك ، فقال العباس : هذا جسد كنت ادعوه بالجنة زمانا ، وانه لمن وقود النار ، انا لله وانا اليه راجعون ، نسأل الله خواتم الخير .

ثم انهزم اصحاب خلف واسرع القتل فيهم ، فقتل منهم عدد كثير ، فأمر أبو عبيدة اصحابه ان لا يتبعوا مدبرا ، ولا يجهزوا على جريح ، واحسن فيهم السيرة ، فانحاز خلف وبقية اصحابه الى الموضع الذى يقال له تيمتى ، وامر باخراج جميع من فيها من نفوسة ، واجلهم ثلاثة ايام ، وقال من وجد فيها بعد الثلاثة ايام فمهدور الدم ، وباجراج اليتامى ، والارامل ، ومن لا ذنب له ، فخرجوا من ديارهم كرها . ولما رأى اصحابه ما نزل بهم من خسار الدين والدنيا ، تفرقوا عنه الا قليلا منهم .

ثم سار من تفرق عنه منهم يقرأون على أبى عبيدة السلام ، تائبين ، فمن جاء منهم قبل توبته ، فاوهن الله شوكة خلف فلم تكن له بعد ذلك حركة ثم مات فى زيغه ثم ابنه مات ، ولم تكن له حركة . ثم ولد ابن خلف بعدها

فانحاز الى جزيرة جربة وما جاورها ، وسنذكر خبره اذا
وصلنا اليه ان شاء الله .

ايام الحج كانت
ايام استقرار

ثم ان الامام افلح رحمه الله تمكن في امامته واستقامت
له الاحوال واستقامت به ، ولم يبق في ايامه بعد خلف
منازع ولا في جهاته طالع ، وبلغنا انه كان في العلوس
متفقا وعلى انواعه متطلعا ، ولقد ذكر انه كان يجلس
لأربع حلق وذلك قبل بلوغه الحلم . وقام أبو عبيدة على
ما ولاه الامام ملازما طاعة الله وحفظ ما اوجب عليه
حفظه ، من حدود الله وحقوق رعيته الى ان توفي رحمه
الله . ثم استعمل الامام رحمه الله العباس على ما كان عليه
عبد الحميد ، فأحسن السيرة وعامل رعيته بما عاملها به
ابو عبيدة عبد الحميد من الرفق والحنان والعدل والاحسان
الى ان توفي العباس رحمه الله .

الافتراق الثالث في الاباضية

خروج نفاث وهو فرج بن نصر

حدث غير واحد من اصحابنا ان الامام رضى الله عنه
استعمل على قنطنار ابا يونس وسيم بن يونس النفوسى ،
فولى قنطنار وما والاها ، فأحسن السيرة . ووسيم هذا
من نفوسة الجبل ، ومنها خرج تخرجنا من تباعات الناس ،
وذلك انه كان له اماء يحتطبون من غير املاكه ، فخرج ذات
مرة لما شعر بذلك فوجد المواضع التى يحتطبون منها قد
دمرت وتهدمت جسورها ، لاستنقاع الماء بها لما صنع الامام
فلم ير السلامة الا فى الهروب بدينه ، فولاه الامام قنطنار
لما علم من صلاحيته وورعه ، وكان له ابن اسمه سعد ،
وكان ذا فهم وذكاء ، فسار سعد الى تاهرت ليطلب العلم

بها فكان هو ونفاث بن نصر يحضران معا مجالس الامام رحمه الله : يقرآن عليه ، فكان كل واحد منهما يجتهد ويجهد نفسه في دراسة العلم ، حتى حصل ما رأيا فيه مقنعا ، وتشوقا الى بلادهما ، وذلك بعد وفاة وسيم ، فخرجا متوجهين الى بلادهما . وكان الامام لما بلغه موت ابي يونس عازما على استعمال عامل يلي جهات قنطنار ، فنظر في ذلك فلم ير له اهلا الا سعدا لما تحققه من صلاحيته واختبره من حسن حاله ، فكتب كتابا باستعمال سعد ، فطواه ، وختم عليه بخاتمه ، وأودعهما اياه ، ولم يعلمهما أيهما العامل . وقال لهما حين دفعه اليهما : لا تفكاه حتى تصلا قنطنار .

فلان يخالف الامام
وينتقمه

فسارا فلما كان ببعض الطريق غلب الشره على نفاث فاستخفه حب الرئاسة ، فاستغل سعدا وتخلف الى رحلهما ، فنقض خاتم الكتاب وقرأه ، فوجد سعدا هو العامل ، فظنت نفسه الظنون ، واعتقد العداوة واضمر الغش لاستعمال الامام سعدا دونه ، ولما وصلا قنطنار قرأ بها كتاب الامام ، فسمع اهلها واطاعوا ، فاقام سعد واليا عليهم ، محسنا للسيرة ، عاملا بطاعة الله عز وجل ، وتمادى نفاث الى بلاده ، فسئل عن الامام واحواله ، فاعطى الطعن فيه ، وقال انه اضاع امور المسلمين ويزيد في الخلفة اذا مشى ، ويلبس الطرطور ، ويخرج الى الصيد ، ويصلى بالاشبور (1) ، فبلغ الامام طعنه فيه ، وارسل الامام اليه بان يحضره بما نقم عليه ، فقال ان كان ما تقول حقا قبلنا ورجعنا اليه ، وان كان باطلا فايه ، وهذه الكلمة فيها معنى الوعيد ، فلما بلغ ذلك نفاثا ، قال ايه من السلطان هو القتل .

(1) في بعض النسخ الثبور

وله مسائل انتحلها لا أصل لها منها زعمه ان الخطبة بدعة ومنها قوله ان ابن الاخ الشقيق أولى بالميراث من الاخوة للاب، وانهم يحجبونهم ، ولما انتشر ذلك عنه وسمعه مشائخ أهل الدعوة ، قالوا لو لم يكن له جرم الا فتياه هذه لكان بها أهلا للضلال ، فكيف والضلال محيط به في جميع الاحوال، فمن مذموم احواله ما بلغنا انه دخل قرية وجاء الى دار رجل من اهلها فلم يجده فانصرف ، فلما اتى صاحب الدار اعلمه اهله بمجيء نفاث يسأل عنه ، فابتدر الرجل وركب دابته وخرج يطلب نفاثا ، ليرجع الى مذهبه ، فسار الى الليل فادرك نفاثا في ظلمة شديدة ، ونفاث لا يراه فسمع الرجل نفاثا يعاتب نفسه ويقول : ضللت وأضللت يا نفاث ، فحمد الرجل ربه ورجع الى اهله ، واقام على مذهب اهل الحق ، وبلغنا ان ابن اخت لنفاث اتاه فقال له : عبر لي رؤيا رأيتها ، رأيت رجلا جمع شعيرا فجعله صبرة كبيرة فرقي سنور اعلاها ، فقال له ذلك رجل جمع علوما فاستولى عليه الشيطان ، فقال انت هو الرجل يا خالي .

ثلاث صاحب علم
وذكاء ولكن حرم
التوفيق

وبلغنا انه بلغ مبلغا عظيما في تحصيل العلوم واوتى فهما ، الا انه فسد ذلك بما طبع عليه من الحسد ، وغلب عليه من حب الخوض في غمرات الدنيا ، فمن فهمه ان امرأة سألته عن بيض طاهر طبخ في ماء نجس ، هل سينجس البيض ام لا ، فقال لها قفي مكانك حتى اخرج اليك ، فدخل الدار واخذ نيلجا فجعله في ماء ، وطبخ فيه بيضا حتى نضج ، فلما قشر البيضة وجد لون النيلج قد خلط الى داخل البيضة ، فعلم ان القشر لا يمنع النجس فخرج الى المرأة ، فاعلمها ان البيض غير طاهر . وبلغنا ان سمدا خرج في اثر نفاث ليتلافى اهل جبل نفوسة ، قبل

استفساد نفث ، ثم شرع فى بناء دار مجاورة لنفسه ، وجعل اخوانه يحسنون عونه فى البناء ، وفى اثناء ذلك لم يزل نفث يلازم العمل معه بيده ، وكان يحسن صناعة البناء فكلما رأى ذلك منه خاف توهم النفوسيين انه راض عن نفث ، فكان يقول له بمحضر جمعهم الى متى انت مقيم على كفرك يا نفث ؟ فقال معاذ الله من الكفر (١) يا شيخ فاذا خلا سعد باصحابه قال لهم ، ما كان جزاء من يحسن عونى ان اعامله بقبح من القول ، ولا ان اقبله الا بالاكرام ، وانما خفت ان يراه معى اهل الموضع فيحسنون به الظن ويجد سبيلا الى فتنتهم .

نفث فى بلاد
العباسين

وذكر عن نفث انه توجه الى ارض الشرق ووصل بغداد ومكث فيها زمانا وكان يستأنس برجل من أهل بغداد ، ويجالسه وبينما هما ذات يوم جالسان ، اذ سمع نفث مناديا ينادى فقال لصاحبه ما هذا ؟ فقال مسألة وقعت فى مجلس امير المؤمنين ، فمن اجابه عنها فله سؤاله ، ومناه فقال له نفث انا اجيب امير المؤمنين عن مسألتك ، فقال له صاحبه اخشى عليك من القتل ان لم تجبه بعد تكلفك بالاجواب . فقال له بل اجيبه عن كل ما سأل . فاجتاز به خدمة السلطان وانطلق معهم فلما مثل بين يديه سلم عليه فقربه السلطان فسأله عن احواله ، وبلده ونسبه ومولده ، فقال له نفث : يا امير المؤمنين أنا رجل من البربر والبربر لا أدب عندهم فان رأى امير المؤمنين الصفح عن العبد ان أساء والتجاوز عنه ان بدا منه الجفام فعل ؟ فقال له السلطان : قل ما بدا لك

(١) لا تنس ان الاباضية تطلق كلمة كفر على اقتراف المعصية والاصرار على الذنب على حد قول الرسول عليه السلام للصحابه (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)

فسأله السلطان عن المسألة فاجاب عنها ، ثم سأله عن مسألة أخرى فاجاب ، ثم سأله عن أخرى فاجاب ، وذلك بمحضر الفقهاء الاكابر من أهل بغداد ، فطفق كل منهم يسأله فيجيب حتى نفذ السؤال فلم يقف عن جواب . فتنظر اليه السلطان نظرة مزدر برثاءة حاله على ما اوتى من العلم ، فقال نعم العسل فى ظرف سوء ، ففطن به نفاث ، فقال معرضا : ونعم الرجل فى قبر سوء ، يعنى ديوان جابر بن زيد رحمه الله فانه فى خزانة السلطان لا ينتفع به احد ، ففضب السلطان لذلك وهم به . وتذكر ما قدم من اذنه فى ان يقول ما شاء ، فامسك ، ثم انه قال له : سل حاجتك ، فقال له حاجتى ان تهب لى ديوان جابر بن زيد رحمه الله (١) لاستنسخه ، فاجابه السلطان الى ذلك . فلما خرج نفاث قال للسلطان بعض وزرائه ، يا امير المؤمنين هذا ديوان معدوم غير موجود الا فى خزانتك ، فكيف تسمح به لسواك فيخرجه فيصير فى غير خزانتك ، وفى غير بلدك ، ويزاد به هذا المغربى فخامة . ما هذا برأى ، فقال لهم انى قد وعدت الرجل ومثلى لا ينبغى له ان يخالف وعدا ، فما الحيلة فاشار عليه احدهم ان يخيره فى يوم وليلة مقبلة من ايام اقامته فينسخ فيهما ما قدر عليه ، ففعل ، فاختار يوما وليلة واعلمه بهما ثم اعد جميع ما قد رأى ان فيه كفاية ، من حبر واقلام مبرية ، وورق وكاغد واستأجر جماعة من الوارقين . فلما كان اليوم الذى عزم فيه على أخذ الديوان وقد هيا كل ما يحتاج اليه ، فرق الديوان على الوارقين ، وجعل لكل ناسخ دينارا ولكل ممل نصف

يظهر بديوان جابر
ابن زيد فى بغداد
ثم يدفنه بعد

(١) هو الامام الجليل والمحدث الثقة ، وهو أول من نقل عنه المذهب الاباضى ويبدو ان ديوانه هذا مجموع الاحاديث والآثار المروية عن الصحابة على الطريقة الاولى التى انتهجتها كتب الحديث ، وتوفى رحمه الله سنة ٩٦ هـ

دينار ، فلما كان آخر النهار استدعى آخرين ، وجعل لكل ناسخ دينارين ولكل ممل ديناراً فالاجرة الاولى على عمل النهار ، والاخرى على عمل الليل ، فما انقضى الليل الا والديوان كله قد كمل نسخه ، الا سفراً واحداً . فجاءه رسول السلطان يطلب الديوان ، فدفعه الى من تناوله له ، وأبقى في يديه السفر الذى لم ينسخه ، فشقه فى مجلس السلطان مرة واحدة فحفظه كله ، فاعلم السلطان بذلك فامر بامتحانه فاخذ منه الكتاب فقرأه سرداً بلا نظر ، فعجب السلطان بذلك ، ففصل نفاث من مجلسه فاملاً السفر على من نسخه فكمل له الديوان ، واعملت الحيلة فى القبض عليه . واعمل هو حيله فى التخلص ، وسلك طريقاً مجهولة ، حتى نفذ الى بلده ومعه الديوان . قيل بانه سبعة احمال . فلما وصل الى بلاد طرابلس وجد اصحابه الذين ضلوا لضلالاته قد قلوا وضعفوا ، فسأله فانه وخشي ان اظهر الديوان تكون جماعة اهل الدعوة هم المنتفعون به ، فلم تسمح نفسه الخبيثة باظهاره ، فحفر حفرة ودفن فيها الديوان بحيث لا يعلم له موضع ، ففقد الى يومنا هذا ، ومات نفاث وكان بدم امره نفاقاً وكفراً وعاقبته حسداً ، فنعمذ بالله من علم لا ينفع وعمل للكلم الطيب لا يرفع، ولم يبق ببلادنا من يقول بقول نفاث وينصر حجته الا فريق من مطماطة فمَنهم من بالجمعة ومنهم بالجليل واليه ينسبون، فيقال لهم النفاثية، فوقى الله الامامة شره ، ودحض عزه .

وفاء الامام السج — واقام الامام رحمه الله بتاهرت سالمة ايامه من الشوائب متصفاً بجميل الخير وحيد المناقب ، رادعاً لكل باغ وظالم لا تأخذه فى الله لومة لائم ، الى ان توفي رحمة الله عليه وولاية اجهابى بكر

وكانت مدة امامته ستين سنة . فولى بعده ابنه ابو بكر
وكان ابنه محمد غائباً بارض المشرق لقضاء فريضة الحج
فدل عليه واخذ بمكة وحمل الى بغداد وسجن بها حيناً ، ثم
اطلق واحسنت جائزته ، فتوجه يريد المغرب ، فزعموا
انه لما انفصل من بغداد كان ببغداد من اهل التعديل من
اعلمهم انه سوف تكون له ولاية ، فجدوا في طلبه يريدون
به شراً ، فنجاه الله من شرهم ووصل الى تاهرت فوجد
اهلها مجتمعين في امر ابى بكر لما بينه وبين ابن عرفة .
وذلك ان ابن عرفة من اعيان اهل تاهرت فكانت بينه وبين
ابى بكر واقعة افضت الى حرب وكاد الافتراق ان يقع
والفتن لا ترفع بينهما ، فبينما الناس في ذلك اذ أصبح
ابن عرفة قتيلاً . فنسب الى ابى بكر وهذا ما منع من وقوع
الاتفاق على طاعته ، فلما يسر الله بقدم محمد كان رافعا
للخلاف ، وقاطما لقبائح الاوصاف فاعتزل ابو بكر الولاية
وانسلخ منها . ولم يجد الناس لمحمد محيدا عنها ، فعقدوا
له بيعة ، والتزموا سماعه وطاعته .

امامة محمد بن افلح بن عبد الوهاب

رحمه الله

حدث غير واحد من اصحابنا ان محمدا بن افلح اجمعت
على توليته جماعة المسلمين ، فولوه على انفسهم فلم يختلف
عليه اثنان ، وبلغ الغاية في العدل والفضل والاقتداء
بمن سلفه ، فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون ايامه
وسيرته الا بأيام جده عبد الرحمن وسيرته وذلك انه هم
اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد ، فطائفة يصلون ، وطائفة
يقرأون الكتاب ، وطائفة يتذاكرون في فنون العلم ، ومكث
في امامته اربعين سنة على هذا الحال ، محمود السيرة مجتهدا

فى الصلاآ قائما بالآق قاضيا بالعدل الى ان علت سنه ورق
عظمه ، وتوفى رحمه الله ، وله تأليف فى الرد على اهل
الآلاف لا يشق فيها غباره ولا تياره ، فولى بعده ابنه يوسف
ابن محمد بن افلآ رحمه الله .

امامة يوسف بن محمد بن افلآ رحمه الله

ولما مات محمد رحمه الله ولى ابنه يوسف ، فمكث فى
الامامة اثنى عشر سنة ، وقد اطردت له الامور ، ولم يبيع
عليه احد من رعيته فى أمر من الامور ، وكان عامله على
آبل نفوسة ابا منصور الياى على ما كان عليه فى ايام
ابيه ، وايام آده ، وكان قاضيه اذاك عمروى بن فآآ
رحمه الله وكان عالما كبرا وله توأليف فى الاصول
والفروع . وكان قد عزم على ان يؤلف تأليفا مرضيا على
ثلاثة قواعد : الكتاب ، والسنة ، والرأى ، ويجعل كل
قاعدة بمعزل فادركه آجله عآلا قبل تأليفه « فانا لله وانا
اليه راجعون » ، وفى ايام يوسف كان طلب أبى منصور
ولد ابن آلف على ما سأتى ذكره . وذلك ان ابا منصور
كان فاضلا مستآاب الدعاء ، ذا كرامات ، ذكر عنه انه
اذا آرج فى عسكر ركب بغلة وكان لا يتقى النبأل ،
وكانت النبأل تتآادى عنه وعن بغلته يميأا وشمالا ، وهو
مقتآم آروب ، لا يقع شىء منها عليه ولا عليها ، قلت
ولعل ركوبه البغلة لان ينشط العامة ، ويشآهم ولان
يعلموا انه لا يآآ نفسه بفرار فيتأسوا به ، وان كانت
البغلة ليست بمركوب لمقتآم آروب . وآآ يعقوب بن
ابى يعقوب ان ابا منصور رحمه الله آرج فى طلب ولد
ابن آلف فى آخر ولاية الرستميين وقد هرب منه وسار الى

ابو منصور الياى
واغباره

ابو منصور يحاصر
خلفا واتباعه في
مدينة جربة

زواغة والتأمت زواغة . واجمعوا ان يمنعه ، وكانوا على
مذهب ابيه فسمعوا قوله واطاعوه واقبلوا مجيبين دعوته
الى ان من الله عليهم بأبي منصور فردهم عن مذهبه ، الى
مذهب الحق حسبما يأتي ذكره ان شاء الله ، قال فسار ابو
منصور بعسكر من نفوسة فلما وصل ربيعة بخارج جزيرة
جربة وجد بها جموع زواغة ، في اعداد كثيرة محدقين على
ولد ابن خلف ، عازمين على منعه من ابي منصور ، قال :
فقام فيهم شيخ من بنى يوراسن يقال له ابو سلامة ، فقال :
يا معشر زواغة عندى لكم نصيحة ، وذلك ان تختاروا واحدة
من ثلاثة اما ان تتركوا بادية زيرة ، وتدخلوا جزيرة جربة
فتمتنعوا باخوتكم وتمنعوا صاحبكم ، واما ان ترسلوا
وفدا الى الامام ، فترغبوا اليه في ان يفردكم بعامل ،
فتخرجوا من طاعة نفوسة ، فلا يكون لهم عليكم سبيل .
واما ان تدفعوا الى ابن خلف فانطلق به الى نفوسة تحت امان
وانا كفيل بسلامته ، وانهم لا يخرجون فيه عن قانون
الحق ، فلما سمعت زواغة مقالته قام رجل من عامتهم فقال
ما اراد هذا اليوراسنى الا الايقاع بخليفتنا ، فقال ابو
سلامة : كيف قلت ؟ فابتدر الجواب رجل من علمائهم ، فقال
اعرض عنه يا ابا سلامة ، فانه جاهل ، فقال قد اعرضت
عنه ، وقام منصرفا عن محفلهم . ثم ان زواغة اجتمعت
على مناصبة ابي منصور فناجزهم القتال فاقتتلوا قتالا
شديدا ، فانهزمت زواغة ، وكان اكثر شجر الربيعة قريب
عهد بالانشاء ، وكانوا لما غرسوه حفوه باعواد اثبتوها
في حفر ووصلوا ما بينها بالحبال لترد عنها الوحش لئلا
يفسدها ، فاكثرت تلك الارض على هذه الصفة ، فلما خرج
القوم اعترضتهم تلك الحبال ، فكلما راموا مهربا وطلبوا

ملجأ حالت تلك الجبال بينهم وبين ما يطلبون ، فطفق اصحاب ابى منصور يقتلونهم فى كل مكان ، حتى مات منهم عدد كثير ، فرجع عنهم . واجتمع من ابقتة الوقية منهم فلجأوا الى جزيرة جربة واستجار ولد ابن خلف برجل من زواغة يقال له معقل من بنى تامستاوت ، فادخله فى قصر من قصور جربة ، يقال له غردان فسار اليهم أبو منصور بعسكره ، فلما دنا من جزيرة جربة وجه رجلا من بنى يراسن الى الزواغى مجير ولد ابن خلف ، وارسل معه مائة دينار مصارفة ، ودخل الرجل جربة فلما وصل الى الزواغى سلم عليه وجعل يضافعه ويصب الدنانير من كفه الى كم الزواغى فلما أحس بالدنانير جعل يسأله عن أحوال الشيخ ويقول له : لو اتيت الى اولادنا نُدفعناهم اليك . وكان ابو منصور رحمه الله لما قدم الى جربة وصل اليها بعد ثلاثة أو قريبا منها لان من سيرته اذا كان مرتحلا بعسكره وحضر وقست الصلاة نقر فى الطبل فيقف أول العسكر وآخره ثم ينزل فيصلى بهم ، فاذا صلوا ارتحلوا . وكان هذا دأبه فهو سبب مهله فى السير ، فلما حل بهم أبو منصور تقدم الى معقل ولد ابن خلف ، فقال : انزل ايها الامير فقد طالما ارملت نساء زواغة ، فقال ولد ابن خلف ليتكم لم تسمونى اميرا وناداهم نداء فيه جفاء ، قال ، فدفعوه الى ابى منصور فسار به ولم يكن بجربة حينئذ حركة ولا قتال ، فاحتمل ولد ابن خلف الى الجبل فسجنوه هنالك ، ولم يزل مسجوناً حتى نزلت عنده نازلة فى قطع رجل لص (x) ، فاختلفوا فيها فاحتاجوا اليه ، فانه كان عالماً فتوجهوا نحوه وسألوه من أين تقطع

(x) لعله ليس بلص . بل طالع طريق ، والا فاللص لا تقطع رجله

يستفتونه وهو في
السجن

رجل السارق فافتاهم بانها تقطع دون العقب ، فقال عند
ذلك مقالة جابر بن زيد لما استفتى في السجن وخبره
مشهور وسيأتي ذكره ، وقد ذكر بعض اصحابنا ان الفتى
تاب ورجع الى مذهب أهل الحق ، وحسنت حاله ، ثم ان
أبا منصور توفي رحمه الله وولى مكانه افلح بن العباس
بنفوسة من قبل الامام فكان حسن السيرة كآبيه .

وقعة مانو وانقراض الامامة

انما قام هذا الدين
باموال مزانة
وسيوف نفوسة

حدث غير واحد من اصحابنا ان نفوسة كانوا اطوع رعايا
بالدولة الرستمية واكثرها عوناً على الخير واشدها بأساً في
النصر على الاعداء ، وفي ذلك يقول الامام رحمه الله : انما
قام هذا الدين بسيوف نفوسة واموال مزانة ، وانشهر
الصيت على نفوسة حتى اشتهر في بلاد المشرق عند سلوك
المسودة ، لمكاتبات أهل بلاد القيروان وأهل طرابلس وغيرها
من بلاد المغرب التي انتشرت بهادعوتهم ، واستقامت بها
مملكاتهم ، وبهم ظهروا على من سواهم وكان ذلك في ايام
المتوكل ببغداد .

فلما تواترت الكتب اليه من الجهات الغربية ان دعوة
الرستميين قد تمت وايامهم قد استقالت لا ينازعهم فيها
منازع ولا يدافعهم عنها مدافع، ويستنفرون من عنده جيشاً
ينتظم به اليهم ملك طرابلس والمغرب فاهتز لذلك وتحرك
اليه خاطره ، فوجه عسكره الى المغرب ، وامر عليه ابراهيم
ابن أحمد من بنى الاغلب فتوجه ابراهيم بعسكره الى المغرب
قاصدا تاهرت ، فلما قرب من طرابلس سمعت بخبره
نفوسة فاجتمعوا ، واجتمع رأيهم على ان لا يتركوه وما
اراده من المسير الى تاهرت ، دون ان يناصبوه . فاتصل به
ما عزموا عليه ، فوجه اليهم ان اتركوا الي ساحل البحر

مقدار نشر عما متى لأجتاز فيه انا ومن معي ، فأبوا من ذلك فلما رأى ابراهيم ان لا بد من رجوعه الى المشرق أو مناصبتهم عزم على لقائهم ، فقال لأصحابه خذوا اسلحتكم وشمروا وجوزوا على الساحل ولا تتعرضوا لهؤلاء القوم فان تركونا وطريقنا . . . والا قاتلناهم ، فبلغ نفوسة ما عزم عليه ابراهيم ، فقال بعضهم دعوا هذا الرجل يجتاز ولا تعرضوا له بشيء ، فأبى الاكثرون ذلك وكان ممن كره تعرضهم سعد بن ابي يونس واثار بالكف عنهم ، فقال له بعض العامة : يا سعد تشوقت الى شداخ قنطنار فجذعت من القتل في سبيل الله . فقال لهم يا قوم ليس في ما تقولون ، ولكن خشيت ان تذبح البقرة فيتبعها عجلها - يعنى بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطنار - ثم خرجوا الى العسكر يمنعون السلوك الى المغرب . فلحقوه بموضع يقال له مانو ، وهو قصر على ساحل البحر من ابنية الامم السالفة فاقتتلوا قتالا شديدا لم ير أشد منه بالمغرب في ذلك العصر فخرج رجل من عسكر المشرق يطلب المبارزة من عسكر نفوسة فلم يخرج اليه احد الا قتله ، فأراد الخروج اليه افلح بن العباس وهو امير الجيش ، فأبى ذلك أصحابه فقال لا بد من ذلك فخرج اليه فقتله افلح واشتد بينهم القتال ، واسرع القتل في الفريقين وكثر القتل والجراح في نفوسة حتى هموا بالانهزام ، فلما رأى ذلك افلح أمر صاحب البند ان يركزه في الارض حتى لا ينهزم احد على البند ، فأبى صاحب البند من ذلك . ثم اقتتلوا مليا ، ثم رجع فقال اركز البند فأبى فقال لا بد ان تحضر للبند فتركزه فقال له صاحب البند اني قد امسكته مع جدك ومع ابيك ومع اخيك ، ولم يأمرني احد منهم بأن احفر له ، وها انا حفرت

له حفر الله لك . فلما ركزه فى الحفرة ، ولى أفلح منهزما وتركهم يلودون به ، ولم يستجيزوا ان ينهزموا ويتركوا البند قائما ، فقتل منهم بشر كثير . وقد كان أفلح فيما بلغنا قد كره خروجهم الى ابراهيم ، وقتالهم اياه ، ولذلك فعل بهم ما فعل . ثم ان رجلا من ذوى البصيرة فى دين الله ردد بصره فى البند فرآه قائما والناس يلودون به ويصرعون حوله فعمد اليه وقال انى لارى انك لم يبق لك حظ فى النصر ، وانك منهزم ، فضربه بسيفه فسقط .

فلما رأى من بقي من عسكر أفلح ان البند قد سقط ولوا مديرين ، فافلت من افلت منهم . فذكر من يوثق به ان عدة القتلى اثنا عشر ألفا ، فمن نفوسة يومئذ اربعة آلاف ومن سائر القبائل ثمانية آلاف ، وكان فى القتلى اربعمائة عالم ، ولم يبق بعدهم عالم يفتى فى النوازل الا ابو القاسم البغطورى ، وعبد الله بن الخير . ثم تلامذتهما بعدهما . وبلغنا ان عمرو بن فتح كان فى آخر العسكر وتحتة فرس سابق وكان يحمى صاحبه ، فاذا طلب لحق واذا طلب سبق ، فتنصبوا له حبالا واضطروه اليها ، فعثر به الفرس واخذ أسيرا .

ومضوا به الى ابراهيم بن أحمد ، فاشار الى عمرو بن بان يستمضى فيعفى عنه ، قال عمرو بن تلك كلمة لا يسمعها منى ، ولكن أسأل ان لا تنزعوا عنى سراويلي هذا ، فانى أوقن بالهلاك ، فجعلوا يقطعون اعضاءه فقطعوه أنملة فأنملة ، فلما وصلوا بالقطع الى عضده استشهد رحمه الله .

ثم ان بقية نفوسة بعد الواقعة رجعوا الى جبل نفوسة فتحصنوا فيه ، وتشاوروا فى عزل أفلح بن العباس وتولية

ابن عم له ، فاتفق جميعهم على ذلك الا ابا معروف فانه أبى ذلك خشية الاختلاف .

•

ثم ان نفوسة عزلوا أفلح بن العباس فأقاموا عوضا عنه ابن عم له ليقوم بأمورهم ، حتى يخاطب الامام بما رآه ، وبما دعاهم الى ذلك ، فلما فعلوا ذلك حنق على فعلهم أفلح ، حتى رام الخروج على جماعة اصحابه ، والقيام بمخالفتهم ، وكان له صديق من نفوسة فعرض على صديقه ما عزم عليه من الخلاف ، وحاول منه ان يساعده على ذلك فامتنع ، فبلغ أبا معروف ما عزم عليه أفلح فجاءه خفية وقبح عليه الخلاف ، وسوء عواقبه ووعظه ، فركن اليه ولم يتهم قوله ، لما تقدم منه أيضا من كراهية خلع أفلح ، فأراد الله به خيرا فكف ، فأقام ابن عمه نحو ثلاثة اشهر فلم يحسن التدبير ، ولا امرا من الامور ، فلما رأوا عجزه أخرجه ، وقدموا أفلح على ما كان عليه ، وكان ذلك ببركة ابي معروف وحسن سيرته ، وقد ذكر جماعة من اصحابه عن رجل من عسكر ابراهيم قتل أخ له فجاء ليلا ليحمله على دابته ، ثم التفت الى موضع المعركة فرأى شيئا يطوف على القتلى فلما مر بقتلى عسكر افلح نادى : كبروا يا أهل الجنة ، فكبروا بأجمعهم ، ثم مر بقتلى عسكر ابراهيم فنادى انبحوا يا كلاب النار ، فنبحوا بأجمعهم ، ونبح أخوه على الدابة فألقاه عنها وهرب ، ومضى لسبيله .

ابراهيم بن الاغلب
يتتبع بقية
اهل الدعوة

ولما فرغ ابراهيم من نفوسة ذكر له ان يقنطنار بقية من أهل الدعوة ، فقصدها ، ولم يشعروا حتى غشيهم سحرا ، فقتل منهم عددا كثيرا ، وأخذ من صلحائهم وعلمائهم ثمانين رجلا ، فشداهم وثاقا ، ثم سار ، فذكر له ان بنفزاوة أيضا جماعة اخرى ، وفيها رجل عالم يقال

له ابو بكر بن يوسف النفوسى ، رحمه الله ، ووجه اليه ، فأخذته رسله من تيزاج ، وهى قرية من قراها ، فلما أخذوه سألهم الشيخ ان يدعوه حتى يركع ركعتين ، فتركوه فصلى واخذ فى الدعاء والتضرع الى الله عز وجل ، فارسل الله عليهم ريحا صرصرا ، فأظلمت الارض اشد من ظلمة الليل فحيل بينهم وبين الشيخ فأخذه ابنه بيده ، وكان الشيخ مكفوف البصر ، ومضى الى تناوته ، وهم اهل القرية المعروفة بشيطان ، من قرى نفزاوة ، فنجاه الله من كيدهم .

ثم ان عدو الله توجه الى القيروان بالثمانين رجلا الذين هم فى وثاقه ، من قنطنار ، وفيهم رجل يقال له ابن تتيت مقطوع العرقوب - ولم تطب نفسه بالهروب دون اذنهم - فأذنوا له ، فسل رجله من القيد وهرب . فأخذ اصحابه ، فقتلوا باجمعمهم ، فكان ما ابقتة من الضعف هذه الواقعة وما اتصل بها سببا لانقراض الدعوة ، وذلك لان نفوسة كانوا عمدتها ، قامت بقيامهم ، وانقطعت لانقطاعهم ، فلما ضعفوا انتهكت الحرمه . واستفزت الامامة . حتى انقرضت حسبيما ياتى ذكره .

نبدأ بنبذ من أخبار عبيد الله ووقوعه بأرض المغرب وانتشار مذهب الشيعة بها ، وما يتصل بذلك من الاخبار التى ذكرها ، ويفتقر هذا الكتاب اليها ، حتى لا يخلو منها ، لارتباطها بشيء سلفنا

رأيت باستخارة الله ان اختزل اكثر ما ذكره الشيخ رحمه الله ، فى هذا الموضع ، لقلته فائدته ، واذكر منها موضع الحاجة ، واستخلصه عن مقتضى ما ذكره « الرقيق » فى تاريخ افريقية ما تدعو اليه الحاجة .

عبيد الله الشيعي
وظهوره بالمغرب

فأقول : عبيد الله هذا هو الذي يكنى ابا القاسم ،
وسموه المهدي محمد ، وهو الذي يسمى : الامام القائم بن
علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، بن
علي بن ابي طالب فيما ذكره الرقيق .

وقد ذكر الرقيق ان المهدي هو ابو محمد ، وان الخليفة
بعده ابنه القائم ابو القاسم محمد بن المهدي وبعده ابنه
المنصور اسماعيل بن القائم ، وبعده ابنه المعز ، معد بن
المنصور ، ومعد هو ابو تميم ، وسيأتي ذكر شيء عنه في
اثناء أخبار هذا الكتاب .

ما قيل في نسب
الفاطمين

وقد قال بعض الناس ، واصحاب التواريخ ان
انتسابهم الى أهل البيت غير ثابت ، وكان هذا قد حصل به
شيء من علم الحدثن ، وكان يرى ان امره بمزلاعة من
ارض اليمن ، ومنها تفرق دعائهم ، وان بأرض المغرب
تتم الدولة ، ويمم ذكرها ورأى بالعلامات ان ابا القاسم
الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي هو الداعي باليمن ،
فلما اتى الوقت وجه الى اليمن داعيا ، فأقام بأرض اليمن ،
الى ان انتشرت به الدعوة الشيعية وان عبد الله الحسن بن
احمد بن زكرياء الكوفي المعروف بصاحب البدر هو
الداعي بأرض المغرب ، فوجه اليها وامره ان يبدأ بلقاء
ابي القاسم الداعي باليمن ويتمنى سيرته ، وينتظر
مخارج افعاله ، فيجتهد بها ، ففعل .

الامة عبيد الله
بقلم كتامة

ثم خرج الى مكة فصادف بها جماعة من كتامة ، ممن حج
تلك السنة ، وكان منهم من تقدم له شيء من التشيع ،
فصاحبهم حتى أنزلوه قلعة ايكجان بنظر ميلة ، من بلاد
كتامة ، فلذلك قيل له الكجاني ، ثم انتقل الى تاصروت ،

فأقام ببلاد كتامة داعيا مدة سنتين ، تمكنت به الدعوة
الشيوعية ، وانتشرت فيما يليها من الجهات بعد ان عبأ
المساكر ، وكابر الحروب ، وقارع غير واحد من الاغالبية ،
وقوي ، وافتتح البلاد فى أخبار تطول ، وانما قصدنا من
ذلك الاختصار .

وفى اثناء هذه المدة توفى الامام بالعراق ، وعهد الى
ابنه المهدي عبيد الله ، فجاءته فى الكتاب عبيد الله (x)
يعلمه ان الامور قد تمهدت ، او كادت ، فتوجه الى المغرب
مجاهدا قاصدا سلجماسه ، فاجتاز فى طريقه على وارجلان
فاستخف به سفهاؤها ، وحتوا فى وجهه التراب يقولون :
هذا الذى جاء من الشرق يطلب الملك ، وكان اشر الناس
عليه أهل قصر بكر ، فلذلك فى رجوعه حسبا يأتى ذكره
حرق المسجد الكبير ، وكان عند وصوله ورجلان سأل من
رئيسها ؟ ف قيل له : غيار ، فتطير بهذا الاسم . فتوجه الى
سلجماسه فوجد صاحب سلجماسه اليسع بن مدرار فأكرم
مشواه ، وأسكنه عالية دار لرجل من أهل سلجماسه ساكن
فى اسفلها ، فلما كان ليلة من الليالى رأى السلجماسى
فى منامه كأن ثعبانا عظيما فى داره مضطجعا ، فانتبه
مذعورا ، فقص الرؤيا على ضيفه من غير ان يعلمه انه
الذى رآها ، فقال له ان صح ما ذكرت فهذا ملك يملك
المغرب والمشرق ، فقبل يده وقال : والله يا مولائى انى رأيت
الرؤيا وليس معى فى دارى غيرك ، فازداد بذلك أنسا
وازال وحشته ، واقام بسلجماسه الى ان فتح ابو عبد الله
طبنة وبغاي وطرابلس والقروان وقفصة وما يتخلل هذه
المدن من القرى ، واستولى على جميع افريقية ، واجلى عنها

(x) كذا فى النسخ التى طهرت بها

من كان فيها من الاغالبية ، فلما طاعت له البلاد واستقامت له الامور عزم على المسير الى سجلماسة فى طلب المهدي عبيد الله فخرج ابو عبد الله من رقادة الى سجلماسة ، فاجتاز على تاهرت فكان منها ما كان من غدر بنى اليقظان بالامام يوسف بن محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم رحمه الله . وشكى من بتاهرت ونظائرها من الشيعة والواصلية وغيرهم الى الشيعة امارة الفرس ، وسأله ان يستأصل شافتهم ، وخرجت دوس (I) بنت الامام يوسف رحمه الله ، تشكو الى ابي عبد الله الشيعي غدر بنى يقظان اباها ، ووعدته ان يتزوجها ان هو أخذ لها ثار ابيها ، فجاءه فيمن جاءه من أهل الموضع ومعهم ابوههم ، فسأله ابو عبد الله الكجاني من انت ؟ قال : أنا يقظان فقال يل انت حيران ، ما الذى دعاكم الى قتل اميركم فاسلبتم ملكه ، واطفأتم نور الاسلام بغير سبب ، والقيتم بايديكم اليينا بغير قتال ؟ ! ثم امر بهم فقتلوا جميعا ، ثم ان يعقوب بن الامام وابنة اخيه دوس خرجا فى خفاء الى جهة وارجلان حتى نزلاها وانما خرج بها خوفا من ابي عبد الله الشيعي ان يستنجز الوعد ، فطلبها فلم يجدها ، ودخل المدينة فانتهبها وانتهك حرمتها ، واجلى كثيرا من اهلها ، وجعل اعزة اهلها اذلة . وكان دخوله المدينة بالامان فلما دخلها غدر وقتل اهل بيت الامامة من الرستميين واهل الملك وأهلك الحرث والنسل ، فانقطعت الامامة بموت الامام يوسف رحمه الله ومن قتل معه ومن قتل بعد دخول المدينة وذكر انه وجد صومعة مملوءة كتباً وهى المشتعلة على

سقوط تاهرت على يد اللاطين

(I) اثبتها صاحب الازهار الرياضية باسم دوسرة

ديوان تاهرت الذى يذكره العزابة ، فانتقى منه ما انتقى واحرق الباقي ، فلم يبق لشيء من الديوان اثر أصلا .

ولما علم عبيد الله بقدم ابي عبد الله خرج ليلقاه وقد علم جميع الدعاة والقياد انه صاحب الوقت ، وان له يدعو بعد ما خاف عليه الغدر من ابن مدرار ، فلما قدم على عسكر ابي عبد الله جاء معه ابنه القاسم فقدم لهما ابو عبد الله فرسين فركبا وحفت بهم العساكر ، ومشى عبيد الله والدعاة بين يديه وابو عبد الله يقول : هذا مولاي ومولاكم ، وابن ابنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى كنتم تنتظرون ، وجميع الناس يسمعون كلامه ، وعقدوا له البيعة فلما دخل افريقية وذلك فى عام 297 سبعة وتسعين ومائتين ، وقد تمكنت دولته ، وجه عسكرا عظيما الى وارجلان ، فلما سمع اهله باقبال العسكر تحصنوا بالكدية المعروفة بكريمة ، وهى كدية حصينة شاهقة بينها وبين وارجلان قدر ستة اميال ، فملأوا مؤاجل بها ماء ، واخرجوا ما قدروا عليه وما امكنهم ، فلما وصلهم العسكر دمر الديار وحاصروهم فى الكدية ، وطوق بها سبعة اطواق ، وهم بالمقام معهم ، حتى يهلكوا عطشا ، فقال لهم رجل ممن كان معهم ويقال انه يهودي لئنه الله هاتوا قصاعا كبارا ، فملأوها زيتا ، ونصبوها على حرف « كريمة » بحيث يراهم أهل العسكر وجعلوا كأنهم يمتجون الماء ويصبونها للجمال تشرب ، ومعهم جمال كثيرة وقد تمكن منها العطش ، فجعلت الجمال كلما رأت القصاع مملوءة حسبتها ماء ، فقصدتها فكلما كرت وجدته زيتا ، فقتعت برؤوسها ، وتنفض مشافرها ، وتنشر بأنوفها ،

حصار عبيد الله
الفاطمي لوارجلان

فلما رأى ذلك اهل العسكر قالوا ما هذا الا عن ماء جم لا تكنسه الدلاء ، فقيم المقام ؟ وارتحلوا وقد كانوا حين انتهاب الديار وجدوا بيضة نعامة مملوءة شعيرا فحملوها معهم فلما وصلوا رملة ايفران لحقهم رجل من وارجلان ممن اراد هلاك المسلمين فوالاه من العسكر ناس سدراتيون فقال لهم لم ارتحلتم عن القوم وليس معهم ماء ؟ وانما تلك حيلة احتالوها عليكم ، فارجعوا فانكم ستظفرون فابتدره السدراتيون ، فقتلوه خوفا ان يسمع مقاتله احد من اهل العسكر . وانما فعلوا ذلك حمية لاخوانهم وقبيلهم ان يظفر بهم اهل العسكر ، ولما وصل اهل العسكر الى صاحبهم بالقيروان لامهم ، ونسب اليهم التقصير ، فقالوا : كيف نقاتل حصنا هكذا ؟ ورشقوا رغيفا بأعلى ذرع طويل وهذه مطامرهم ، واخرجوا له البيضة المملوءة شعيرا . قالوا كيف نقاتل هؤلاء وأى فائدة تفيد بقتالهم ؟ فنجاهم الله عز وجل . ويسر اسباب سلامتهم ، ولما تمكن امر عبيد الله بالقيروان واستحكمت دولته بلغ عن ابي عبد الله انه عازم على غدره فلما تحقق ذلك منه بذاته وبمن صافوه على ذلك من الكتاميين ، فقتلهم اجمعين ، وذلك فى جمادى الثانية سنة 298 ثمان وتسعين ومائتين وسلم له ملك افريقية حتى قبض وولى بعده ابنه القاسم وفى ايامه ظهر ابو يزيد بن كيداد اليفرنى .

ذكر اخبار ابي يزيد مغلد بن كيداد الناكثى

حدث بعض اصحابنا ان ابا يزيد رجل من بنى يفرن وكان مسكنه بقلعة « سداة » من تفيوس ، قلت اما نسب سداة فوهم أو غلط . وان كان هذا النسب قد وقع أيضا ليس هكذا فى كتاب الرقيق ، وانما ذكر اصله من بنى

تعفيق نسبه

ويسيان توزر ، ثم نشأ بتقيوس وليس كذلك . انما كان مسكنه فى منزل يلى جهة سداة وهو اليوم خال دارس فى الجانب الغربى منه كانت مدرسة ابى يزيد على عين ماء ، هى معروفة بعين النكارة الى يومنا هذا ، وعشيرته من اهل تطاوين ، وهم رهط « بنى كندل » قال : وله حديث مع ابى الربيع سليمان بن زرقون فى ابتداء اشغالهما بطلب العلم ، ورجوع ابى يزيد الى مكان مذهب النكارة وتركه لمذهب الوهبية نستدركه فى موضعه ان شاء الله ، وانما قصدنا هنا ان نذكر قيامه على القاسم بن عبيد الله ، وما آل اليه امره فاول ما اوقع فى نفسه القيام انه لما توجه الى المشرق يريد الحج حين فراره من عبيد الله لما طلبه ، فلما وصل الى مصر نظر اليه رجل من اهل مصر وقد حلق رأسه وقال له : غط رأسك ايها الثائر فلما سمعها ابو يزيد وقع فى نفسه ما وقع من ذلك فسار متوجها . فطولب فى بعض البلاد التى سلكها بمكس ، فاستعظمه ولما رجع ووصل الى قرب جبل نفوسة فارقه من كان معه من اهل جبل نفوسة ، قاصدين منازلهم . فقال لهم ابو يزيد : اقرأوا اخواننا السلام ، وقولوا لهم قد فاتنا منكم كثير وفاتكم منا كثير ، وانه ليس لله علينا ان نشترى حجه ، يشير بهذا الى المكس الحقير الذى طولب به ، ويريد بهذه الرسالة اختلاف القلوب .

التضاح امر ابى
يزيد وسجنه

ثم سار حتى وصل موضعه بتقيوس ، فجعل النكار يجتمعون عليه فى المكان المعروف به واطلع منهم من اطلع على ما عزم من القيام حتى اشتهر خبره ، وفشى وسمع به ابن المهدي القاسم ، فكاتب والى قسطالية بمطالبتة والبعث عنه ، لانه كان يرى ان قائما يقوم عليه من زناته

فيلقى منه شغباً ، وسمع من علامات ابى يزيد ما دله على انه الذى يقوم عليه .

فوجه اليه والى قسطنطينية من توزر فأخذ وسجن فى توزر مكبولا ، فطال مقامه فى السجن حتى قنط ويثس من السلامة واشتدت عليه ابواب الحيل . فبلغ خبره جماعة من النكار ، فتشاوروا فى امره ، فأجمعوا على ان يختاروا اربعة رجال اهل شدة ونجدة ، فساروا آخر النهار ودخلوا مدينة توزر ، فوقف احدهم على باب المدينة وتقدم ثلاثة الى السجن وكسروا بابه وقتلوا السجنان ، واخرجوا جميع من فى السجن ، فاخرجوا صاحبهم فى كبوله ، فحمله احد الثلاثة على ظهره وجرد الآخران سيوفهما ، فجعل احدهما امامه والآخر ورائه فكل من قام اليهم قتلوه ، حتى خرجوا من المدينة ، فلم يتبعمهم احد . فلما وصلوا موضعا بين الحامة وتوزر وهنالك صخرة حطوه عليها ، وكسروا الكبول ، حتى اطلقوه ، والصخرة معروفة بصخرة ابى يزيد الى اليوم ، فتوجهوا بصاحبهم الى صحراء سماطة قاصدين بنى درجين ، وكان بها حينئذ عدد كثير زهاء ثمانية عشر ألف فارس ، فيما ذكروا ورجوا ان يمنعه فلم يكثرثوا به ، اذ كان على غير المذهب .

التجاء ابى يزيد
الى اوراس

فسار من عندهم مستخفيا حتى وصل جبل اوراس ، وكان عند اخوانه بالجبل مكرما ولم يزل البحث عنه حتى علم موضعه فوجه اليه القاسم بن عبيد الله جيشا عظيما ، فحاصروه بجبل اوراس سبع سنين ، وبلغت نفوسهم التراقى حتى قال قائلهم لما نزل بهم ما نزل من البلوى والضرر ، وقال : « جبل لا يصعد ، ومطر سكب ، وفتى مستقص ، وشيخ لا ينثنى ونحن المبتلون » . ولما رأى القوم ما نزل

بهم اتوا ابا يزيد ، وقالوا له قد رأيت ما نزل بنا من هلاك هذا ألفتي ، ولا طاقة لنا بمدافعته ، ولا صبر على اكثر مما اصابنا من الضرر ، وهلاك رجل واحد ايسر من هلاك جماعة كبيرة ، فقال لهم ابو يزيد امهلوني هذه الليلة .

ابو يزيد يفسك
الحصار بحيلة

فلما اظلم الليل امر بخمسمائة ثور ، وان يشد بكل قرن ثور منها حزمة حلفا ، وفي ذنبه أخرى ، وامر بخمسمائة رجل من اصحابه من ذوى النجدة والبأس واخذوا سلاحهم واستاق كل رجل منهم ثورا ، حتى اذا قربوا من العسكر اطلق كل رجل منهم نارا فى حلفا ثوره فلما احست الثيران حرارة النيران ، ركضت وخاضت العسكر ، والرجال فى ساققتها بالسيوف مسلطة ، يضربون بها كل من ادر كوه من اهل العسكر ، وجعل الله ذلك سببا لهزيمة العسكر ، فانهزموا وابو يزيد واصحابه يقتلونهم حتى قتلوا عددا كثيرا ، ولما اصبح عرض ابو يزيد عسكره فعرض فى اثنى عشر ألف فارس ممن صار اليه من عسكر الشيعة خاصة ممن كان عدوه بالامس وسار فى طلب عسكرهم ، فتسامعت به القبائل فجاءوه من كل مكان ، وطار اسمه فى الآفاق فاجتمعت له عساكر عظيمة ، حتى عدوا فى عسكره ألف ألف أبلق فيما قيل ، ومعه جماعة كبيرة من مزاة فجعل يفتح المدن والقرى حتى افتتح الساحل كله ، واقبل يريد قسطالية ، التى منها خرج فافتتحها . فلما احس من نفسه قوة ورأى كثرة من معه ، قال له بعض عزابته الى متى ننتظر بثأر يزيد بن فندين يومى الى امامهم المقتول بتاهرت ، فقال له أبو يزيد إن نحن تخلصنا وتفرغنا من نسج الكساء اشتغلنا بفليسه .

قال وكان حوله جماعة من مزاة فيهم مسارة بن غني وهو يومئذ رأسهم فسمع مقالة ابي يزيد وفهم المثل الذي ضربه ، فقال له : لا تظن ان الوهبية خرجوا معك فانهم في مساجدهم وانما خرجنا معك نحن نشاركك في أكل هذه الميعة ، فدع ما تحدث به نفسك والا اقتتلنا قتال كلاب الحى ، يريد بالميتة الاموال التي كانوا ينتهبونها ، ثم انه سار يريد القاسم بالقيروان ، فكل مدينة وقرية مروا بها اخربها وسبى النساء واستباح الاموال ، كفعل نافع بن الازرق وغيره من الخوارج ، بل قد زاد عليهم ، وكان معه رجل من علماء النكارة يسمى زكرياء وكان ينكر عليه ، ويقول ان هذا لهو الخروج من الدين ، ولما رأى ابو يزيد ذلك منه خشي ان يفسد عليه قلوب العامة ، فامر بقتله ليلا ، فلم يعلم خبره . فلما سمع القاسم باقبال ابي يزيد اليه بجنود لا قبل لهم بها خرج من القيروان ، يريد المهدي وخلف على القيروان واليا من قبيله .

فلما نزل ابو يزيد على القيروان حاصرها حصارا شديدا حتى أشرف أهلها على الهلاك ، فانهب طائفة من المدينة وحاز كثيرا من اطرافها ، والقوا اليه بايديهم ، وخرجوا باجمعهم الا قاضى المدينة ، فانه انحجز في دار الامارة بأموال جسيمة فوجه اليه ابو يزيد بان يخرج فأبى ان يخرج الا عن امان فأمنه فلما خرج شاور أبو يزيد فى امره وزراره فقال احدهم (وكان يكنى ابا عمارة) ألم تعلم ما قال فى كتاب كليله ودمته ؟ قال وما الذى قال ؟ قال : (ليس شيء اروح للقلب من قتل عدو ، وان بلغ فى الضعف النهاية) فامر ابو يزيد بقتله فقتل بعد أخذه بالامان ، واخذ جميع تلك الاموال .

وذكر ان عدة ما خربت من القرى على يديه
فى افريقية ثلاثون ألف قرية ، وفعل فى افريقية من
الفسوق والفجور والعصيان وانواع الفساد ما لم تفعله
الفراغة ولا احد من ملوك اهل الكفار .

وبلغنا انه عوتب يوما على ما يفعله اهل عسكره من
الفساد واستباحة المحارم ، فقال « وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا » وكان فى هذه الحركات كلها يركب على
حمار اوتى به من مصر ، فكان يعجز الخيل ان مشى وعدا ،
وبلغنا ان الشيخ ابا القاسم يزيد بن مخلد الوسيانى رحمه
الله قال يوما وقد وصف له ما اخطب ابو يزيد من البلدان
فذكر قوما فقال لقد فتح فيهم ابو يزيد بابا ، الا انه لم
يحسن السيرة ، وبلغنا انه مر بعسكره على قابس فنظر الى
جناتها فاراد تقويم جناتها فقومت بكسر درهم فامر
بافساده . فاقام عليهم مدة يدمر ويخرب ، فلما اراد
الارتحال عنها قومت بدرهم ، فصار يطالب اهل قابس بما
بين القيمتين . وبلغنا انه نزل الساحل فاخذ اهل عسكره
صبيتين جميلتين ، فجاءته امهما شاكية ، فقالت له : يا شيخ
ان العزابة اخذوا ابنتين سبوهما وغصبوهما وهما حرتان
فلم يجبها ، غير انه قال : وهل فى افريقية حرة ؟ فخافت
المرأة على نفسها ، فهربت ونجت بنفسها . وبلغنا عنه
انه لا يبيت كل ليلة الا على اربع ابكار من بنات الاحرار .

محاصرته للمهدية
ثم انهزمه

ثم ان ابا يزيد سار من القيروان يريد المهدية حتى
نزلها وحاصر بها القاسم زمانا طويلا وكان قد نزل بالرملة
التى بباب المدينة وبنى حول المدينة مصلى هو اليوم معروف
بمصلى ابي يزيد ، ولم يزل محاصرا الى ان توفي القاسم
وولى ابنه اسماعيل فسمع ، اهل العسكر ب وفاة القاسم

فسروا بذلك وطمعوا فى افتتاح المدينة ، فبشروا ابا يزيد بذلك ، فاغتم وقال لاصحابه : قد مات رجل اديل لنا عليه وولى رجل يمكن ان يدال له علينا ، ثم ان ابا يزيد قام فضرب احد مصراعي باب المدينة وكان عند اسماعيل فيما له من علم الحدثن على ما زعموا ان ابا يزيد يخيب اذا ضرب فى ذلك المصراع ، ويصيب ان ضرب فى المصراع الآخر . فلما ضرب فى جانب الخيبة قويت نفوس من بالمدينة وقال له بعض من فى البرج أخطأت يا شيخ ، فنشب القتال فكانت الدائرة على ابي يزيد ، فانهزم . وذكر ان ميمنة عسكره انهزمت حتى بلغت الهزيمة الى القيروان ولم يشعر من فى الميسرة ، وذلك لكثرة العساكر ، فسمع ابو يزيد بان اسماعيل قد دس الكتب الى القيروان بمصاب ابي يزيد ، فحاصروا عامله عليها حتى اخرجوه . وولى ابو يزيد واتبعت ابا يزيد طائفة من خيل اسماعيل حتى ادركوه ، وقد ارتث (١) جراحا ، فالقى بيده على احدهم وقال له خلصنى ، قال له من انت ؟ فقال انا ابو يزيد ، فاتى به الى اسماعيل فاعلمه انه اسر رجلا يزعم انه ابو يزيد ، قال وانا لا اعرفه فدعا اسماعيل بمن يعرف ابا يزيد ، فأعلمه انه هو . فاستدعى الاطباء ليعالجه يريد حياته ليعذبه بانواع العذاب ، فاعلمه الاطباء انه لا مطمع فى حياته ، فامر اسماعيل بسلخه ، فأخذوا يسلخونه فلما انتهوا الى سرته مات . وذلك فى محرم سنة ستة وثلاثمائة وتفرقت عساكره . .

ابنه الفضل يغله
من بعده

ثم ان ابنه الفضل جمع جموعا من بقايا عسكر ابيه فقصدهم بها احياء مزاة وعندهم حينئذ الشيخان ابو القاسم

(١) ارتث مبنى للمجهول ، حمل من المعركة جريحا وبه رمق

وابو خزر الوسيانيان في جمع من اهل الدين والصلاح نازلين
اضيفا عند اخوانهم في الله من مزاة ، فلم يشعروا الا
والاخبية تضرب حولهم .

هو كان العسكر فيما زعموا ثلاثين ألفا . فقال الفضل
لمزاة ادفعوا الي ابني عمي فاليهما قصدت ، ولم اقص
اليكم يا مزاة يعني الشيخين لان بنى وسيان من يفرن .
فعزم قوم من اهل الدنيا المطرحين للدين على ان يدفعوهما
اليه ، فابى ذلك اهل الدين والصلاح فتشاوروا
فقال احدهم قد تبين لي ان اهل الدنيا لا يدفعون
عنكم فدافعوا عن انفسكم وعن اضيافكم ، فان اخوانكم
من اهل الدنيا مهما رأوكم في الاهتمام بالمدافعة وتحققوا
منكم هذا الجد قاموا لقيامكم ، فما منكم الا وله أخ وابن
أخ وابن عم في أهل الدنيا ، فما منهم من يخذل اخاه أو
يسلمه للموت ، فقالوا قوموا باجمعكم فقاموا غضبا لله .
فهم بين مسرج فرسه وملجحه ومعتضد رمحه ومتقلد سيفه
عازمين على الجهاد ، فما استتموا اهبتهم الا واهل الدنيا
قد جاءوا تائبين ، نادمين ، دافعين عن المشائخ واعترفوا
بما فرط منهم من اهمال حقوق المشائخ والصلحاء ، فلما
تلافوا زلهم قبلوا منهم ، واجتمعت كلمتهم وتأهبوا جميعا
ونهضوا ، وكان ميسارة بن غني ممن وافق رأيه رأى
أهل الصلاح أولا ، وأخيرا قال للمشائخ : ان لي اثني عشر
ولدا وقد وهبتهم اليوم لله ، ولكم ، فزحفت جموع مزاة
مقام عسكر الفضل . ومن اعجب ما ذكر اخبار ميسارة
يومئذ ، انه نظر الى عسكر العدو فرأى الفضل في ربوة
وقد احاط به موكب من انجاد خيله ، وفرسانهم قد
تراكموا على الفضل حتى اسودت بهم الربوة ، فقال ميسارة

اهل الدنيا متقلبون
لا يدفعون عنكم وقت
الشدة شيئا

لاصغر أولاده : امك طالق ان لم تكشف تلك الخيل على تلك
الربوة ، فحمل عليهم فلم يزل يعاركهم حتى كشفهم من
الربوة ، واقتتل الفريقان فهزم الله العدو وقتل منهم بشر
كثير .

وحدث الثقات ان عسكر الفضل لما انهزم وكان ثلاث
فرق ، ففرقة نجوا هاربين وفرقة قتلوا اجمعين وفرقة كان
اكثرها هالكين . وهرب الفضل فيمن هرب حتى انتهى الى
قرية من قرى تلك الجهة فدخلها وطمع فى النجاة ، فأخذه
أهل القرية وقتلوه واتوا برأسه الى اسماعيل بن القاسم
متوسلين به عنده ، فاحسن اليهم عدو الله . وقد بلغنا عن
رجل من هواراة يقال له محمد بن عريبة انه ضلت له ابل
فخرج فى طلبها على فرس له سابق فلما جنه الليل بات
فرسه بدون علف ولما اصبح وافى هزيمة الفضل وكان من
سرعان خيل مزاته فكان كلما لحق برعيل من خيل الفضل
قطعه عن اصحابه وثبطه حتى تلحق به خيل مزاته ،
فتستأصله بالسيف ، فربما لحق بجماعة رجال فيقطعها على
الخيل ، ولم يمسه ضعف ولا أحس من فرسه كلا وكانت
لهذا انابة فى آخر عمره واجتهاد وصلاح .

ذكر شىء من اخبار يعقوب بن الامام الفلج

رحمهما الله ورضى عنهما

ولما نزل الداعى للشيعنة تاهرت خرج يعقوب بجماعة
خيل من اصحابه بعيالاتهم ، وخرجوا فى خفاء خوفا مما
ينالهم من عدوهم ، فشعر بهم ابو عبد الله فوجه فى
طلبهم جيشا ، وكان يعقوب على فرس من نهاية السوابق ،
فلما لحق سباق العسكر باصحابه جعل يواقف العدو وحده
حتى يتنفس اصحابه ، فيهمز فرسه حتى يصل اصحابه ،

هروب بقية العائلة
الرسنية الى
واردجلان

ثم اذا لحقوه أيضا واقفهم ، وثبطهم على اصحابه ، فكان ذلك دأبه ودأبهم حتى نجى الله يعقوب واصحابه ، ورجع عنهم العدو ، ولم يطمعوا منهم فى قليل ولا فى كثير .

فسار باصحابه متوجها الى وارجلان ، فذكر عنه انه لما كان في بعض الطريق نظر نظرة في النجوم فقال لاصحابه (انكم لا يجتمع منكم ثلاثة نفر الا كان عليهم الطلـب ، افرقوا فقد انقطعت ايامكم وزال ملككم) ، فاقبل بمن معه من اهله حتى نزل وارجلان وذلك على عهد الشيخ ابي صالح جنون بن يمریان رحمه الله ، فتلقاه ، وعرضوا عليه ان يولوه على انفسهم ، وقال : لا يستتر الجمل بالغنم فصار مثلا ، فمكث فيهم دهرا وكان معه ابنتاه وابنة اخيه قد منعهن من التزويج ، ثم ان جماعة من مشيخة وارجلان اجتمعوا وحرضوه على انكاحهما ولا يعطلهما ، فقال لهم اذا رغبتم فى هذا ورأيتموه صلاحا فانا لا اصاهر الا رجلين فاضلين احدهما من أهل الدين والآخر من اهل الدنيا ويكونان على اختيارى . فقالوا له ضع يدك على من شئت فقال : اما الذى هو من اهل الدنيا فعمو بن اللؤلؤ ، واما الذى هو من اهل الدين فالعز بن محمد ، فانكحهما الابنتين قيل وكانت لعمو امرأة أخرى فاغتمت حين سمعت باملاكه جعيذة الامام ، اغتاما شديدا ، حتى أفضى ذلك بها الى الموت ، فطاب بعدها عيش الزوجين .

مكانة يعقوب بن
الفلح في العلم
والعبادة

وكان يعقوب يحمل انواعا من العلم ، بلغنا ان سائلا سأل ذات يوم ، أتحفظ القرآن ؟ فقال : استعين بالله من ان ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام ما لم احفظ واعرف معناه ، فكيف بالكتاب المنزل على نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم !

وكان أيضا في غاية من مجاهدة نفسه ، وكان صاحب كرامات .

بلغنا انه قام ذات ليلة يتجهد في بيته فبينما هو قائم يصلى اذ خر سقف البيت الا الخشبة التي تقابل رأسه ، فما برح قائما خاشعا حتى جاءه الناس فكشفوا عنه السرمد فوجدوه على حالته ، ولما خرج من صلاته بعد اتمامها قالوا له : ما ظننت ؟ قال : ظننت ان القيامة قد قامت . وله رحمه الله بوارجلان آثار مشهورة ، وفضائل مذكورة .

الاقتراق الرابع فى الاباضية

وذكر جماعة من اصحابنا ان يعقوب نشأ له ولد بوارجلان يكنى ابا سليمان ، فاخذ فى قراءة كتب اهل الخلاف ومدارستهما وكان ابوه يقول لاهل وارجلان : احذروا هذا ، فانه قرأ ديوان احمد بن الحسين ، فلما مات رحمه الله اجتمعت لتجهيزه جموع اهل وارجلان حتى كفن فى اكفان مثله ، فصلى عليه ودفن فى مقبرة الشيخ ابي صالح وقبره ظاهر هناك الى عصرنا هذا غير مندرس وهو من المشاهد المزورة واماكن البركات الماثورة .

ابنه ينتحل مسائل
جبا للزعامة ورغبة
فيها

واخذ اهل وارجلان فى تعظيم ابي سليمان والرفع من قدره لو اراد الله رفعته ، لكن صدقت فيه فراسة ابيه رحمه الله فانتحل ابو سليمان مسائل غير مرضية ، وشرع فى خلاف المسلمين وتبديل ما كان عليه سلفه من قوام الدين فاشتهر عليه مسائل مستنشعة . منها قوله ان فرث الانعام نجس والى هذه المسألة ينسب فكان يقال له الفرثى بهذا السبب ، ولما ذكر عنه حاول اختباره جماعة ممن كان يعظمه وأراد ازالة التهمة عنه ، أو الخروج عن الشك لليقين ،

فاستعملوا له اطعمة حفيلة قد طبخوا فيها مصران الفنم ومباعرها غير مستخرج بعمرها ، وركبوها مع اللحم على الشريد ، واستدعى ابا سليمان بمحضر الطعام ، فلما تناول مصرانا من تلك المصارين وشقه ليأكله وجد فيها فرثا ، فالتقاء فقال هذا طعام نجس ، فقال له صاحب الطعام فماذا يصنع به؟ قال تحفر له حفرة ويكفأ فيها ، وقطع عذر من أكله ، فبلغ ذلك الشيخ ابا صالح رحمه الله وكان ممن يفضب لله ويقوم فى تغيير المنكر ، فكره ان ينتشر ذلك فى العوام فيعتقدونه صوابا ، فيأخذ ذلك بقلوبهم ، ويفضى بهم الى الارتياح فتقع الفتنة والاختلاف ، فاستخص من فوره جماعة من اصحابه فساروا الى الدار التى فيها الطعام فاستأذن هو واصحابه ، ودخلوا ، واستدعى بذلك الطعام وبالماء ففسلوا ايديهم ، فأكل واكلوا حتى قضوا حاجتهم من الطعام ، فأزال ما وقع فى النفوس المرضى من تلبيس ابي سليمان .

دعوة الشيخ ابي
صلح اليه الى المباحلة

فكان بينهما بعد ذلك مناكرة وتنازع وتقاطع لهذا السبب حتى قال له الشيخ يوما ان شئت باهلتك ، فقال ابو سليمان اجل ! فاتفقا على المباحلة يوم الجمعة الاقرب اليهم فخرجا الى قبلة وارجلان بعد ان اقترعا على « كريمة » و « تسرسرين » موضعين معروفين هناك ف وقعت كريمة لابي سليمان فتوجه اليها ، وجعل يبتهل ومعه جماعة من اصحابه اهل الضلال الذين شايعوه ، وتوجه الشيخ الى تسرسرين فاتخذ بها مصلى هو اليوم بها معروف واخذ فى الدعاء والابتغال ، وكلاهما يدعو الله على المبطل ، فصا كان الاقليل حتى جاء الشيخ مسرورا واثقا من الله عز وجل ، وبلاستجابة مبتهجا ، ولما حاول ابو سليمان

واصحابه النزول من كديته ارسل الله عليهم ريحا صرصرا
وحجارة ترميهم ، وظلمة ، فضلوا عن الطريق وتفرقوا ولم
يهدتوا الى يوم السبت . ففضحهم الله واطهر ما اسروا من
الفساد ، ولم يرد بهم خيرا فيتوبوا ، بل لجوا فى طغيانهم
وعموا فى ضلالهم ، فعجل الله عز وجل بهلاكهم ، فلم
ينطل على المسلمين شغبهم ، ولم يبق منهم أحد ، فبعثنا
للقوم الظالمين .

المسائل القريبة
التي انتحلها ابو
سليمان

وكان الذى صح عنهم من المسائل الشرعية التي أفتى
بها بخلاف ما عليه المذهب سبع مسائل : احداها الفرت
المتقدم ذكره . والثانية تحريم الجنين . والثالثة والرابعة
تنجيس عرق الجنب وعرق الحائض . والخامسة نجاسة دم
العروق المستبطنة للظهر بعد ذكاة الشاة . والسادسة صوم
يوم الشك . والسابعة الزكاة للاقرب ، قال لا تعطى لهم .
الى هنا انتهت الاخبار المنتقاة من سير الدولة الرستمية
وأئمتنا الهادين رحمهم الله اجمعين .

— وقد أتى الشيخ ابو زكرياء رحمه الله بذكر المشائخ
الذين ظهروا بعد انقراض الامامة الى ان رتبت الحلقة
فأحيا برتوبتها معلم الدين وتبين العاجزون من المجتهدين
وذكر كيف كان السبب لذلك وابتدائه ، فرأيت ان أصل
ذلك بما مضى من اخبار الائمة وأضعه من هذا الكتاب ،
وتحقت ان ذلك جىء بصواب لوجوه : منها ان كلتا المديتين
مدة امامة وان كانت الاخرى عارية من الولاية . فالذى
ينبغى ذكر اتصال هذه بتلك ، وان تنظم معها فى سلك .
ونذكر المشائخ الذين اقتبسوا لذلك النور من امامة
الظهور الى غير ذات الظهور . وأيضا قد مضى ذكر الافتراق
الاول والثانى والثالث والرابع وبقي خامس سيأتى ذكره

متصلا بما يليه قبله لا يقطع بعد ذلك من غير جنسه قاطع (١) وأيضا قد مضى من ذكر الشيعة ما تقدم من أنبائها المشهورة وبقي من اخبار نهايتها ما تدعو اليه هاهنا الضرورة ، وما يتخلل من انباء وعجائب اخبار ، يجرى في ذكرها مع ما يليق بها في مضمار . فنبدأ بذكر الاشياخ شيخ بعد شيخ الى أيام ابي عبد الله رحمه الله .

ذكر شيء من اخبار ابي الربيع سليمان بن زرقون

رحمه الله ورضي عنه

وابي الخطاب وسيل بن سبتين

وابي أيوب بن كلابة الزواغيين

كان ابو الربيع احد علماء عصره ، وهو من نفوسة « تابديوت » قرية بجبل تيرشوين وبها مولده ومسكنه ، قال ابو زكرياء حدثني بعض من ادركته من السلف ، قالوا أدركنا ديوان الشيخ ابي الربيع قائما مشتملا على انواع من علوم الدين يقرأ في قرية « تابديوت » وهي اذ ذاك عامرة قال وكان ابو الربيع انما قرأ العلوم وتفقه ببلد سلجاسة ، هو وابن كيداد ، وكان شيخهما الذي قرأ عليه يعرف بابن الجمعي ، وكان ابن الجمعي رجلا من أهل الدعوة اقبل من بلاد المشرق تاجرا وكان مطلعا على علوم الحيل والنظر ، نحريرا ، فقدم ابن الجمعي الى توزر وبها اذ ذاك ابو الربيع شاب يحاول طلب العلم ، وله فهم وذكاء فلما ظفر بابن الجمعي كان كل واحد منهما وافق الآخر ، فكان ابن الجمعي يصرفه في حاجته وكان مختصا به مقربا

اخبار ابن زرقون
مع شيخه ابن الجمعي

(١) في نسخة : لا يقطع بين ذلك قاطع

لديه ، وربما حاوره ببعض الالفاظ المحتملة الملتبسة ،
اختبارا لفهمه ، واستحسانا لما يصدر من جوابه ، لا
استخفافا بقدره ، فمن ذلك انه يوما من الايام عجب لما
ظهر من فهمه وفطنته ، فقال له انك لفي الطين ، فقال غير
منزلق يا شيخ ، وارى عن ذلك بالفطنة ، وكأنه وصفه بها
واضطجع ابن الجمعي في ليلة شديدة البرد فذثره ابو
الربيع ، فقال له الزيت خير ، كانه يريد به جزيث خيرا ،
فقال على الطمام يصلح يا شيخ . وامثال هذا من الملح كان
يستحسنها ، وامعن ابو الربيع في الابرار والتخديم
والاجتهاد ، حتى عظمت درجته عند ابي الجمعي وعلت
منزلته ، ولما عزم ابن الجمعي على السفر الى سلجاسة عرض
على ابي الربيع ان يصعبه ان احب تكميل ما يحاول من
طلب العلم ، فاجاب وصاحبه هو وابن كيداد قبل تبديله
فمكثا يقرآن عليه ما شاء الله الى ان حصلا ما حصلا
من العلوم ، ولما حضرت ابن الجمعي الوفاة
أثر ابا الربيع بديوانه ، فأوصى له به .
فلما مات ابن الجمعي قدم ابو الربيع من سلجاسة الى
قسطيلية وقد اشتهر اسمه وبهر علمه وعلا ذكره ، وطفق
الناس يسألونه عن فنون العلم فيجيب ، واضطربت
قسطيلية كلها من اجله وكان بها شيخ مؤدب فكان كلما رأى
ذلك من احوال ابي الربيع زها المؤدب ، فقال انا والله
علمته وعلي قرأ . ومنى استفاد ، وذلك لانه أقراه اذ
كان صبيا .

ابن الجمعي يوصي
بديوانه لتلميذه
ابن زرقون

وبلغنا ان أهل سلجاسة بعد انفصال ابي الربيع عنها
اختلفوا في مسألة حتى تفاقم الامر بينهم وكادوا يقتتلون
ثم انهم رضوا بان يوجهوا رسولين بسؤالهم عن المسألة

المذكورة الى ابي الربيع ، فما أجاب به فيها وقفوا عنده ،
وعملوا به . فقدم الرسولان بالسؤال ، فاجاب ابو الربيع
فى المسألة بجواب قطع اختلافهم وواجب ائتلافهم .

وحدث غير واحد من اصحابنا ان ابا الربيع وابا يزيد
مخلد بن كيداد خرجا ذات مرة فى بعض شؤونهما ، فنزلا
على حي من احياء الوهبية ، فاضافوهما ولم يحتفلوا بهما
كبير احتفال ، ولا احسنوا قراهما ، فوقع من ذلك فى نفس
ابى يزيد شر ، ثم مرا يحيى من احياء النكارة فأكرموا
مثواهما واحسنوا قراهما فقال ابو يزيد لابي
الربيع : الا ترى ما بين الرجال والرجال ؟ فهل لك فى
الرجوع الى مذهب هؤلاء ؟ فقال له ابو الربيع : لست اريد
عرض الدنيا فيما هو أجل من هذا ، فأبتغيه بدينى ،
فكيف بالشئ الحقير أبذل بسببه دينى . ولو كان مرادى
طلب الامور الدنيوية لنتلت جليلها بعلمى ، لكن الآخرة خير
لمن اتقى ، والذى تشير به والله لا افعله ابدا ، فافترقا .
وانطلق ابن كيداد فآظهر ما وقع فى نفسه من اعتقاد
مذهب النكارة وترك مذهب الوهبية . فخاب وحاب حوبا
كبيرا لما اراد الله من شقاوته ، فخر نفسه ، ودينه ، ودنياه
نعوذ بالله من سوابق الشقاء .

لو كان مرادى طلب
الدنيا لنتلت جليلها
بعلمى

وبلغنا ان ابا الربيع توجه الى افريقية فوجد اكثر
اهلها قد تغيروا ورجعوا الى مذهب النكارة ، فلم يزل ابو
الربيع يلاطفهم ويبين لهم طريق الهدى حتى عادوا الى
مذهبه ، وبلغنا انه دخل حصنا فوجد سبعة اسرة منصوبة
وعلى كل سرير شيخ من شيوخ النكارة ، فقال له احدهم :
هلم يا ابا الربيع وفسح له فى السرير ، فلما كاد ان يستوى
على السرير استعمل كانه عثر فوقع عليه حتى آله بمرفقه

وجعل يقول له كالمعتذر كسرتك يا شيخ ، وكأنه لم يعتمد الوقوع عليه ، ثم انه ناظره واصحابه حتى كف لجأهم ، وقطع احتجاجهم وطردهم عن تلك الاحياء ، ومنع ما احضر لهم من الغذاء ، ثم اتبع آثارهم فى افريقية يطردهم حيثما وجدهم ، ويرد مزاة الى مذهب الوهبة حتى لم يبق بها للنكار أثر .

وبلغنا انه توجه الى جبل نفوسة وكان بها الشيخ ابو القاسم البغطورى ، يتولى نفاثا قبل ان تقوم عند الشيخ حجة على نفاث ولم يثبت عنه سوء لما احدث من الاحداث ، فكان على ولاية عنده . فقال ابو الربيع لاهل النزل الذى به ابو القاسم : شيخكم يوالى نفاثا وانتم توالون شيخكم فكلكم نفاثية ، وذلك لثلاثا يعتقدوا تصويب ترك البراءة من نفاث ، فلم يتولوه بعد ذلك . وبلغنا ان عجوزا سألت عن البراءة من الناكثين قال : وانت هاهنا الى الآن ، وكنت اظن انك فقيهة ، انه من لم يكن له مال يتصدق به فليلعنهم حين يصبح فكانه تصدق بصدقة عظيمة .

وبلغنا ان ابا الربيع قدم الى ريزة فوجد اربع فرق من الالباضية ، مستأثرين لا يغير احد منهم على الآخر ، وذلك فى ايام ابي الخطاب وسيل بن سبتن الزواغى ، ووجد كل فريق منهم رأسا منفردا بمزية يختص بها فى مدة ، فاما الفصل فى القضايا والاحكام بينهم فالى ابي الخطاب ، والفتى الى النكارى ، والامامة فى صلاة قيام رمضان الى الحلفى ، والاذان الى النفاثى . فلما قدم اليهم ابو الربيع وجدهم على هذا الحال مجتمعين فى مجلس للمذاكرة ،

(1) كذا فى النسخ لعل حتى آله برفقه او ركزه برفقه

فجلس فى طرف المجلس والى جانبه رجل ممن يحسن السؤال والاستماع ، فلقنه ابو الربيع سؤالاً فقال له : اسأل عنه هذا النكارى المتصدر فى المجلس ، فسأله فلما سمع النكارى عجب فاشترى (1) به السائل وتوقف عن الجواب وتعلم ، فقال له الربيع : اجب السائل عن مسأله فقال : بل اجب انت ، فاجاب ابو الربيع عن السؤال بعد ان استعاد السائل فاعاد فلما اجاب سأل بعض من فى المجلس عن مسألة أخرى ، فاجاب ثم سأل عن أخرى فاجاب ثم عن أخرى . قالوا له : ارجع الى الصدر فرجع وبقي النكارى فى مكانه مطروحاً ، وكان هنالك من أهل الدعوة من كره ذلك التساير والمداهنة فسأل بعضهم ابا الربيع : ما تقول فى النكار ؟ قال : كفار ! (2) قال : ما تقول فى الخلفية ؟ قال : كفار ! قال : ما تقول فى النفائية ؟ قال : كفار ! فلما سمعوا ذلك منه نظر بعضهم الى بعض ثم قالوا : « الدعاء لئلا يفرق عن المجلس » ، فدعوا وأمنوا ، وتفرقوا ، وكان بعض اصحاب ابي الخطاب استقبح ما قابلهم به ابو الربيع فجاء الى ابي الخطاب ، واعلمه انه عجل عن القوم ، فقال له ابو الخطاب : كلا بل فصل بينكم دينكم على وجهه .

ابن زرقون لا يرى
المداهنة

اخبار ابي الخطاب
وسيم

وقد بلغنا ان نفوسة الجبل كاتبوا ابا الخطاب هذا يعيبون عليه اربعة اشياء ، ويعاتبونه بها : وهو التزام الامور بيقضان (3) وتغريم الايتام والارامل الاموال للظلمة ، واستفتاء النكارية ، والائتمام فى الصلاة بالخلفى فلما وصله كتابهم بكى ، ثم قال : الحمد لله الذى رزقنى

(1) كذا ، لعل الصواب : عجب كيف اثاره السائل

(2) لا تفعل ان الكفر يطلق عند الاباضية ويراد به كفر النعمة لا الكفر بمعنى الشرك بالله ، او الخروج من الاسلام

(3) كذا فى النسخ ، وفى نسخة القطب التزام الامور سقطان بالعطاء

اخوانا فى الله ، يعاتبوننى فيما بلغهم عنى ويذكروننى ، فكتب اليهم اما ما ذكرتم من التزامى امورى بيقضان فانما كان التزامى احتسابا بالله . واما ما ذكرتم من اموال الايتام والارامل فان الظلمة اذا اقبلوا اليهم امرتهم بالمدارة عن انفسهم . واما استفتائى النكارى فانما احكم بما عندى لا فتواه ، واما تقديم الخلفى للصلاة فانى اذا صليت الفريضة ناديت يا فتح فيتقدم ويصلى بالناس ولم امره بالتقدم والسلام .

ومن اخبار ابى الخطاب وسيم بن ستن الزواغى رحمه الله ورضى عنه ان رجلا من اهل القروان كانت عنده ذمامة من علم بانه سيبنى مسجدا فى موضع يقال له - تيمزرت - بقرية من جزيرة جربة وانه لا يبنيتها الا ولى من اولياء الله تعالى ، فاجمع الرجل على التجهيز الى الموضع وعقد عزيمته على بنيان مسجد هناك ليكون لتلك الفضيلة أهلا . فخرج من القروان يريد الموضع فلما وصل اليه وجد ابا الخطاب قد سبقه وبنى المسجد بالمكان المذكور فذلك المسجد الى اليوم معروف به ومنسوب اليه وهو من المشاهد والامكنة المكرمة المزورة .

وحدث يحيى بن يحيى قال : جاء رجل الى ابى الخطاب وهو لا يعرفه فقال له : لى عليك دينار فأعطني . فقال له : أبو الخطاب انى لا اعرفك فمن أين لك علي دينار ؟ فالح عليه فتأمل فيه ابو الخطاب فقال : كذا ، وقال : ان خصومتى معك لمن العار ، ودفع له الدينار ، وبلغنا ان أبا الخطاب جاءه رجل من أمليانى يراسن، كان له أخ فقير، يقال له تبنون ، فقال اليراسنى لابى الخطاب أيجوز لى ان ادفع لأخي شيئا من الزكاة أم لا ؟ فقال له أبو الخطاب :

اثنتى به ، فأتى به وكان غير محافظ على فرائض دينه ،
فلما حضر استتابه الشيخ فظاهر التوبة والرجوع الى الخير
فقال ابو الخطاب للرجل ادفع لاخيك زكاة مالك . ثم قال
الشيخ لتبنون انما قد البسناك لباس التقوى فان انت
تعريت عنه فلا يقتلنك الا الجوع . فنكت تبسبون وغير .
فاستجيب فيه دعاء الشيخ . ولما مات ابو الخطاب رحمه الله
قالت امرأة معافرية من ذرية ابى الخطاب المعافرى رحمه
الله « وهى تبكيه » : لما مات ابو الخطاب مات الحق ، فبقيتم
يا زواغة هامة يبطون كالاخرجة ، وعمائم كالابرجة ،
ونعال مبلجة ، واحكام متعوجة ، قال الشيخ ابو العباس
وانما عبرت بقولها مات الحق عن فقد من يحكم بالحق من
آل ابى الخطاب ، ويقوم مقامه فى فصل الخطاب ، ولو كان
غير هذا لم ينبغ ان يجلد فى كتاب .

ومن اخبار ابى ايوب بن كلابة الزواغى مع ابى الخطاب
وغيره ما بلغنا انهما خرجا فى شهر رمضان ذات يوم فى
بعض شؤونهما ، فأوا ليلة القدر ، فاخذ كل واحد منهما
فى التضرع فكان دعاء ابى الخطاب ان يصلح الله آخرته
لا يعدو ذلك ، وكان ابو ايوب يقول اللهم هب لى دنيا انال
بها الآخرة فقال له ابو الخطاب : يا اخى ما هذا فى الموقف
العظيم تتعرض لذكر الدنيا ؟ فقال له : ابو ايوب ان لم
انل بها الجنة فلا رزقيها الله ، وكانا جميعا « بريزو » ثم
ان الله عز وجل بسط الرزق لابى ايوب فاستسعت له الدنيا
اوسع ما يمكن ان يكون لمثله ، وبلغنا انه ربما اجتمعت
له صبرة طعام فى الاندر . « بريزو » ، فيراها من بجزيرة
جربة لعظمها . وانه أطلق الله يده فى ماله للصدقات

ان لم انل بالدنيا
الجنة فلا رزقيها
الله

اخبار ابى ايوب
ابن كلابة

والصلاة للصادر والوارد والقريب والبعيد فلا شك
دعائه استجيب ان شاء الله .

يدمره ابنه بالجنة وما يذكر عنه انه نزلت به رفقة ليمتاروا قمحا، ففتح
لهم مطمورة ، وانزل ابنا له فى المطمورة ، فقال له : ما
فعلت المطمورة يا بنى ؟ فقال له الغلام : قد حسنت الا ،
فقال له ابو ايوب : وما ذاك يا بنى ؟ فقال : قمحها
قمح الجنة ، فكان قول الصبى تنبيها ، وان كان لم يقصد ،
فقال له : اخرج ، فخرج الغلام فاعطى كل رجل من اهل
الرفقة ثمنين قمحا برسم زاد الطريق ، ثم تصدق بجميع
ما فى المطمورة عن آخرها ، وكان شيئا كثيرا .

وذكر عنه انه جاءته جماعة من مشائخ اهل الجبل فى
عامٍ محل فى غاية من الجوع والهزال ، فلما رأى ابو
ايوب ما بلغ بهم من سوء الحال ، انزلهم واحسن نزولهم ،
فكان يذبح لضيافتهم كل يوم كبشين احدهما للعشاء والآخر
للغداء على اطعمة حفيلة ، فاقاموا عنده على هذا الحال
شهورا ثم سمعوا برخص اسعار جربة فارادوا ان تكون
مسيرتهم اليها ، وان يوجهوا بما معهم الى من يتكفل لهم
ذلك ، فشاوروا فى ذلك الشيخ ابا مسور اليراسنى رحمه
الله وأشاروا له بان يطلع ابا ايوب لئلا يقول قد اختاروا
دونه بدلا ، فاعلمه ابو مسور بمرادهم ، فقال له ايوب
انه وجد مكتوبا على صخرة فى البحر ثلاث كلمات :
احدهما لا يركب البحر الا ذو خطر ، أو جاهل مغرور ،
والثانية مالى ما دام فى كمى ، فاذا خرج من كمى كنت
فيه مدعيا ، والثالثة من اعطى ماله قراضا اعتراه البرسام .
فرجع اليهم بما سمعه منه فجاؤوه يستثبتون قوله ، فقال
لهم : الذى قال لكم ابو مسور صحيح وان كان قد اخذ
تشقيق الكلام من بنى سلاوة ، يعنى اخواله ، وكان ابو

كرم ابي ايوب
رحمه الله ،
واحتفالوه بالضيف

مسور اذ ذاك فى ، بدايته ثم امر ابو ايوب باطلاق بغال المشائخ فى الاندر تأكل كيف شاءت ، فقال له بعضهم كيف تصنع على هذا فى اخراج زكاة مالك ؟ فسكت عنه حتى شرع فى الكيل فجعل يخرج العاشرة ثم التاسعة ثم الثامنة ثم السابعة ثم السادسة ثم السادسة ثم يعود الى اخراج العاشرة ثم على التوالى الى السادسة ، فكان هذا فعله الى ان اكمل كيل جميع ما عنده من الحب ، ثم اوفر حمولهم طعاما صلة بلا ثمن ، ولذلك كان قد ثبطهم ، فانصرفوا شاكرين .

قيل وكان احدهم يسمى ابا يعقوب الدمري ومعه ابن له فقال لهم ابو ايوب اجعلوا للصبي حظا فيما بايدىكم من الطعام ، فقالوا له ان يكن اهلا لمعرفك ، وكان ممن تتولاه ، كان مستحقا لما اشرت به ، فقال دعوه حتى اطلع الليلة على احواله وأختبره ، فلما اصبح قال لهم انه عندى من اهل الولاية .

وبلغنا عنه انه خرج ذات مرة فى عدة من اصحابه يريدون زيارة نفوسة الجبل فبينما هم يسيرون اذ رأوا رفقة قد اقبلت فظنوا انه عسكر للعدو ، ونزلوا عن بغالهم ولجأوا الى جبل كان قريبا منهم ، فلما جنهم الليل اهمه مبيته ومبيت اخوانه دون عشاء ، فقال : أيكون عندى ألف قفيز من طعام بالقيروان او بالجربى ، وعندى ما يغمرها اداما من الزيت ، وأبيت أنا واخوانى بلا عشاء ؟ ان خير ما يدخر المرء التقوى ، ولما وصل اهل الرفقة الى البغال عرفوها واحتاطوا عليها ، حتى ردت الى اصحابها ، فكانت تلك الليلة مما زاده حثا على فعل المعروف، واحتقارا

خير ما يدخره المرء
التقوى

لما يدخره من متاع الدنيا ، وحرصها فى الازدياد مما
يقدمه بين يديه ، رحمة الله عليه

الافتراق الخامس فى الاباضية

خير السكاك وانتحاله مذهبه المردول

ذكر عدة من اصحابنا ان السكاك يعرف بابد الله
اللاتى النسب ، قنطنارى المسكن ، وكان له اب من اهل
الصلاح ، فبلغنا ان اياه توجه الى الحج قبل ان يولد له ابد
الله ، فلما كان فى بعض الطريق رأى فى منامه ان قد
ولد له شيطان فلما قضى حجه ورجع الى اهله وجد مولودا
له ، فسمى ابد الله فنشأ . ولما احتمل الادب دفعه ابيه
الى المؤدب ، فقرأ وحفظ القرآن ، ولما اشتد وبلغ الحلم
اخذ فى طلب العلم ، فلما نال منه دقائق دعت نفسه الى
الخلاف ، ونبت ما عليه الاسلاف .

أراء السكاك الغربية

ويقال سبع مسائل خالف فيها جميع اهل الحق ، أبطل
السنة ورأى المسلمين ، قال ابن عمه ان الله قد أغنى
عنهما أولى العقول والالباب بختابه العزيز فليس من رأى
ولا من سنة . الثانية قوله ان الصلاة جماعة بدعة . الثالثة
قوله ان الاذان بدعة ، فاذا سمع هو وأصحابه الاذان قالوا :
نهيق الحمار ، الرابعة ان الصلاة عندهم لا تجوز بما لا
يعرف معناه وتفسيره من القرآن ، والخامسة قوله ان بقول
الجنات مما ينبت فى سماء بنى آدم كل ذلك نجس بنجاسة
ما نبت عليه ، السادسة ان الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل ،
السابعة ان بول الدواب فى الاندر حين درسها اياه نجس
فلا يظهر ما بالث عليه الا بالغسل . وجدت عن ابي يعقوب
يوسف بن نفاث رحمه الله قال : ادركنا بقية اصحاب

أبد الله السكاك إذا قرب وقت الصلاة خرجوا متجنبين عن الناس إلى مفاحص قد هيئوها لأنفسهم ، فيصلون فيها فرادى ، وعنه أدرك جماعة الشيوخ بقسطنطينية يصلون على جميع موتى أهل القبلة كلهم من المخالفين وغيرهم إلا أصحاب السكاك فإنهم من مات منهم جعلوا في رجليه مرابطا وجروه بها إلى موضع يوارونه فيه ، وكان مشائخ السلف تتقارب أقوالهم في السكاك وأصحابه ، وتتفاوت فقائل بشركهم ، وقائل بنفاقهم ، وهذا المذهب قد فني أصحابه فلم تبق لهم بقية ، وهم لم يتجاوز مذهبهم قنطنار كحال الفرثية لم يتجاوز مذهبهم وأرجلان حتى فنى الفريقان إلى غير رحمة الرحمن .

ذكر شيء من أخبار أبي القاسم يزيد بن مغلد وأبي خزر يغلى بن زلتاف الوسيانيين رحمه الله

كان أبو القاسم وأبو خزر من أهل الحامة حامة قسطنطينية وكان أبو القاسم أسن من أبي خزر ، وكانا قد برعا في العلوم وكان شيخهما الذي أخذوا عنه الأدب وعلم اللسان وعلم الفروع أبا الربيع سليمان بن زرقون النفوسى رحمه الله ، وأخذوا علم الأصول من سحنون بن أبي أيوب وكان أبو القاسم موسعا عليه في الرزق وأبو خزر مقترا عليه ، إنما يعيش من كسب يديه ، قيل وكان من شأنهما في بدايتهما أن شرعا في قراءة كتاب وأخذ في أي فن كان . فكانا يأخذان من كتابهما درسا وينهض أبو خزر للاكتساب وإصلاح المعيشة ، فإذا غاب أخذ أبو القاسم الكتاب يقيد درسا لم يحضره أبو خزر ، فإذا جاء أبو خزر من شأنه وقد علم أنه يفوته بدرس يقول له : أعد على من حيث

تركك ، فيقول له ابو القاسم : نعم لى مرتان ولك مرة ،
 فيعيد معه ما قد كان أخذه ، فكان ذلك دأبهما الى ان حصل
 على علوم جمة ولابى القاسم على ابى خزر من فضيلة السبق
 قدر ما يفوته به حين طلب المعيشة ، حسب ما ذكرنا ومع
 ذلك فلم يقصر عنه ، ثم انهما تصدرا شابين فكانت طلبه
 أهل الدعوة تؤمهما من كل جهة ، يقرأ عليهما كل طالب
 ما طلب من أى الفنون شاء ، من علم القرآن والحديث
 والاصول والفقه وعلم العربية والسيرة حتى اشتهر
 ذكرهما ، وعلا امرهما .

ابو القاسم يعلمهم وينفق عليهم
 وكان ابو القاسم هو المنفق على الطلبة والقائم بمؤونتهم
 وابوه اذ ذاك حي فقال رجل من اهل الحامة ان ابنك هذا
 لمجنون يعلمهم وينفق عليهم !! وتزوج أبو القاسم امرأة
 من اهل الصلاح والاجتهاد تسمى الغاية ، وكانت تحسن
 عونه على ما هو في سبيله ، واعلم يوما بمحضرها ان احد
 الطلبة الذين يقرأون عليه قد تزوج فتنكر لذلك . وقال
 لاصحابه لان يبلغنى موت احدكم اهون على من ان يبلغنى
 انه تزوج . فقالت له : ولم تزوجت انت اذا ؟ فقال : لو
 علمت مكان مسألة من العلم استفيدها ممن فاتنى بها ،
 لشدت اليها رحلى فى مشرق أو مغرب ولا اخشى ان يعذبني
 الله الا على الجهل .

يغشى ان يعذبه
 الله على الجهل

ونذكر بعض ما بلغنا من اجتهاد هذه المرأة وذلك انها
 اصغت يوما الى مذكرة الطلبة فورد ذكر القراءة فى الصلاة
 فسمعت بينهم القول بان من قام الى الصلاة فقرأ فى نفسه
 ولم تتحرك بالقراءة شفتاه ولا نطق بها ان عليه الاعادة ،
 فلما تحققت ذلك وجاء الليل اقبلت فاعادت احتياطا صلاة
 سنة فى ليلة واحدة ، قال ابو العباس قلت وفى ذلك فرق

بين صلاة المأمون اذا لم يقرأ ما يجهز فيه الامام وانصت ، وعند الانصات واجب في الجهر واما فيما يسر فيه الامام فلا بد من القراءة عند اصحابنا ، ويضعف عندهم الترخيص في ترك قراءة ما يسر فيه الامام ، وعند غيرنا الاولى ان يقرأ ، وان ترك رفعه عنه الامام . فيمكن ان يكون الغاية لم تصل صلاة من عامها خلف امام ، ويحتمل ان يكون اخذت باشد الاقوال ، ويحتمل ان يكون احتياطها على ما صلت مما لم تجهر خاصة .

قال وبلغنا ان ابا القاسم و ابا خزر وغيرهما من المشائخ خرجوا سنة من السنين الى البادية ، يعلمون اهل البادية ما جهلوا من فهم امور دينهم ، ويذكرونهم ما نسوا ، ويتفقدون احوالهم لثلا يغيروا ، فيضلوا ، ومع المشائخ جماعة من الطلبة الاحداث فبينما هم في حى من احياء البربر الوهبية اذا برجل نكارى يزعم انه في مذهب الوهبية ورجع اليه ، وكره المذهب الذى كان عليه فتلقوه بالقبول ، وكان عندهم في أبر الاحوال واطهر من نفسه صلاح حال واجتهادا في الطلب ، وحبا في الصالحين ، وانما كان يترقب من الشيوخ غرة ليظفر ببعضهم فيفتاله ولم يظن احد لما اضم ، فلما كان ذات يوم وقد خرج الشيوخ والطلبة من مقبلهم واخذوا في الاشتغال بوظائف صلاتهم صلاة الظهر ، وأخذ كل واحد يصلى منفردا ، في جانب ، وتنحى الشيخ ابو القاسم ناحية ، وقد رصده النكارى فاراد انتهاز الفرصة في هذه الغفلة ورأى رماحا مركوزة مغمولا عنها ، فاجتذب منها رمحا وقصد بها نحو الشيخ ابي القاسم وهو مصروف الهمة ، فيما هو يرصده ، فجاءه على حين غفلته عما يراد به ، فطعنه من خلفه وهو يسرى

ان قد شكه لما خرج الرمح من قدامه ، وانما أخذت الطعنة عن جسده جانبا ، وكان عليه محشوا فنقد الرمح مما اصابه ، فسلم جسد الشيخ . ولما سلمه الله من كيد عدو الله ، تصايح الناس بالغدر فابتدروه واخذوه ، فطفقوا يجرونه يريدون الاتيان به الى الشيخ ، فيروا فيه رأيهم ولم يروا ان يحدثوا فيه حدثا قبل مطالعة الشيخ ، فقال لهم من كره ابقاءه ممن حضر معهم : انظروني حتى أشاور الشيخ ، فغاب مقدار ما يصل فيهم ويعود فعاد فعرفهم ان الشيخ اشاروا بقتله ، فقتلوه والرجل لم ير الشيخ انما اختفى غير بعيد منهم .

وبلغنا ان رجلا من نفوسة الجبل نظر الى ابي القاسم وكان راكبا على دابة مسرجة بسرج محلا بالذهب وزينة عجيبة ، فقال النفوسي لابي القاسم يا شيخ ليس هذا من سيرة اهل الدعوة ، ولا يعرف ذلك من افعالهم ، فبكى ابو القاسم وأتى النفوسي الى الجبل فأخبر من لقي بانه قد وعظ الشيخ ابا القاسم حتى ابكاه ، فقالوا له انما ابكاه ما رأى من جهلك . وكان لابي القاسم مطية عظيمة يسافر بها الى القيروان بزي عظيم وحلة سنية . واشتهر بذلك مع ما اشتهر به من العلم والادب والدين والحسب ، وكان اذا دخل مدينة القيروان اضطربت المدينة وكثرت السؤالات ، والمباحث في معضلات يدخرونها له ، فلا يقف في شيء منها ، فعمظت بها منزلته وارتفع ذكره .

ان ما ابكاه ما رأى
من جهلك

الرد على المشبهة

فمن مسائله التي وقع فيما بينه وبينهم الجدل انه اجتاز برجل من الوارقين يكنى ابا ابراهيم فرماه ابو القاسم يكتب : تشبيه الخالق بخلقه ، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، فاستعظم

ابو القاسم ما أتى به المشبه من جراته على الله تعالى ،
وانكر ذلك عليه ، فجرت بينهما مناظرة حتى قال له المشبه
إذا كنت تزعم ان الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض
فاخبرني عن اراد ان يبطل ربه كيف يقول ؟ فقال له ابو
القاسم مثل قولك هذا ، فانقطع الكلام بينهما . قلت قول
ابى القاسم للمشبه مثل قولك هذا يريد اذا وصفته
بصفات الحدوث الزمت فناء الحادث فابطلت بقاءه .

مكانة ابي القاسم
لدى الفاطميين

وكان ابو القاسم عظيم القدر عند ملوك القروان وهم
الشيعة اذ ذاك ، فكانت مسائله عندهم مقضية وجميع
احواله مرضية ، فمن ذلك ان ابا تميم الشيعي كان اذا
سخط على بلدة وجه اليها جيشا معلما براية حمراء ، وله
أيضا راية بيضاء توجه مع من يسير الى من استوجب الرضا
فالرايتان موجودتان بالرضا والسخط . فبلغنا ان ابا تميم
وجه جيشا الى الحامة ودفع اليه الراية الحمراء وسمع
الخبر ابو القاسم وتحققه ، فتوجه الى القروان عجلا لا يالو
جهدا حتى دخل على ابي تميم فسأله عن حاجته ، فقال
عفوك على اهل الحامة ، فعفى عنهم ودفع اليه الراية
البيضاء ، فرجع مجدا يطوى المراحل خشية ان يسبقه
الجيش الى الحامة فيؤثروا بعض الآثار المكروهة ، فما نزل
الجيش على الحامة الا وابو القاسم قد وصل بالراية البيضاء
فلما رأوها تنحوا ، ولم يتعرضوا لاحد بسوء ولا مكروه .

دأى ابي تميم المز
في المشايخ الثلاثة

وذكر ابو تميم يوما ابا القاسم وصاحبيه أو ذكروا
عنده ، فقال اما يزيد بن مخلد فلم تلد العرب مثله ، واما
يفنى فعالم ورع ، واما سعيد بن زنفيل ففتى مجادل ، فلم
يزل هذه حال ابي القاسم مع ابي تميم ، الى ان قضى الله
عز وجل بأن يحضر ابو القاسم مجلس ابي تميم ولا ثالث

معهما ، فاقترح اليه ابو القاسم ان يريه سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراه اياه ، فتناوله ابو القاسم واستله وهزه بين يديه ، وذعر ابو تميم ودخله روع عظيم فلم تسكن مخافته حتى رده له ، فكان ابو تميم بعدها يقول لمن يحضره من وزرائه : انى لم آمن على نفسى حين مكنت ابا القاسم من السيف حتى يدخل السيف يدى أو قال : حتى يرجع السيف الى يدى ، فوقع فى نفس أبى تميم من ابى القاسم خوف عظيم فصار من ذلك اليوم يقبل فيه قول الوشاة ، وكثر الطعن فى ابى القاسم الى ان تقول عليه رجل يهودى زعم انه تحدث مع ابى القاسم فى امر ابى تميم فقال له ابو القاسم : ليس بيننا وبينه الا سير فنقوم عليه نخرجه من تلك المدينة ان شاء الله ، يعنى القيروان . فبادر اليهودى ورفع هذا القول الى ابى تميم ، وبلغ الخبر المشائخ ، فعاتبوا ابا القاسم على محادثة اليهودى فقالوا له : احسن الله عزانا فيك .

قوة مزاة في
الرفيقا

وكان المشائخ على حسب عادتهم يخرجون الى البادية فى أوان الربيع ، وكان اكثر خروجهم الى مزاة وكانت مزاة بافريقية فى قوة عظيمة من مال وحال ورجال وخيل ، وقالوا : انهم كانوا اذ ذاك فى اثنى عشر ألف فارس ، واما الرجال فلا يحصون كثرة .

وبلغ ابا تميم شدة محبتهم لابى القاسم وطاعتهم له وانقيادهم لاوامره هم وغيرهم من أهل المذهب الذين بالبادية من قبائل افريقية ، فعلم انه لو دعاهم لامر لم يتخلف عنه منهم أحد ، وتصور فى خاطره ما نقله اليهودى وقامت عنده دلائل ما يحذر من قيام ابى القاسم عليه ، فكتب الى واليه على الحامة يامره بان يقتل ابا القاسم ويبعث

اليه برأسه ، والوالى لم يرد قتل ابى القاسم لمكانه منه من الصداقة المرعية ، بل أقبل على ابى القاسم كالواعظ له وأشار عليه بالمسير الى الحج ، فقال انى حججت فقال : انكم معشر الوهبية تحسنون اعادة الحج وتؤثرون فضله فقال له : ليس لله علي ان احج مرتين ، واستبطأ ابو تميم واليه فكتب اليه كتابا ثانيا بمثل ما كتب فى الاول ، فلم تكن معه أيضا مبادرة الى ما امره به ، بل أقبل على القاسم وقال ألا تخرج الى بعض البلاد التى فيها معظم أهل مذهبك مثل وارجلان وغيرهما فتنتفع بهم وينتفعوا بك ؟ فقال اترانى أن اخرج من الدنيا وانا حي ؟ يعنى بالدنيا قسطنطينية ، وفى كل ذلك لم ينتبه ، لما اراد الله من تمام امره ونهاية حكمه واستبطأ ابو تميم من الوالى امثال ما امره به فكتب اليه كتابا ثالثا يامره بقتل ابى القاسم ويقول له : اما وجهت برأسه واما وجهت من يأتى برأسك ، فلما وصل الكتاب الثالث وتبين منه عزمه على قتل ابى القاسم وعلم ان لم يقتله كان هو المقتول ، استدعى ابا القاسم وناوله الكتاب الاول والثانى والثالث وقال له : لاجل هذا كنت اشير عليك بما اشير انما كنت احتال على سلامتك مع سلامتى لو قدر الله بالسلامة . والآن لا اوثر عليك الا نفسى .

قتل ابى القاسم
من طرف العمز
الفاطمي

فلما رأى ابو القاسم الكتب الثلاثة ايقن بالموت وقال امهلنى حتى اركع ركعتين . قال : فتركه حتى ركع ركعتين فما استتمها الا والدار مشحونة رجالا عليهم السلاح فابتدروا ابا القاسم وواثبوه فلم يجد الوالى من نفسه قدرة على مشاهدة ابى القاسم فى هذه الحالة ، وادركته شفقتة عليه لما بينهما من المودة الاكيدة فطلع الى غرفة فى الدار فدخلها ، واغلق بابها عليه . قيل وكان فى يد ابى

القاسم سكين وجعل يدافعهم عن نفسه ، فمهما أحس
الوالى ان ابا القاسم دفع الرجال وهر بهم نظر اليه مسرورا
بذلك . واذا ادفعوه وحصلوه دخل واغلق على نفسه الباب
فلم يزل هذه حاله معهم الى ان قتلوه . فمات مظلوما شهيدا
ومضى حميدا رحمة الله عليه فلما قتلوه غيبوه .

وابتدروا ابا محمد ويسلان بن يعقوب المزاتى رحمه
الله فاخذوه وقالوا له : انت صاحب ابى القاسم . ومضوا
به الى السجن ، وقال لهم متصلا : اين صحبتك ؟ افي المدارج
أم غرنبيس ؟ وهما موضعان يقعد فيهما السلاية اذا
خرجوا لقطع الطريق . وكان ابو محمد ويسلان جهير
الصوت ، حافظا لكتاب الله عز وجل فلما انتهوا به الى
السجن لجأ الى قراءة القرآن ، فلم يكن له شأن الا قراءة
القرآن ليلا ونهارا . حتى شكى اهل السجن ما لقوا منه
من الارق ، فاخرج من السجن ثم سئل بعد ذلك عن السجن
وعن صفته فقال : يصلح لقراءة القرآن .

سودة ابي نوح
وابى خزر
لقتل ابي القاسم

ولما قتل ابو القاسم عظمت المصيبة فيه عند جميع اهل
الدعوة ، وبلغ فيهم قتله مبلغا عظيما ، ولم يجدوا فيه
سلوة ولا سمحت نفوسهم بالصبر عن دمه ، والطلب بشاره
فاجتمع الشيخ أبو خزر ومن معه من المشائخ فى القيام
بامر الله عز وجل ودفاع ائمة الضلال ، الا انهم لم يروا
ان يشرعوا فى شيء من ذلك دون مشاورة اهل الدعوة ولا
ان ينهضوا دون استنجادهم فارسلوا الى جهة طرابلس
أبا نوح سعيد بن زنفيل فتوجه الى جبل نفوسة وكان شيخهم
حينئذ والذي اليه ينتهى امورهم « عون بن عبد الله بن
ابى عمر بن ابى الياس » فجمعهم ابو نوح وشاورهم ،
فقالوا له : نحن بعد وقعة مانو فى ضعف والذي يظن بنا

من الفضل لا نهض اليه ، ولكن جدوا فى امركم وكونوا على اهبتكم ، فنحن نعينكم بما قدرنا عليه ، ولا نبخل عنكم بطاقتنا . فرجع عنهم ابو نوح وسار الى جربة فاجتمع بجماعتها واستشارهم فكان مراد العامة منهم القيام فى الله ، وطلب ثار الشيخ الا ما كان من ابي صالح اليراسنى رحمه الله فانه كره ذلك . ولعله رأى ما لم ير غيره ، وفراسة المؤمن مما ينبغى ان تتقى كما جاء فى الآثار ، وكان من قوله لابي نوح لا تهيجوا على أنفسكم أهل الخلاف فانهم أكثر منكم عددا ومددا ، وأقوى يدا ، الا العامة فانهم احبوا اجابة دعوة الشيخ ابي نوح فرجع ابو نوح الى المشائخ فاخبرهم بما عند اهل طرابلس ، فاتفق رأى الشيخ واصحابه على ان يكتبوا بنى امية فى شأن ابي تميم ويستنهضوهم ، ليكون قيامهم عليهم جميعا ، وبنو امية بجزيرة الاندلس ، فامروا ابا نوح بان يكتب الكتاب فكتبه عنهم بما ارادوه من الرأى ، ووجه الكتاب الى بنى أمية ، فأخذ الكتاب فى الطريق فانتهى به الى ابي تميم فقرأه ، فازدادوا حنقا . وكان ابو محمد ويسلان أيضا ممن كره القيام على ابي تميم ، وكان يقول لاصحابه لا تعلمون ان جل من معكم من قبائل « مزاة » ليس لكم فيه ما تقومون به وتمولون عليه . ونظر يوما الى ابي نوح وقد اكثر النجوى فى القيام على ابي تميم ، وقال له : ساعلم يا ابا نوح من أين تخرج نجواك . ثم ان تميم سمع بخروجهم عليه ، واستعدادهم لقتاله ، فارسل الى المشائخ ان ارجعوا الى بلادكم ، التى كانت بها أوائلكم قبل هذا من تاهرت وغيرها فتكونوا على ما كانت عليه أوائلكم ونكون على ما كان عليه أوائلنا ، فكان ذلك مراد

ابى خزر فعرض على اصحابه هذا الذى قاله ابو تميم فابت العامة الا مناصبة أبى تميم ، وقتاله ، والطلب بثأر الشيخ ، ثم ان ابا خزر ارسل الى ناحية الزاب واريغ ووارجلان أبا محمد جمال ابن المدونى يستنفرهم ويستمدهم ، وذكر يعقوب بن اسحاق ان رسل ابى خزر وصلت الى اهل وارجلان فاستنفرهم فخرجوا فى قوة عظيمة وسلاح شاك ، ثم ان ابا خزر اجتمعت له جموع مزاة فى اعداد كثيرة خيلا ورجالا . فاعجبته كثرتهم ، وحدثته نفسه انه يدرك ما طلب ببعض مزاة ، فضلا عن جميعها وكيف ومعه جماعات من غير مزاة ، فلم ينتظر من يزداد ، من الامداد ، فانتهاز الفرصة بهذا الجمع العظيم الذى اجتمع له ، وعزم على التعبئة فى (باغاي) .

وحدث ابو محمد ميمون بن حمودى رحمه الله قال وجدت الواح التلاميذ الذين خرجوا الى باغاي بمسجد المنية ، وكانوا قبل ذلك يتعلمون الفروسة بفحص مسجد ابى خزر ، قلت اما مسجد المنية فنخرج كنومة بتفيوس ، وكانت اذ ذاك عامرة ، واما مسجد الشيخ ابى خزر فحدثنى ذو السن من أهل دقاش تفيوس انه المسجد الذى يشارفها وقد وقفوا فى عدد . وسمعت نحو من ذلك ، حكى عن غيرهم ، ممن يوثق به ، وهو موضع معروف البركة وقيل هو بالهامة ، والله اعلم .

قال : ثم ان ابا خزر عقدوا له الولاية على الدفاع ، وطلب الحق ، على انهم ان يظفروا بما طلبوا عقدوا له الولاية على الظهور ، فزحف ابو خزر ولم ينتظر الامداد . فلما وصلت عساكره الى باغاي حاصرها ، وفيها طيان الصقلى . وكان واليا عليها من قبل ابى تميم ، وكان قائدا

ابو خزر يتمجل
بمحاصر باغاي

من قواده وزعيم انجاده ، فكتب طيان الى ابي تميم يعلمه ان قائما قام ثائرا في البربر ، يعرف بابي خزر الوسياني وانه اجتمع اليه خلق عظيم ، ولما بلغه الكتاب اغتم لذلك غما شديدا ، وقد أثرت الرسل من عند طيان بقوة ابي خزر وزيادة أمره وكثرة ما صار حوله من العساكر ، فجمع عساكره فلما كان في اليوم الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، خرج بعساكره الى باغاي ، يريد لقاء ابي خزر فوافاه قريبا منها بعد قتله طيان ، وبلغ في ابي تميم قتل ابي خزر طيانا مبلغا عظيما ، وكان ابو خزر لما حاصر طيانا اشد الحصار دافع عنه أهل الموضع فلقوا من محاصرة ابي خزر اياهم شدة عظيمة ، وأيسوا من السلامة . واضطر ابو خزر الى القصر القديم ، وطمع في الظفر بهم . فلما رأى ذلك أهل الموضع جعلوا ينتهبون ما في القصر من الاموال بعد موت صاحبهم فيبذلونها خفية لمن يرجون عنده خلاصا فيما هم فيه ، وبمن يأملون فيه النفع من أهل عسكر أبي خزر ، يستميلون القلوب بذلك ، ويرمون في العسكر الخلل . فما وصلتهم عساكر أميرهم الا واداروا حيلة ظفرتهم بما كانوا يحاولونه ببذل المال .

وذلك ان فخذنا من مزاة من عسكر ابي خزر يقال له بنى يليان غلب فيهم حب الطمع على صيانة الاحساب والاديان ، فعرف أهل الموضع ان الطمع قد استهواهم وان بمصانعتهم يدركون مناهم ، فجاءلوه في خفاء بمال جزيل على ان ينهزموا بغير قتال ، ويكونوا سببا لوقوع الفشل في عسكر ابي خزر ، ولم يكن احد من أهل العسكر علم بالجمائل التي أخذها بنو يليان على خذلانهم ، ولا

انهزام ابي خزر
ومن معه

اتهموهم بالوقوع فى مثل هذه الدنية ، قيل وكان بين بنى يليان وبين فخذ آخر من مزاتة يقال لهم « بدنة » حقوق قديمة فعزموا على ان يجعلوها ذريعة الى ما اضمروا من الغدر ، فلما كان صباح غد يؤمئذ، والتقى الجمعان والتحم القتال ، القوا فى مسامع اهل العسكر ان بدنة تخافت على أموالهم وأهلهم وانهم لا يتركون الال والمال ، بل يتوافون حمى دمارهم ، فانهزموا كأنهم يريدون استنقاذ أموالهم وأهلهم من بدنة ، وانما ذلك لامر برم بليل ، فعند انهزامهم وقعت الهزيمة فى العسكر، وكر أبو خزر وأبو نوح وعبود وامثالهم ، وكانوا فى ساقطة العسكر يحمون أواخره حتى قتل منهم خلق كثير ، وقتل عبود وأصحابه فيمن قتل ، وتفرقت العساكر فوافاهم أبو تميم وقد انهزموا ، فاخذت عساكره من الاموال والغنم والجمال والبغال ما لا يحصى كثرة ، وتمادى أبو تميم فى طلب أبى خزر ؛ ووافاه يوسف بن زيرى من السير (١) ، وجعفر ابن على من المسيلة كل واحد منهم مجدا فى طلب أبى خزر؛ فأخذ فى وعور ، ولم يعلم له خبر وخفي أمره ، ورجعت عنه العساكر .

وكان أبو محمد جمال قد أقبل بامداد أهل ريغ واورجلان فى جموع عظيمة وقد خرج معهم خزرون بن فلفول ، وهو أحد المشاهير فى زمانه ، فلما وصلوا موضعا يقال له أفودان يطلا ، على مسيرة نصف نهار من باغاي ، فيما قيل ، فتلقاهم هناك رسل بخبر الهزيمة فى كتاب ، فلما قرأ الكتاب بصفة الحال بكى وابكى من معه وأمر الناس بالرجوع الى منازلهم ولما انهزم العسكر تنحى أبو

(١) كذا فى النسخ لعله من « اشير » وهو مقر ولايته

خزر عن الناس وتمادى به النجا حتى لما الى جبل يقال له تلتماجرت ، ومعه أبو محمد يوجين فاقاما هنالك أربعين يوما حتى انقطع الخبر ، قال وليس لهما حينئذ طعام الا الاوبر (١) يصيده أبو محمد يوجين فيعالجه فيعيشان به . ثم توجه الى جبل نفوسة واستقر بها ، واما ابو نوح فتخنس (٢) ولبس عباءة ، وظل يرعى ابلا فخرج أبو تميم جاداً فى طلب الشيوخ ، وفرق الرسل يمينا وشمالا فى طلبهم .

فبينما هم يطلبون اذ صادفت الرسل أبا نوح راعيًا القبا، القبر على
متنكرا على الحالة الموصوفة ، وعرفوه وقالوا له ، ليس
مثلك يرعى الابل ، وقيدوه فى الاصفاذ وقادوه الى أبى
تميم ، فلما دنوا من القيروان البسوه الزنار على خلق
رثه ثم حملوه على جمل وجعلوا يطوفون به فى كل سوق
مروا به ويبرحون به : هذا الذى سعى فى مخالفة دين الله
والقيام عليه ، سعى فيه زمانا ونحن عنه غافلون ، سعى
فيه بجبل نفوسة وبجربة واستمد الامداد ووعدهم الاصفاذ
كمايقول المنادى.وهذا كله فيما ذكر ابن ورميكوك ، وكان
حسن بن ورميكوك من نفوسة قنطنار وكانت أم أبى نوح
تتبعه حين يطوفون به وتظهر جلدا وشامة ، فاذا رأوا ذلك
منها عجبوا وقالوا : متمثلين لا يلد الاسد الا اللبؤة ، فكانوا
اذا نزلوا أنزلوه عن الجمل ووكلوا به السجان ، قال أبو
نوح فلما انزلونى يوما وقد قرب مغرب الشمس وتيممت
للمصلاة وقد اشفقت تلك العيشة من ان يقتلونى ، فحرصت
بالتعجيل على الصلاة ، فقال لى السجان يا سعيد ادخل

(١) لعله جمع وبر بالاسكان وهى دويبة كالسنور من جنس بنات عرس . الا ان هذا
الجمع غير مشهور فيها . او يقصد بنات الاوبر ضرب من الكماء .

(٢) تنكر وغير زيته .

الخباء واسترح وأزل عنك البرد ، وحينئذ تصلى ، فلما سمعت ذلك عنه رجوت الحياة ، وسكنت نفسى . قال أبو نوح وكان رجل منهم يجيئنى ويقول : تركت رجال مولاي يتحدثون فى أمرى ويتهددون بتمزيق لحمى وأكله بضعة بضعة ، فأقول لكن مولانا ليس عنده الا الحسن الجميل ، فاذكر فيه من الفضائل ما يسر سامعه ، فبلغه ذلك عنى ، فيعطفه على ، الى ان عفى عنى ، فلما عفى عنى أبو تميم وقربنى ورفع منزلتى ، كان الرجل الذى يجيئنى قبل بالاخبار المخوفة والتهديد يقول انما نحن عبيد مولانا ، فمن أحبه احبيناه ، ومن كرهه كرهناه .

قال أبو نوح : ثم ان أبى تميم جمع أصحابه ووزرائه وكتابه وتأمل الكتاب الذى كنت قد كتبتة الى بنى أمية المتقدم ذكره ، فذكر لهم انى كاتب أبى خزر وصاحب سره ، وارادوا الوقوف على خطي يعرضونه على خط الكتاب المذكور ، حتى يعرفوا هل أنا كتبتة أم غيرى ، وعندهم رجل يهودى فقال لهم اليهودى أنا استخرج لكم خطه ، فقال أبو نوح بينما أنا فى ايديهم اذ أتانى اليهودى ببطاقة ومحبرة فقال لى أكتب الى مولانا ان يعفو عنك ، واعتذر بما عندك من احتجاج فان مولانا كثير العفو . ووضع البطاقة والمحبرة واداتها فخرج عنى ، فتناولت لأكتب ، فكتبت سطر البسملة لا غير ، ثم أيقظنى الله عز وجل وذكرنى الكتاب المتقدم فى شان أبى تميم الى بنى أمية ، فقلت لعله وقع الكتاب عند أبى تميم ولعل اليهودى انما جاء خديعة ومكيدة لا نصحا ، فقصصت السطر المكتوب أولا ثم استأنفت كتابا بخط غير خطي المهودى فلما كان بعد قليل اذ اليهودى

قد دخل وتناول الكتاب جدلانا مسرورا ، وحسب انه نال المقصود ، ودفع الكتاب الى ابي تميم فاجتمع عليه الوزراء والكتاب وجميع الوارقين ودفع اليهم الكتاب الاول والكتاب الثانى فعرض الخط ، ووجدوا الكتابين مختلفي الخط غير متفقي الحروف ، فاتفقت كلمتهم على ان كاتب الكتاب الأول غير كاتب الكتاب الثانى الا رجلا واحدا احذقهم ، فانه قال كاتبهما واحد غير انه بدل خطه ، فقالوا له لو صح ما زعمت لوقع الاختلاف فى سطر أو سطرين واما الكتاب كله فمحال ، هذا مما لا يستطيعه كاتب .

ثم ان ابا تميم وجه الى ابي نوح فجاء فى قيوده فلما
دخل عليه وجده فى قبة حمراء على سرير قوائمه من عاج
احمر وعليه ثياب حمر وعلى رأسه قلنسوة حمراء ، وحوله
رجال بايديهم الرماح ، قال فلما عاينت ذلك كله غلب على
ظنى انما احضرت للقتل ، الا انى لم أياس من روح الله .
ورجوت ان يأخذ بناصيته من بيده ملكوت كل شيء ، قال
فلما صرت بين يديه سلمت عليه ، فاطرق مليا فلما رفع
رأسه قال لى : يا سعيد ، أحقا انكم كاتبتم فينا بنى أمية ؟
قال أبو نوح يا سيدى ان كانت معذرتى تقبل وحجتى ترفع
اعتذرت واحتججت ، قال قل ما عندك فلما وجد الى الكلام
سبيلا وكان شهم الجنان فصيح اللسان كثير البيان ، قال :
كيف نكاتب بنى أمية وقد علمت ما بيننا وبينهم يوم
الدار ويوم الجمل وايام صفين ، وهم الشجرة الملعونة فى
القرآن . فلما سمع منه ذلك ابو تميم سره وتبسم وانبسط
بعد الانقباض والعبوس ، قال أبو نوح فدفع الي الكتاب
الذى كنت كتبتة الى بنى أمية فقال ألسنت كتبت هذا
الكتاب ؟ فقلت بالله الذى لا اله الا هو ان هذا ما كتبتة

ابو نوح بين
يدى المعز

الى بنى أمية ، قال فاختلّفوا فى يمينى فطائفة قالوا انه لم يحلف لانه جعل ما زائدة وقال بعضهم انه من البربر ولا يظن لهذا ولا يفهمه ، قلت لا شك ان ابا نوح قصد بلفظ يمينه المعارض التى فيها مندوحة على الكذب وسلك مسلك الملاحن . وعلى هذا تكون ما بمعنى الذى أو تكون نكرة موصوفة فيكون التقدير ان هذا الذى كتبته او ان هذا شيء كتبته ، وكلاهما حسن فيصح ، فهذا الذى قصد ، والله اعلم .

ثم قال ابو تميم نعم ما هذا بخطك الا ان يكون غيرت يا سعيد . ثم قال : يا سعيد أرايت ان لو صادفتنى يوم باغاي أكنت تاركى لفيرك ، فقال لست بتاركك لفيرى . قال هذا الذى هو أجل قد اقررت به فكيف ما دونه ! فعلم حينئذ ان ابا نوح قد صدقه فى كل ما سمعه منه . ثم قال له : يا سعيد اعلم ان هذه القيود انما دخلت رجلاك فيها بحكم شرعى ، فقال له أبو نوح عسى الله ان يجعلها كفارة ، فقال أبو تميم وقد غضب فكنا اذا مسيئين فيك ، بل عسى ان يجعلها متصلة بعذاب الآخرة . قال : أبو نوح فلما عرفت فى وجهه الغضب قلت له ليس فى ذلك ما يثبت الاسامة لمولانا . الا ترى ان الله عز وجل يبتلى عبده المؤمن فيصبر ويؤجر وليس فى ذلك ما يثبت الاسامة لله تعالى ، قال فلما سمع هذا رأيته كأنه انبسط وذهب غيظه .

ابن بلعن يشفع
فى ابي نوح

ثم شفع فى ابن بلكين بن زيرى الصنهاجى ورغب ابا تميم فى ان يحل وثاقى ويعفو عنى فشفعه ، قال فأطلق أبو نوح فخلعت عليه خلعة نفيسة ، فلما جاءوه بها وهموا بان يأخذوا الاطمار التى عليه ، ويكسوه هذا الكسوة الشريفة ، امتنع عن الازالة لتلك الاطمار عنه ، وقال : كل

ما يأتى من عند مولانا فحسن جميل . قال فبلغوا ذلك عنه
فزاد فى تكرمه ، وقرب مجلسه . وكان يرسل اليه فى كل
حين لا يفتر عنه . قال ابو نوح فارسل الي يومنا من الايام
فلما دخلت وسلمت عليه ، ووقفت بين يديه ، قال لى : أين
صاحبك يغنى ؟ قلت لا ادرى فقال لو كان صاحبك فى غانة
لجاءت به دراهمنا . ثم قال لى أترأه يخشى أمره . فقلت :
ان كان من مولانا أمان عام شمل الناس فى بلادهم فلا
يخشى أمره ، وان لم يعمهم امانه فى بلادهم فانه يخشى
أمره . قال فاستبان النصيحة فى قولى .

ابو تميم المز
يعطى الامن
للإباضية

فبعث فى الامان فى بلاد الوهبة كلها وأمر ان لا يهاج
منهم أحد ؛ فذكر المشائخ ان أهل الدعوة فى امانه الى يومنا
هذه، قلت وذلك لانهم من ذلك سالموا فسلموا، هذا الذى عناه
المشائخ ، وحدث ابراهيم بن أبى ابراهيم ان أبا نوح دخل
ذات مرة على أبى تميم فأمر خازنه بان يملأ كم أبى نوح
مالا دنائير ودراهم ، قال أبو نوح فدخلت مع الخزان
الى بيت المال فكان يدفع الي وارخى كمى فلا يكاد يقتل ،
فيقول الخازن ألم يمتلئ كمك الى الآن؟ فلم يزل يزيد حتى
امتلا كمى ولم اكد ان انتقل من مكانى لثقل كمى قال
فرجع الخازن الى أبى تميم فسأله عما أمره به ، فقال قد
فعلت، فأمره أبو تميم بأن يخرج متجسسا الى ما يصنع
أبو نوح وما يكون منه ، فخرج الى باب القصر القديم فوجد
أبا نوح يأخذ بيده ويدفع للناس يمينا وشمالا ، حتى لم
يبق فى كمه الا قدر قبضة واحدة ، فرجع الى أبى تميم
فقال له : ان الشيخ لمجنون انى وجدته يفعل كيت وكيت ،
فقال أبو تميم كلا ما هو بمجنون ولكنه منتحل للرئاسة .

الحزب يشارك العلماء
في المناظرة حول

فكان أبو تميم يجمع علماء الفرق يتناظرون حوله في العلوم فكان أبو نوح مقدما فيهم ، فحسنت حالته وازدادت مكانته لما جمع من علم وفصاحة وبراعة ومعرفة بفنون الرد على المخالفين ، فكان أبو تميم لا يزال يثني عليه ويحسن اليه ويحسن جوابه في المناظرة . (فمن المسائل التي وقعت فيها المناظرة انه ، قال يوما : يا سعيد؛ اسأل اليوم عما بدا لك ، فقال أبو نوح فما الدليل على أن لهذه الصنعة صانع ؟ فمكث الحاضرون حيناً ثم اجابوا باجوبة لم ارضاها ، ولا اقنعتنى . فقال أبو تميم اجيبوا الرجل بما يقنعه ورأيته قد تهلل . فعلمت ان الجواب السديد قد حضره ، ومنعه أدبه ان يسرع به ، فقلت ان رأى مولانا أن يتفضل على عبده بالجواب فعل . فتبسم وقال يا سعيد يقال لهذا السائل جوابك في سؤالك ، فان قوله صنعة دليل على صانع . قلت لهم هذا والله هو الجواب المقنع ، ثم اعلمت بعد ذلك به الشيخ ابا خزر ، فاستحسنه . قال واستحضرني يوما آخر فوجدت رجلاً معتزلياً يتكلم في اسماء الله تعالى فاوعيته سمعي الى ان عشر عشرة فلم اسمح باقالاته ، وذلك انه قال اسماء الله متغايرة كزيد وعمر فقلت له مع من تتكلم يا هذا ؟ أمع مولانا أم مع غيره ؟ فقال لي أبو تميم ناظره ، فقلت له ألسنت تقول زيد غير عمرو ؟ قال بلى ، فقلت : أو كذلك الله والرحمان احدهما غير الآخر ؟ ولهما مغاير غيرهما ؟ فلم يجد جواباً ، فقال أبو تميم هذا والله الكفر بعينه ، فعجز المعتزلي ، وانقطعت حجته .

الطو عن أبي خزر
ومقنعه الى القديوان

قيل ان ابا تميم اطال البحث على ابي خزر والاستطلاع على أنبائه . حتى علم انه بجبل نفوسة ، فارسل أبو تميم اليه بالامان وكان في عز واکرام عند ابي زكرياء بن أبي

عبد الله بن ابي عمر بن ابي منصور الياس ، وكان قد علم بان البحث عليه فى جبل نفوسة فلم يقع فى نفسه خوف ، لمكانه ، فلما سمع الامان وصح عنده كتاب ابي تميم بذلك خرج من جبل نفوسة متوجها الى القيروان فلم ابو تميم بقدمه وانه وصل الى قابس قال أبو نوح : فوجه الى أبو تميم ، فقال لى ان صاحبك قد توجه ، وقد وصل الى قابس فسر اليه وألقه هناك ، قال ولم أكن قبل ذلك اعلم له مستقرا ، فاستبشرت وقلت له ان رأى مولانا ان يوجه معى خيلا من مزاتة فعل ، فوجه معى ثمانين فارسا من مزاتة فلما خرجوا معى طعن فينا بعض الجلساء ، وقال اذا منحت لابي خزر هذا الثمانين فارسا فانه يمتنع بها حيث شاء . فوجه فى اثرنا من رد الخيل الا الاقل منها . قال فسرت الى قابس فوجدت فيها ابا خزر فسلمت عليه ، فقلت ما هذا المجيء ياشيخ ؟ اما تخاف على نفسك ؟ فقال ما بين مجيئك ومجيئى الا قليل ، لم اخرج من جبل نفوسة الا بامان ابي تميم ، وقد علمت انه لا ينقض عهدا ولا يحل عقدا ، فلما استوثقت من امانه أقبلت . قال وسارا ومن معهما الى القيروان فلما دخل ابو خزر على ابي تميم رحب به وأكرمه وعظم شأنه وانزله فى مسكن حسن وحمله على فرس كريم واجرى عليه رزقا واسعا ، والطفه ، ورفع منزلته ، وأدنى مجلسه وسنى قدره وشاع فى الفضائل ذكره وأمر له بحلة جزيلة وخلع عليه خلعة نفيسة جلييلة ، وكان مجلسه على سريريه دون جميع الجلساء . والقوم انما كانت نهايـة شرفهم وعلو منزلتهم ان يقفوا بين يديه ، وكان دخوله وقدمه على ابي تميم فى الحادى والعشرين من ربيع الآخر سنة 359 تسعة وخمسين وثلاثمائة ، فاقام عنده حتى رحل معه الى مصر .

ولما تواترت الكتب على السلطان من جهة المشرق لصالح مصر والشام والحجاز واقامت الدعوة له بها ، سره ذلك واستبشر وأخذ فى تهيئة الخروج ، فخرج باهله وعساكره وبيوت أمواله وعزم على استصحاب الشيخين أبى خزر وأبى نوح لئلا يكون منهما بعده فى المغرب خروج عن طاعته وقيام عليه ولكونه أيضا لم يرد مفارقتهما ، فكلهما فى ذلك لياخذوا فى أهبة السفر ، فاما أبو خزر فقال كيف بالقيام بعدك والقيود عنك ؟ واما ابو نوح فكره ذلك وكان عند أبى تميم رجل يهودي ، يعرف فضل أبى نوح ويتخدم له ويجد فى حاجته ، فعلم ما عنده من كراهية المسير فنصحه اليهودي ، وقال تمارض وانقع نخالة الشعير واشرب من مائها ، واغسل به وجهك ، فان حالك يتغير ، ويظن من يراك انك مريض ، فحين عزم أبو تميم على الحركة سأل عن أبى نوح ، فأعلم انه مريض فاستدعاه فاحضر فلما رآه مصفر الوجه متغير الحال ، ظن انه مريض فأذن له فى المقام ، فاقام مسدة تأهب أبى تميم للحركة حتى ارتحل ، ولم يسأل عنه فى اثناء هذه المدة ، فارتحل ابو نوح الى جهة وارجلان وسيأتى ذكر ذلك ان شام الله اذا فرغنا من اخبار أبى خزر .

وقال ولما ارتحل ابو تميم من افريقية ولى على جميع أموره بها وعلى جميع انظارها بلكين بن زيرى الصنهاجى ، وأوصاه عند توديعه بان قال له اشفىنى فى أولاد المجوس زنانة ومزاةة ، واعلم انى قد تركت لك بافريقية مائة ألف منزل فمتى هممت بمحاربة عدو فاجمل على كل منزل فارسا واحدا ، فانك تكتفى بذلك حرب من تريد حرب به

ويريد حربك (x). واما ابو خزر فجزع لفزقة الاخوان
والنأي على الاوطان جزعا قد اظهره اذ غلب عن كتمانته ،
حتى عبر فيه لسانه عن ضمير جنانه ، وسمعت بعض
العزابة ينسبون اليه قطعة شعر قد قالها عند رحيله وبيعد
عندى ان يكون ذلك الحال من قبله ، ولم اضعها فى جملة
اخباره ولا اثرتها فى آثاره وربأت به عن ان يكون ذلك
من صناعته فيكون ذلك مغلا لما تقدم من ذكر بلاغته
وبراعته وهى قطعة عينية لا تليق بذى بديهة ولا روية .

ابو خزر ينتقل مع
المز الى القاهرة

واجتاز ابو خزر فى طريقه الى المشرق بلماية فبالغوا
فى اكرامه وابراره ، وافرطوا فى اعظامه واكباره ،
وتمنوا ان تكون عندهم مقامته ، وساءتهم مسيرته مع من
لا ترضى امامته ، فاثنى عليهم وشكر ما هم فيه من حسن
الطريقة ، وقال أهل الدعوة على الحقيقة وختم بعد جميل
النشاء ببركة صالح الدعاء .

وبلغنا ان ابا زكرياء فيصل بن ابى مسور رحمه الله
خرج من جربة حين سمع بمسير ابى خزر الى المشرق يريد
وداعه ويسأله عن مسائل فى مهم دينه اشكلت عليه ولم
يجد بدا من الانتهاء فيه اليه ، قال ابو زكرياء فسألته عن
ثلاث مسائل فاجاب فى جميعها بما يسرنى فودعته واودعنى
لوعة فراقه .

واقام ابو خزر مع ابى تميم فلم يزل معه ملحوظا بعين
الكمال مقابلا بالاحتراف والاحتفال ، واصحاب ابى تميم
يلمزون ابا خزر ويظعنون فيه ويحسدونه فى تفضيله
عليهم ، واشاره دون خواصة من يصطفيه ، وبلغنا انه

(x) اما رواية ابن خلدون فانه يقول : اوصاء بثلاث : ان لا يرفع السيف عن البربر
ولا يرفع الجباية عن أهل البادية . ولا يول احدا من اقاربه .

سار ذات يوم ومعه ابو خزر يسايره الى ان اعترضهم زرع فشق ابو تميم الزرع ومعه اصحابه الا ابا خزر . فانه عدل عن الزرع جانبا حتى استدار اليهم من خارج الزرع فامكنتهم الفرصة في ابي خزر وطعنوا فيه عند ابي تميم . فقالوا له الا ترى انه عدل عن طريقك ولم ير اتباعك عليه ؟ فاقبل اليه بعد ما قالوا فيه ما قالوا ، فقال له ابو تميم مالك يا يغلى لم تصاحبنا على طريقنا . ام انت غير راض بطريقنا ؟ فقال وكيف لا ارضى بطريق مولانا ؟ قال فمالك لم تتبعنى حين سلكت فى الزرع قال بالخبر المأثور انه : اذا سقطت الثريا فلا يدخل الزرع الا ساقيه أو ناقيه أو واقيه ، فانا لست بأحدهم فكيف ينبغى لى دخوله ؟ واما انت فواقيه فذلك لك . فأعجبه حسن جوابه ، وقال لاصحابه ألم أقل لكم لا تقولوا فى يغلى الا خيرا ؟ والآن فقد أعذرت اليكم فمن وقع فيه بشر فلا يلومن الا نفسه .

بعض علماء مصر
يمتنح ابا خزر

ولما دخلوا مصر تسامع علماء مصر بخبر ابي خزر واشتهر فيهم فاضطربت الجهات بذكره واشتهر عندهم ان ابا تميم وصل بعالم المغرب ، فارادوا امتحانه ليعرفوا مبلغ علمه . فكلهم شاحد غربه ومفرق سهمه ، فأجمعوا ان يحضروه على طعام وتكون المناظرة بعد تناولهم آيساه ، قيل ، وكان مما عزموا عليه انه اذا حضر الطعام وحضر ابو خزر وضعوا ايديهم فى الطعام ورفعوها قبل استفتاء الحاجة فان هم رأوه رفع معهم ، حين يرفعون علموا انه يدفعه وانه يغلب عليه الوهم ، وان هم رأوه متماديا على الاكل حتى يستوفى منه حاجته علموا ان لا قبل لهم به . فلما حضر الطعام وحضر الشيخ جعل كل واحد منهم كلما تناول قليلا رفع يده قبل الاستكفاء ، فلما رأى الشيخ ذلك

منهم قال : ما بهذا الاكل احمرت وجوهكم . ثم جمع نفسه
واخذ فى الاكل من غير احتشام ولا ارتياب ، حتى اكتفى
منه ، فحين رأوه لا يقف عند الوهم امسكوا عن مناظرته
والقوا السلم دون كفاح .

المؤمن المخلص
عظيم القدر
عند الله

قيل وكان رجل من أهل تاجديت يعرف بابى سليمان
صاحب ابا خزر متخدما ، وكان كثير الملازمة له فذكر عنه
انه قال بعد رجوعه كان الشيخ ابو خزر رحمه الله كثيرا
ما يعظم قدر المؤمن المخلص المصلح ، وكان اذا ذكر من
هذه صفته قال انه خير من الملائكة ، قلت لم يقل الشيخ هذا
من عنده ولا نطق به حيث ينتقد عليه بل هو متعلق بما
جاء فى الاثر : خلق الله الملائكة من عقل بلا شهوة وخلق
البهائم من شهوة بلا عقل ، وخلق ابن آدم من شهوة وعقل .
فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب
شهوته على عقله فالبهائم خير منه .

امينه الوحيدة
تعليم الطلبة

ولما استقر المقام بمصر اقطع ابو تميم ابا خزر ديارا
وعقارا ومستغلات فحسنت بها أحواله ونعم باله وكان فى
ذلك الحال يقول : والله لا آسف على شئ فاتنى بالمغرب
الا افادة طلبة أهل الدعوة ، وما يكتسب فى ذلك ثواب الله
عز وجل ، وانى لأتمنى ان يهاجر للمرء منهم عشرون طالبا
لا يكون لاحد منهم شغل الا طلب العلم فاتكلف لهم بالافادة
فاصونهم حتى لا يتكلفون بكلفة حتى الذى يصلون به من
كرام .

اخواننا فى المغرب
يشدون على انفسهم

وكان ربما قال حينئذ ان اخواننا بالمغرب لأهل تشديد
وان لهم عندى لرخصا وانى لأتمنى لو قلدوني فيها
واخذوها عنى فيخف عنهم كثير من ذلك التشديد ، قلت اما
تمنى الشيخ رحمه الله أخذ اصحابه بالرخص فليس بطعن

فى اخذهم بالأحوط . فالإشارة لقول ابن عباس رضى الله
 عنهما الرخصة من الله صدقة فلا تردوا صدقته ، ولعله
 أيضا لم يتمن ان يفتى بالرخص كل مستفت ولا ان يفتى
 بها فى كل حال من ضرورة أو سعة بل يفتى بها من لا يرى
 فى العمل بها التهاون فى الدين أو يفتى بها فى ضيق
 يلجأ اليه الجاء أمثاله من المجتهدين . وما يؤكد ذلك ما ذكر
 الشيخ ابو نوح رحمه الله من أوصافه ايجازا وذلك انه
 قال : كان ابو خزر أورع الناس فما سمع شيئا قط الا عمله
 قال : من شأنه اذا صلى الصبح ان يأخذ فى القراءة والدعاء
 والتضرع الى الله عز وجل منتحيا عن الناس حتى تطلع
 الشمس ، ومن ورعه ما بلغنا ان ابا القاسم كان يؤم الناس
 فى صلاة الصبح ، فلما كان يوما من الايام أبطا ابو القاسم
 وخافوا خروج الوقت ، فقدموا ابا خزر ليصلى بهم ، فلما
 تقدم عن الصف أحس بقدوم ابى القاسم ، فتأخر وقدمه .

مكانة ابى خزر
 العلمية

ولما مات ابو تميم ولى بعده ابنه نزار ، واضاع احوال
 أبى خزر فلم يتفقده بما كان يتفقده أبوه من الصلوات ،
 فمسه ضيق عيش على الكبر ، فلأزم كتمان الفقر فصبر
 الى ان قدم الى مصر رجل معتزلى جاء متعرضا للمناظرة
 فناظره علماء مصر طبقة بعد طبقة فافهم جميعهم ، ولم
 يبق بمصر احد يقاومه فى المناظرة ، فشق ذلك على
 السلطان وعلى علماء مصر ، فجمع السلطان أهل مشورته
 فشاورهم فى أمر المعتزلى ، فقال له بعض من كان يحضر
 مجلس ابيه ويحضر به أبو خزر ، ان هاهنا شيئا كان أبوك
 قد استصحه من المغرب ، وكان عنده مكرما معظما موصوفا
 بالعلم والنظر ، ولا يرى لمناظرة هذا المعتزلى غير هذا
 الشيخ ، فلو وجهت اليه لكفاه هذا المهم ، فوجه اليه فلما

جاء الرسول بما اراده به السلطان ، قال له ابو خزر ليس عندى مركوب اركبه اليه ولا لباس احضر به المجالس ، فرجع رسول السلطان بمقال أبى خزر فأمر له بمركوب وكسوة سنية ، فلبس وركب ، وخرج لمناظرة المعتزلى ، فوجده فى قبة ضربها على نفسه بالفسطاط ، نصبها للمناظرة ، فاستأذن فأذن له فدخل وسلم عليه ، وسأله عن احواله ، حتى سالوه فيما يمشيه (١) فقال امشيه فى المناظرة ، فلما أطمأن به المجلس اخذ فى المناظرة فما جرى بينهما كلام فى مسألة الا والغالب أبو خزر والغلوب المعتزلى ، حتى انقضى مجلسهما ، وانقطع الكلام ، وما انجلت هبوة (٢) اللقاء الا والمعتزلى محضوم (٣) . قال : فأخذ يسأل أبا خزر أين تعلمت قال فى بلاد الشيخ والхلفاء . قال كذبت ليس مثلك يتعلم فى بلاد الشيخ والхلفاء انما قصد المعتزلى ان يحلف بالاكذاب لما لم يجد معه بدا فيما هو بصده ، فكان الفليح لابی خزر . فمن ذلك اليوم التفت وارتفع ما وهى من احواله ونزل من البر منزلة امثاله ، وبان فضل سبقه بين السوابق ، لا يعوقه عن الرفقة عائق قيل وقال المعتزلى حينئذ ما ناظرت مناظرا قطعنى الا شابا بالمغرب وهذا الشيخ ، فقال له أبو خزر ان الفتى هو الشيخ ، والشيخ هو الفتى ، فزاده ذلك اعجابا واستحسنه .

واما أبو نوح سعيد بن زنگيل رحمه الله ، فانه لما فرغ من أبى تميم ، ولحق ببلاد وارجلان ، ومعه أهله وممن يختص به ، وجميعهم تحت خوف واختفاء فلما وصل

(١) هكذا فى النسخ

(٢) الهبوة: الغيرة ، واهباء الزوبعة : نهب غبار يرتفع فى الجو

(٣) فى النسخ محضوم ولم اجد له معنى وربما مفهوم من هضم الشئ كسره .

الموضع المعروف بالبكرات بقرب وارجلان ، تقدم من قبلهم من يبشر ابا صالح جنون بن يمران رحمه الله بقدوم ابي نوح ومن معه ، فاستبشر وقال للبشير ارجع اليه وقل له لا تبغ نجوت من القوم الظالمين ، ولما وصل وارجلان انزله الشيخ وجماعة اهل وارجلان ، وأحسنوا نزوله وتجاوزوا الحد في الاعظام واکرموا مثواه غاية الاكرام ، الا ان المختص به أبو صالح ، فانه ذكر لنا انه ملأ له بيته الى السقف تمرا ، وامثال ذلك مما لا بدله منه وأجرى له في كل يوم مائدة ، وأخرى عشية ، ثم قال في نفسه ولعل له مآرب لا اعلمها أو به خصاصة لا يعلنها ، أو مفقر لا يسدها الا المال ، فانفرد به ذات يوم فتحدثا ساعة ، ثم قال له ابو صالح ادخل يدك في جيبى فما وجدت فاغسل به ثيابك ، فادخل يده فوجد صرة فيها سبعون دينارا ذهباً ، فقال له من كان له أخ صالح مثلك يا ابا صالح لم يمسه عدم ولا احتياج . قيل وبات أيضا ليلة عند ابي عمر التناوتى فعامله مثل معاملة ابي صالح فى اعداد الصرة فى جيبه فشكر صنعهما ، وقضى المآرب ، وسد المفقر فنعم المشكور والشاكر .

مجلس ابي نوح
بورجلان

وكانت جماعة اهل وارجلان تجتمع عند مسجد الشيخ جنون فمنهم المستفيد منه علما ، ومنهم المتبرك بمشاهدته والمشارك فيما يعرض من أمور دنياه ودينه ، والمقتنى خلقا يتحلى به ، والمستزيد من معرفة سبب السير فكلهم منقلب بخير وفضل . وربما حضرهم من ليس بأهل لمحاضرتهم ممن هو جنيب في مثل تلك البقعة ، ومن لا بيت له فى الرقعة ، فحضر مجلسهم ذات ليلة رجل من البله . من المغفلين الذين يحضرون مجالس الذكر فى زى المتطفلين

فقال لابی نوح اخبرنا الليلة يا شيخ بكل ما تعلمت من علم الكلام ، واستغف بعقله من حضر فاستخفوه وبكتوه واقصوه ، ولم يكن من الشيخ الا مجاملة وحسن معاملة ، الا انه قال له عند ذلك : كيف أخبركم فى ليلة واحدة بشيء أكلت فى تعلمه اقفزة ملح ، ومكث ابو نوح فى وارجلان على هذا الحال زمانا حتى أمن ما كان يخاف ، فدعاه حب الوطن الى توديع خير ألف ، ولما استفزه الاشتياق وتحقق منه العزم على الفراق قال له الشيخ أبو صالح : أقم وأقامك فى جميع ما املك وكان أبو صالح ذا مال كثير فى وارجلان فصمم على ما عزم عليه .

رجوع ابي نوح
الى قسطنطينية

فرجع الى افريقية فوجد البلاد قد تغيرت والصدور قد تنكرت ، فندم على فراق وارجلان ، ولامه اصحابه حيث لا ينفع الندم ، ولا يفيد اللوم ، فانه قد كان قصد فى رجوعه اصلاح ما يخشى فساد ، فوجد الفساد قد عم ببلاده فكان مقامه حيناً بافريقية وحيناً بقسطنطينية ، لا يالو جهداً فى تدارك ما فات ، وأحياء ما لحق بحكم الاموات .

وبلغنا ان ابا نوح كان ذات مرة بقنطنار هو وتلامذته فى الاشتغال بالدراسة والتفنن فى العلوم وايضاح سبيل الصلاح والرشاد وتغيير المناكر والفساد ، فكانوا فى حال رخاء وعيش هنىء وكان مقدم بنى درجين وحنين بن وريغول ممن يفد على المنصور بن بلكين بن زيرى الصنهاجى . فوفد عليه ذات مرة فاكرمه وقربه وحياه وأحسن ، فرجع على احسن حال ظافرا ببلوغ الآمال . فلما سمع بقدومه خرج ابو نوح وتلامذته ، وخرج أهل البلد ليتلقوا وحنين ، فلما كانوا بخارج البلد بحيث يبصرون وحنين نظروا فاذا جماعة قد سبقتهم فامنعوا النظر فى

— أولئك الذين سبقوهم ، فإذا هم من النكار ، فلما علم أبو نوح انهم النكار وانهم سبقوا حدس انهم عجلوا ليكونوا الحفاوة وحنين أهلا وليكونوا بالمكانة عنده أحق ممن سواهم ، وأولى ، فقال لاصحابه قفوا مكانكم ، فان هو صافح النكار قبلنا ، هجرناه ، فلما قرب النكار منه وقد أشرف عليهم اصرف عنهم عنان فرسه وأشار بالسلام اشارة واعرض عنهم وتقدم نحو الشيخ ليبدأ بمصافحتهم . فلما فهم ذلك عنه الشيخ أبو نوح واصحابه ورأوا اعراضه عن النكار ، قال لاصحابه قوموا بنا لنصافحه فلما كان قريبا منهم نزل عن فرسه وجاءهم يمشى ، قال يوسف بن النفث : كانى انظر اليه وقد اقبل لابسا كسا خز وأشبورة نصف الكسا ، حتى صافح الشيخ واصحابه واهتز أبو نوح لفضله ، ودعا له حينئذ بدعوات تحققت منها البركات ، وان بركة تلك الدعوة لباقية فى عقبه الى يومنا هذا . قيل ، وكان من قول وحنين حينئذ للشيخ واصحابه أنا والله ما كان لى هم فى مغيبي ولا أسف على شيء لومت فى سفرى هذا الا القيام بواجب حقوقكم ، فان الذى أوجبه من ذلك على نفسى قد لا يقوم به غيرى ان غبت أو مت فضاغفوا فى شكره .

وبلغنا ان المنصور بن بلكين ارسل الى ابي نوح يأمره بقدومه اليه ، فلما جاءه الرسول بهذا الخبر قلق أبو نوح تجددت عقابيل الخوف كالحالة الاولى ، ثم تثبت فى أمره فتوجه الى دار وحنين فى وقت هاجرة فادخله فاستشار وحنين فى المسير اليه ، وهل هناك أمر يخافه عليه فيحذره أو شر يتوقعه ؟ فقال له وحنين ان طاب على نفسك المسير فسر ، فانى لا اخاف عليك ، وان كرهت المسير فأقم وأنا

امتمك وأخالف عليه من أجلك ، فدعا له بالخير . ثم ان
أبا نوح استخار الله تعالى ، واجاب دعوته ، فقصص المنصور
وسار متوجها الى القيروان واعلم المنصور بقدمه فاذن له
بالدخول ، فدخل فسلم عليه وأذناه ، وأحسن اليه وأكرم
مشواه وفضله على كثير من جلسائه واصحابه ولقي من
القبول ضد ما كان يخطر في وهمه ويخشاه ، فبلغنا ان
المنصور حينئذ تكلم بكلام ليأنس بذلك ابو نوح وينجلي
همه ، ويذهب عنه من الروع والحزن ما كان يتوهمه ،
فكان من كلامه اعلم يا شيخ ان رمحي وهبي وسيفي وهبي
وذلك ليشعر بالامان ، ويتأكد منه صفاء الصدور من
الاضغان ، فأنس لذلك واطمأن ، وحمد الله لذلك بجميل
الظن .

مناظرة ابي نوح في
مجلس المنصور

وكان ابو نوح كما ذكرنا عالما بفنون المناظرات والرد
على اصحاب المقالات فكانت له في المناظرات بين يدي
المنصور اخبار مشهورة وأيام في جميل الذكر مذكورة .

فمنها ان المجلس قد ضمه ذات مرة ورجلا يعرف بابن
حمو ، وكان موصوفا بالمناظرة متعرضا لها فجرى بينهما
كلام في هذا الفن ، وتعرض ابن حمو بمناظرة ابي نوح
فبدأ ابو نوح بالسؤال ، فقال له ما علامة الصنعة ؟ فقال
الحدوث والحركة والسكون والزوال والانتقال ، قال ابو
نوح فقلت له كل محدث مخلوق فقال وقد كابر على نفسه
كل مخلوق محدث ، وليس كل محدث مخلوق . فقلت له
والمحدث اذا على ضربين محدث مخلوق ومحدث غير مخلوق ،
فليزملك ان يكون القديم على ضربين خالق وغير خالق ، قال
فقال عند ذلك بل القديم كله خالق ، قال فقلت له وكذا
المحدث كله مخلوق ، قال بل كل قديم خالق وليس كل

محدث مخلوق ، قال فقلت له ، فالكفر اذا مخلوق لانه
محدث قال وهو جواب مضطرب الكفر مخلوق لى ، قال فقلت
له اذا كان الكفر مخلوقا لك فينبغى على هذا الميار ان يكون
مربوبا لك ومالوها لك وانت على هذا القياس اله فعلك
وربه ، قال فقال مضطربا الكفر مخلوق لى وليس يجب اذا
كان مخلوقا لى ان يكون مربوبا لى قال فقلت له فلزمك على
هذا ان يكون مخلوقا لله غير مربوب له وان الله خالق لما
خلق من الاشياء وليس بربها ولا الهها ، قال ابو نوح فلم
اسمع منه بعد هذه عن كبيرة ولا صغيرة ، بل بهت
وانقطعت حجته . قال فقال لى المنصور : فما الذى يقول لك
هذا فقلت أصلحك الله ان هذا يزعم ان لله خلقا وان له
خلقا غير ما خلقه الله تعالى ، فيكون كل واحد منهما منفردا
بخلقه قال : فقال له المنصور لقد جعلت لله شريكا يا هذا .
ادّقلت تخلق والله يخلق ، فهذا الشرك بعينه . وانكر ذلك
القول عليه غاية الانكار وقبحه .

واقام ابو نوح عند المنصور فى منزلة كريمة وخيرات
عميمة الى ان ازمع الترحال فاحسن جائزته ، وانفصل على
أبر حال .

وبلغنا ان أبا نوح ناظر يكما الاعرج النكارى ، وكان
من شيوخ النكارة ومن علمائهم فقال له أبو نوح أسألك
عن حجة السمع فاخبرنى عن رجل مشرك دعاه رجل من
المسلمين الى دينه . فاخذ يعلمه التوحيد ويدرجه حرفا
حرفا ما منزلته قبل تكميل التوحيد ؟ اهو على حالته الاولى
من الشرك أم هو مسلم ؟ قال ابو نوح ثم قلت له ان قلت
مسلم فاذا يسلم الانسان ببعض التوحيد دون بعض . وان
قلت مشركا فيماذا أشرك ؟ بالذى سمع من التوحيد ام بالذى

لم يسمع منه ! فوقف . وقال لا اعلم . قال فقلت له لا تحتشم ولا تخجل فانك بلغت مبلغ امامك عبد الله ولم تقف الا فيما وقف فيه امامك عبد الله بن يزيد . ولو وقفت دون ذلك للمناك ، وبلغنا ان الشيخ سأل بعد ذلك بعض تلامذته فقالوا له ارايت ان قال لك يكما : انما اشرك بالذى لم يسمع فقال لهم : اذا قال ذلك فهو الرجوع الى قولنا : ان الحجة تقوم بسماع وبغير سماع ، وهذا قد قامت عليه الحجة بعد سماع ، وبغير سماع وان قال انما اشرك بالذى سمع قيل له اسرار التوحيد اذا خير من اظهاره ، ويلزمك ان يكون ترك التوحيد ايمانا ، ويكون فعله كفرا .

مناظرة تسودى الى
فتنة

وبلغنا ان رجلا من اهل الدعوة ناظر رجلا نكاريا بمدينة توزر ، فجرت بينهما مكاملة افضت الى ملاكمة فقال احدهما للآخر يا حمار ، وقال الآخر يا ثور فخرجوا من المدينة وكل واحد منهما ممتلىء غيظا فشكا كل واحد منهما الى اصحابه ما لقي من خصمه من سوء المعاملة ، وكان حينئذ الشيخ ابو نوح بتوزر الا انه غلب عن رتق الفتق ، وذلك ان كل جماعة غضبت لما اصاب صاحبهم فخرجوا فكان منهم لقاء بخارج توزر ، فاقتتلوا قتالا شديدا فاسرع القتل فى النكارة وانهمزوا واتبعهم الوهبة يقتلونهم الى تقيوس ، ولحق رجل من الوهبة يكما الا عرج فى الهزيمة وكان يكما ذميم الصورة ردى السيمة اشبه شئ باليهود ، فقتله الوهبي ، وبلغنا ان ابا جعفر أحمد بن خيران رحمه الله ادرك رجلا من النكار صريعا فامسك عنه فلم يقتله فقبل له بعد ذلك لم لم تقتله فأجاب بجواب غير مقنع وكان رجلا ابله . ثم ان الوهبة ائتمروا فى اتباع النكار وحصارهم فى تقيوس ، فنهاهم الشيخ أبو نوح عن ذلك فقال لهم ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذيل له على قوم مرتين
 في يوم واحد قط ، فأبت العامة الا اتباع النكارة
 وحصارهم لما أراد الله . فلما لم يجد نصيح الشيخ فى القوم
 أمسك عنهم ، وخلاهم ورايهم ، فلما وصلوا تقيوس
 حاصروا من بها من النكارة . فلما رأوا انفسهم فى الحصار
 أنفوا وتحاموا وخرجوا غضابا وقتلوا قتال رجل واحد ،
 فانهزمت الوهبة الى توزر هزيمة منكرة ، وكان ابو نوح
 فى ساقه من العسكر يحمى ظهور اصحابه فلم يزل يذود
 عنهم ، حتى غشيه النكار وقد انقطع من أصحابه وحازه
 العدو وحملوا عليه حملة رجل واحد وطعموا فى الظفر به
 وكان فى غالب الظن صار ميؤوسا منه الا ان الله عز وجل
 تداركه بلطفه فلحقه عزيز بن عيسى بن سعيد أخو الشيخ
 صابر المشهور ، فكشفهم عنه وحال بينه وبينهم حتى
 استنقذه منهم ، وافلت ، ولما نفس عن أبى نوح رجع فيهم
 كارا فبدهم شذر مدر . اخذ الشيخ فى صدره وجعل كلما
 ادركتها طائفة من العدو ، كر فيهم عزيز فردهم عن
 الشيخ ، حتى نجيا سالمين ، لم يكلم أحدهم كلاما . فكان
 عزيز يقول فيما بلغنا انا خير من أخى صابر فانى دافعت
 عن الشيخ حتى استنقذته . وصابر قد فر عند الهزيمة .
 وبلغنا ان ابا اسماعيل ابراهيم بن هلال المعروف
 بالبصير كان يومئذ ممن يبطل الناس عن القتال ، ويقول
 أيها الناس احذروا الفتن ، ونهى ، لو استمع نهيه ، وسمى
 فى اطفال الشر ، لو أجدى سعيه ، ثم ان أبا نوح وصل الى
 قنطنار ، فتمارض ولزم الفراش . فدخل عليه يوسف بن
 نفاث فسأله عن حاله فقال : هل تحسب انى مريض ؟ لا بل
 متمارض الفؤاد ، لما نزل بأهل الدعوة من النقص وشماتة

الاعداء . كان ظنى أن عبيدهم واماءهم يقابلون النكارة
ويكفونهم ولو بالخزف والاحجار . فقد أصبحوا اليوم لاهل
الدعوة اندادا وشفوا بعد الذلة احقادا .

يسجن ابانوس
طعما فى قديعة

وبلغنا ان الوالى بتوزر لما رأى عظم منزلة ابى نوح
وارتفاع ذكره احتال فيما يجتلب به أهل الدعوة بسببه ،
فسجنه فى توزر طعما فيما يفدونه به . فأقام فى السجن
ما شاء الله الى ان سمع ان رفقة وصلت من ريغ من بنى
تكسنيت برسم الميرة . فسأل هل فيهم من الوهبية أحد
فعرف ان فيهم رجلا واحدا من الوهبية ، يقال له يوسف
ابن توحينث فارسل اليه فجاءه فقال له هل معكم جمال
تبيعونها فقال نعم ، فقال انه مع اصحابى عشرون جملا
يذكرون بيعها . فقال له لعلك ان تنفذ لى شراها منها .
فوقع القول بين يوسف وبين اصحابه فى الجمال بحسب
عشرين دينارا لكل جمل فقد موا بها . فلما وصلوا بها الى
موضع بخارج توزر اجتازت خيل من صنهاجة من قبل والى
توزر ، فساقوا الجمال غصبا فتبعها أصحابها رجاء
استرجاعها منهم فلما كانوا ببعض الطريق لحقوا جملا
أعرج لم يصاحب الخيل فقويت به نفوسهم اذ لم يبق
بايديهم ما يبلغون به الى أوطانهم بسواه ، ويئسوا من
بقيت الجمال ، واعلموا ان الوالى قد استأثر بها ، فاقبلوا
يلومون يوسف وينسبون اليه ما أصابهم فى الجمال ، اذ كان
السبب فى ذهابها ، وهم لا يدرون ما فى نية الشيخ من
تضمينه نفسه قيمة الجمال . فلما يسر الله تسريحه من
السجن جاء الى قنطنار فقدم يوسف بن توجينث بما عليه
فقصد موضع ابى نوح ليلا فوجده والسراج بين يديه
وحوله جمع كثير من أهل الموضع ، ينتنمون مجالسته لما

يقبسون من نوره . فقال له ابو نوح يا يوسف انى عازم على المسير الى بلاد اهل الدعوة ، فهل تعلم لى مركوبا يبلغنى ؟ قال نعم المركوب حاضر ، وكانت له بكرة اراد عليها الميرة ، فاستبشر وأطرح جميع العلائق لقضاء حاجة الشيخ . ورأى ذلك أكد عليه من غيره قال فابتدرت الى اجابة سؤال الشيخ، وعجلت الى مرافقته. فعمد الى البسط فهياً منه حزميتين فجعلهما وطاء وبسط للشيخ بساطا لا يتاذى به وحمله فيها ، وارتحل يقود به وليس معهم ثالث .

انى لا احسن
السؤال لاستفيد
فالفدى

قيل وكان يوسف رجلا عاميا فقال يا شيخ انى لا احسن السؤال وانى لمشتاق الى ما استفيد منك لا تتفع به ولكن هات من عندك ما فتح الله ، فقال له أبو نوح : أحجب للناس ما تحبه لنفسك، وأكره للناس ما تكرهه لنفسك ، قال فظننت انه لم يفدنى كثير الفائدة ، فاذا بجميع الفوائد جمعها لى . قال وسرنا حتى وصلنا سوف فاهتز اهلها جذلا ، وقد تقدم عندهم علم ما حل بالشيخ فخرجوا يتلقونه بالترحيب مسرورين بسلامته مما كان فيه فرحين بقدمه عليهم ، فجعلوا يجمعون ما امكنهم ويحضر كل منهم ما قدر من المال الناطق والصامت ليحبوا مصابه ، فقبل ذلك منهم ليقضي منه ما اعتقد ان ذمته به عامرة ، قيل فجاءه رجل بدينار فدفعه اليه فتناوله فقال له بعض من حضر أتعرف من هذا ؟ قال لا قال انه رجل نكارى قال ردوه قال فرجع فقال خذ دينارك . فقال لم ؟ قال لان النفوس طبعت على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها وانى لا اريد ان احبك . فرده عليه .

وخرج الشيخ من هناك قاصدا بلاد بنى ينجاسن من ريع فلما دنوا من البلاد ، قال يوسف لابی نوح اما انت فقد وصلت فان رايت أن تاذن لی فی الوصول الى اهلی قال نعم ، قد اذنت لك فأت أهلك ثم تاتیني باصحاب الجمال ففعل . فلما جاءه باصحاب الجمال وفاهم ابو نوح اثمان الجمال على الكمال .

ثلاث مسائل يسالها
عنها محمد بن بكر

ومما سئل عنه ابو نوح فاجاب ما بلغنا ان ابا عبد الله محمد بن بكر رحمه الله ساله بمحراب مسجد قنطنار عن ثلاث مسائل احدها : الطفل من اولاد المسلمين اذا بلغ الحلم ما الحكم فيه ؟ فقال أبو نوح ان انست منه خيرا توليته وان لم تأنس منه خيرا امسكت عن ولايته . فقال ابو عبد الله او ما تلزمننا معارضة النكار في الحارث وعبد الجبار ، اذ قلنا ببقائهما على الولاية وقالوا فيهما بالوقوف ، فقال ابو نوح ما يلزمننا معارضتهم في ذلك لانا نقول انما كانت ولايتنا اياهم بو لايتنا آباءهم ، فاذا بلغوا ورجعوا الى افعالهم زال عنهم حكم آباءهم ، وتوقفنا فيهم اذ صاروا الى حكم انفسهم ، بعد ان لم يكن لهم الا حكم آباءهم ، واما النكار فقد ازالوا الحكم الذي ثبت من الولاية من غيرهم فزال المعنى الذي اثبتوا به الولاية ولم يشبوا ضد ما ازالوا وهو ما يستوجب به البراءة ، فلا يلزمننا اعتراضهم . والثانية عن معنى الخبر الذي يؤثره بعض الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جهنم لا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتنزوى من نواحيها وتقول قطنى قطنى ، فقال الشيخ ان كان الخبر صحيحا فله وجوه منها ان قدمه هو ما قدم لها من أهل الشقاوة ، وهذا كقوله فى الصالحين : « وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق » يعنى والله اعلم :

ما قدموه لا القدم التي هي العضو ، والثالثة سألته عن
الورود التي تقوم بها الحجة على السامع . فقال ان يفهم
ما ورد على سمعه وذلك في افعال الطاعات .

وذكر يوما فساد الزمان واهله ، وهو يحذر ويذكر ،
فقال لمن حضر مجلسه : ان عشت يا فلان فسيأتي عليك
زمان باقوام يكثرون تتبّع الطريق حتى يذهب بهم في
ألف من بنات الطريق ، الفضة في السنتهم والنحاس في
قلوبهم ، انما يسمعون باضراسهم ، أقوام يأخذون
بالمتروك من العلم ، وقال في مثل ذلك ان شر ما خلقه الله
الكفر والفقر وسيبلي بهما أهل آخر الزمان ، فيعيشون
فقراء ويموتون الى النار لا قدرة لهم على الانقاذ من الفقر
ولا اعمال لهم ينجون بها من النار .

اهل اخر الزمان
يأخذون بمتروك
العلم

وذكر ان ابا نوح رحمه الله رجع الى وارجلان بعد
موت الشيخ ابي صالح جنون بن يمران رحمه الله فوجد
البلد قد فسد ، والاحوال على غير ما عهد . فلبث فيها
ما شاء الله ، ثم جعل لاجتماعهم اليه موعدا ، فاجتمع اليه
جماعة ممن ينتمى الى التبعين ، فوعظهم وأخذ يقبح عليهم
ما ظهر من المناكر لديهم ، فقال : انى رأيت فيكم ثلاث
خصال غير مرضية ، ولا ناهيا عنها . أحداها ان نكاح السر
فيكم فاش فاذا مر أحد منكم برجل وامرأة مجتمعين في
موضع التهمة اشماز قلبه ، فان زجرهما عن الاجتماع في
موضع الريبة ، قالوا انا متناكحان فكادت ان تظهر فيكم
الفاحشة بل ظهرت . والثانية ان احدكم يطلق عبيده فلا
يعولهم ولا يموّنهم ولا يكفيهم طلب معاشهم فينطلقون في
أموال الناس على غير رضى اصحاب الاموال ، وعلى غير
أذنهم فيكاد احدكم يكون سارقا وهو في محرابه جالس .

ابو نوح ينتقد اهل
وارجلان في سلوكهم

والثالثة انكم أظهرتم فيها بينكم التحزب والتفرق .
 فطائفة منكم يقولون مسجدنا ومسجدكم وطائفة يقولون
 حضرينا وحضريكم ، ويهودينا ويهوديكم . فلم يجسدوا
 جوابا فى مجمهم ذلك الا انهم تواعدوا ليجابوه فلما
 ابطوا استرا بهم . فارتحل عنهم من يومه ولم يبت تلك
 الليلة الا فى (تينماطوس) عند حمو بن اللؤلؤ . قيل
 ولما أضافه حمو . ولما كان من الغد سأل هل رزقت ذرية
 من ذرية أئمتنا ؟ قال نعم بنية . سيمتها أم المؤمن . فقال
 ارينها فاقامها من نومها فاذا هى شعشاء سائلة العيينين
 والانف لصغرها ، فقال ما أراها شيئا تصلح لأمر ، ولا
 تقوم مة اما ، فقال لا تقل فى أم المؤمن الا خيرا . فقال
 ومسا عسى ان اقول فى مليكة الوهبة الا أنها
 دون الموافقة . وقال حسن الغرض ان وافقت
 قلبك فتكون أولى بها فهذا حسن بالاقتداء بمن
 سلف ، قيل ولما ازمع الرحلة واعلمه ان طريقه يكون على
 بلد بنى زلغين ، صاحبه حمو مشيعا وقاضيا لواجب حقه ،
 ومعه ابنه ابو عبد الله ومع ابى عبد الله ابنه عبد الله
 فخرجوا متتابعين على الطريق والشيخ قد تقدمهم فلما
 كانوا ببعض الطريق وقد حضر وقت صلاة الظهر نادى
 عبد الله اباه ان وقت الصلاة قد حضر . فنادى ابو عبد الله
 أباه يؤذنه بمثل ذلك . فقال له حمو اسكت ليس ذلك اليك
 ولا الى فقد كفيناه ، ثم ساروا قليلا فكان منهما من القول
 مرارا كالذى كان أولا ، فيكون جواب حمو كالجواب الاول
 الى ان وصلوا قريبا من المصلى الذى بخارج البلد فعال اليه
 أبو نوح وأناخ راحلته وأقام الصلاة ، وتقدم وصلى بهم
 الظهر والعصر . ثم ختموا ختمة العشية ثم صلوا المغرب

ثم قال قد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فى غير خوف ولا مطر .

ابو نوح فى مجلس
وال ذويلة

وبلغنا ان ابا نوح دخل ذويلة ووالها حينئذ ابن خطاب
واكرم ابا نوح غاية الاكرام ومعه عبد الله بن زورتين
الوسيانى ، فكان عنده فى اعلى درجة قيل فجلس ذات يوم
فى مجلس ابن خطاب وحوله رجل يهودى يقال له حلبى يزعم
انه حبر فقال ابو نوح كالمداعب : أسألك يا يهودى عن
ثلاثة مسائل فان اجبت عنها فانت حلبى وان لم تجب فانت
حلبى . احداها رجل ضرب عنق نفسه فابانها متى قتل
نفسه افى حال حياته أم فى حال موته ؟ والثانية الراكب
فى السفينة بماذا يطلب الراحة والسكون لا يمكنه على
حال ؟ والثالثة رجل رمى رجلا بسهم فمات الرامى قبله
ثم مات المرمى بعده اقبله حيا أم ميتا ؟ فبهت اليهودى فلم
يجد جوابا . فقال له ابن خطاب تفضل علينا يا شيخ
بالجواب ، قال نعم اما الذى ضرب عنقه فابانها فانه قتل
نفسه فى حال الموت بما فعل فى حال الحياة . واما الذى فى
السفينة فلا يخلو من الحركتين حركة نفسه وهى اكتسابية
وحركة السفينة وهى اضطرارية ، فلو كانت الحركتان
اكتسابيتين أمكنته الراحة بالكف عنها ، واما الرامى فانما
قتل المرمى فى حال الموت بما فعل فى الحياة كالمسألة الاولى .

- وممن انتفع بصحبة ابنى نوح وظهرت عليه بركته
سريعا المعيز بن فضالة المراغنى ، فانه صاحب ابا نوح من
قنطنار الى سوف وابو نوح راكب على بغلة والمعيز ماش
على رجليه ، فلما وصلا سوف جعل ابو نوح يثن ويشتكى
ألم السفر ، حتى كان من قوله ليس فى بدنى عظم الا وهو
واجد ألما . فقال المعيز لكنى لا اجد ألما ، ولا أحسه . فقال

له ابو نوح اما اذا كنت هكذا فقد وجب عليك الحج من وقتك ، قيل فتلفت هذا الكلام منه اذن واعيسة ، فتاب وتنحى عن الامور الدنيوية من فوره ، وباع من عقاره ما قضى من ثمنه صداق امرأته ، واستعد للحج حتى قضاه ورجع ونفذ وصيته حيا ثلاث مرات ، وكان يختلف الى مجالس الذكر حتى مات على هذا الحال الزكي ف ضرب به المثل : (من كان تائبا فليتب كتوبة المعيز بن فضالة) .

« ذكر شيء من أخبار أبى مسور بن وجين اليراسنى وابنه أبو زكرياء رحمهما الله »

ابو مسور وابنه
زكرياء اليراسنى

كان أبو مسور أول من اشتهر من بنى يراسن بالعلوم والفضل وكان تعلمه بجبل نفوسة قرأ على أبى معروف وأبى زكرياء يحيى بن يونس السدراتى رحمهما الله وكان حينئذ مقلدا من المال . فكابد من ضيق العيش فى صبر وكتمان ما لم يكابده غيره ، كان ربما أخذ شعيرا فطلب من الصبيان من يقلبه له ، فيقتات به . فان لم يجد من يقلبه صره فى طرف ثوبه ، ثم رشه بالماء حتى يبتل فيقتات به ، وكان ياوى الى خربة قرية فيأكل فيها ذلك الشعر فى خفاء ، لئلا يطلع على حاله احد ، ومكث على هذا حينما من الدهر لم يفتن به احد ، وكان اذا جام الى مجلس المشائخ قعد فى آخر المجلس لحدائة سنه ، فيلازم الجلوس والناس يقومون فكلما قام احد ممن بينه وبين الشيخ تقدم هو ، حتى اذا لم يبق أحد بينه وبين الشيخ ، فيصير بين يديه ، فلا يزال يسأله حتى يقوم من المجلس ، فلم يزل كذلك الى ان كان ذات يوم بمجلس مع الشيخ وقد انصرف الناس فلم يبق معهما ثالث ، فجمع

يجمع بين عنا
الفر وعناء الطلب

يسأله كالعادة ، حتى هم الشيخ بالقيام فقام أبو مسور لقيامه ، وكان الشعير مصرورا فى طرف ثوبه ، فانحلت عقدة الصرة وتبدد الشعير على الحصير ، فنادى الشيخ يا معشر نفوسة ما ترفعون من رفعه الله ؟ فجاءت جماعة شيوخ سمعوا نداءه مسارعين وكل منهم مشفق ان يسبقه الآخر الى البركة التى دعاهم اليها الشيخ فتنازعوا فيها اليه . تسارعوا حتى أثروا أحدهم بان يكون متكفلا بابى مسور ، فيقوم بمؤنثته . فلما كفى مؤونة المعيشة تفرغ للطلب ، فضاغف الاجتهاد ولازم القراءة حتى حصل من العلم ما قدر له ، ولما اراد المسير الى أهله اشتغل بانتساخ الكتب فمر به شيخه ابو معروف وهو ينسخ . فقال له هذه تجارة باثرة «يا يسجا» . فقال نعم لمن ضيع دراستها واتكل على خزنها ، هذا الذى اراده الشيخ لا انه يذم اقتناء الكتب ، وانما يذم الاعتزاز بها واضاعة الحفظ والمذاكرة

وفى المدة التى عزم فيها على المسير تزوج امرأته النفوسية التى ولد له منها ابو زكرياء ، وكان سبب تزوجه اياها ان شيخا من مشائخ نفوسة من اخوال ابى مسور رحمه الله ، وجه أبا مسور خاطبا اليه فوقع فى نفسها ابو مسور دون مرسله ، واشارت له الى ذلك ، فلما فهمه عنها ابو مسور رجع الى صاحبه فقال انظر لنفسك رسولا اليها ، فقال له الشيخ لعله ارادتك ، اما والله لأخطبها عليك فمضى اليها خاطبا على ابى مسور ، فتزوجها وقدم بها الى جربة ، وقد كانت الجزيرة حينئذ ليس فيها احد الا على مذهب خلف بن السمح ، غير نفر قليل قد تقدم ذكرهم . فدعاهم أبو مسور الى مذهب الوهبة فاجابه منهم من اراد الله به خيرا ، وكان بها حينئذ رجل من زواغة

نكارى يقال له خلف بن احمد ، وكان ذا مال كثير ، وكان متكرما فكان يصنع الطعام ويدعو اليه الناس ويدعوهم الى مذهبه ، فكل من اجاب ابا مسور كان وهيبا ، ومن اجاب خلفا كان نكاريا حتى لم يبق فى الجزيرة احد على مذهب ابن السمح بل صارت كلها تبعا لابى مسور ، أو لخلف بن احمد . فاقام ابو مسور فى الجزيرة تجتمع اليه الجماعات لطلب العلم واخذ السير وانتهاج الطريق ، وبنى ابو مسور المسجد الكبير بجزيرة المعروف (ببنى يراسن) ومات رحمه الله قبل تكميله ، فكملة بعده ابنه ابو زكرياء فصيل رحمه الله ، فكان به فاتحة كل خير وصلاح وطلبة كل يمن وفلاح ، ولهما بجزيرة جربة وغيرها من المناقب ورفيع الدرجات وعلو كريم المراتب ، ما هو منشور فى الاقطار . ولو سكتوا اثنت عليهم الحقايب .

شهادة المشايخ على
فضل ابي مسور
وتقواه

سئل الشيخ ابو نوح سعيد بن زنفيل غير مرة عن الرجل المشهور من أهل الولاية اشتهارا فاشيا فى العامة ، من غير ان يثبتته عندك الازكياء ، أعليك ان تتولاه دون الاطلاع على احواله ، أو شهادة من ترضى شهادته فى ذلك وأمثاله ؟ فكان جوابه لكل سائل سألته عن ذلك اما مثل ابي خزر فى افريقية ، وابى مسور فى جربة ، وابى صالح فى وارجلان فنعم ، واجتمع ثلاثة من المشايخ الموصوفين بالعلم والدين فمر بينهم ذكر أبى زكرياء فصيل رحمه الله ، فوصفه كل منهم بمبلغ معرفته ، ولا تنكر ان يكون قد وافق كنهه صفته ، احدثهم ابو محمد عبد الله بن مانوج ، والثانى ابو عمران موسى بن زكرياء ، والثالث ابو عبد الله محمد ابن بكر رحمهم الله ، فكان قول أبى محمد لو كان الوحي ينزل فى زماننا لكان ابو زكرياء اهلا لأن ينزل عليه الوحي

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : ابو عمران
لو كانت الامامة فى وقتها لاستحقها ابو زكرياء ، وقال
ابو عبد الله لو اجتمعت خلال الخير والبر كلها بيدك ،
واردت ان تزيد منها فى أبى زكرياء لم تجد لها فيه موصفا
للمزيد لاحتوائه عليها ، قال الراوى رحمه الله اما قول
ابى محمد فانه لا يعنى بها التقدم على الله ، وانما يعنى
كثرة علمه بالفرائض والفضائل والنوافل كما كان الانبياء
فى زمانهم صلوات الله عليهم ، وعلى نبينا محمد عليه
الصلاة والسلام ، واما ابو محمد فانه لا ينسب اليه جهل
معنى قوله تعالى : (لا تقدموا بين يدى الله ورسوله)
قلت والاعتذار من هذا بوجه كثيرة ولعل الاختصار من
ذكرها أجمل .

قيل وكان أبو زكرياء قرأ بفريقية على
ابى خزر رحمه الله وكان شيخه ، حدث غير واحد من
اصحابنا ان ابا زكرياء وجهه ابوه الى نفزاوة فى سنة ممحلة
ووجه معه جمالا وبضاعة ليمتار تمرا من بعض قرى
(يزمرتين) فلما وصلهم اجتمعوا واتفقوا ان يعلموه بما
عزم عليه من المعاوضة فاقتضى نظرهم ان أوقروا جماله
تمرا ، فوجهها من هناك لآبيه ووجه البضاعة اليه ولم
يمسك منها لنفسه شيئا ، وذكر أنه باع عمامته ليستعين
بها على طريقه الذى يرومه وهو قصده الى ابى خزر يرسم
الطلب ، فسافر اليه من هناك ومكث عنده ما قدر الله
مجتهدا فى طلب العلم ، الى ان حصل منه ما شاء الله ، ولما
وقع ذكر القيام بطلب ثار الشيخ أبى القاسم كـ
أبو زكرياء راجعا الى جربة ليستأذن اياه ، ويوصيه فيما
يوصيه ويودع أهله . فلما قضى من ذلك ما كان فى نفسه

سأل المحاللة من أبيه فقال انت منى فى حل من جميع حقوقى عليك الا واحدة وهى كونك رددت الدراهم من نفزاوة ولم تبقيها بيدك تستعين بها على طلب العلم ، ثم ان أبا زكرياء خرج من جربة متوجها الى افريقية نحو أبى خزر ، فلما كان ببعض الطريق سمع بخبر الهزيمة التى تقدم ذكرها فرجع .

ماثر وحكم عن ايسى
زكرياء ، فصيل

ومما يؤثر من ورعه رحمه الله وتحرجه ما بلغنا ان عاملا من عمال السلطان خرج على بنى يراسن فوظف عليهم خراجا كبيرا ، فقال ابو زكرياء للعامل انهم غير قادرين على هذا القدر ، فقال له وعلى كم تراهم يقدرون ؟ قال يقدرون على كذا وكذا . فسمى له عددا فاقتصصر العامل على القدر الذى ذكره ابو زكرياء فقبضه منهم ، ثم بعد ذلك راجع نفسه أبو زكرياء فندم على ما فرط منه ، ثم تصدق بقدر ما قبض مما وظف ، وأخرجه من مال نفسه للفقراء والمساكين . وقد قيل انه غرم ذلك الخراج كله من مال نفسه ورأى انه كان الذى اوجب عليهم غرم جميع ذلك المال ، وهذا هو الصحيح ، ومن تحرجه أيضا ما بلغنا ان رجلا غريبا كان نازلا بجربة تاجرا بها ، فآخذه عامل من عمال السلطان فسجنه ليغرمه مالا ، فشفع فيه أبو زكرياء عند العامل ، فشفعه واطلقه ، فلما كان بعد ذلك بمدة اذا بالتاجر قد اهدى اليه قميصا مستعملا ، فأبى أن يقبضه ، فقال له التاجر ادفع الي رأس مالى واترك لك قيمة الخياطة فأنى خيطة بيدي ، فامتنع من قبوله اصلا . ومما يؤثر من كلامه انه قال : اذا قحطت الارض فان الجنة تنال بقبضة من الطعام ، واذا قحط الاسلام — يعنى مسه ضعف — فان الجنة تنال بكلمة حق ، وقد اجتمع القحطان

فى وقتنا هذا على ان قحط الاسلام اشد من قحط الارض ،
وله امثال كثيرة حكيمة منتشرة فى الناس يقتدون بها فى
أمورهم ، حتى ان بعض المشائخ قال لو ان الالفاظ الحكيمة
التي يلفظ ابو زكرياء تثبت وتحضر فى الدواوين
لضاعت عنها . وكانت له بديهة حاضرة فى كل فن فلا
يجوز عليه مكر ماكر ، ولا احتيال محتال .

— وبلغنا ان أهل الجزيرة وغيرهم من قبائل زواغة
ضمهم بالجزيرة محفل كبير عظيم لاهل المذهبين فى مهم ،
قد عناهم ، وحضر المحفل العظيم المذكور ابو زكرياء .
وحضره شيخ من شيوخ النكارة ودعاتهم فأراد النكارى
ان يستنزل ابا زكرياء فى ذلك المحفل العظيم مما يتوقع
اللبس على العامة ، ويدخل الوهم على ذوى العقول
الضعيفة . فقال له النكارى بعد كلام طويل يا ابا زكرياء
نحن وانتم كلنا نكار ، فانا منكرون ما كان من تحكّم
الحاكمين بصفين : أبو موسى . وعمرو ، ففطن أبو زكرياء
فى ابتداره وقال : اما انا فلست بنكارى ، فخاب سعى
الخصم ، ولم يجز توهمه على ابنى زكرياء . وهذه احسد
مكائد القوم . أرايت لو سكت ابو زكرياء وصدقه فى مثل
ذلك المحفل ؟ أليس ذلك موقعا فى مسامع الحاضرين .
ومشيما فى الغائبين عن ابنى زكرياء غير ما هو عليه ؟

الوساوس وما يخطر
فى القلب لا يفسد
الايمان

قيل وكان فى زمانه بجرية شيخ من أهل الصلاح
والاجتهاد مع البله وكان يكنى ابا محمد فمرض هذا الشيخ
فى آخر عمره ، فدخلت عقله وسوسة — وربما كان ذلك
الخوف من هرمه أو ما لنخوليا لمرضه — على ان الاولياء
محفوظون ، فعاده فى هذا المرض ابو القاسم يونس بن
أبى زكرياء ، فقال له يا يونس ان الشيطان قد استفزنى

وكادنى ، حتى كاد ان يهلكنى ، ويفسد على توحيدى
واخلاصى ، بما يلقيه فى خاطرى من الوسواس ، وانى
لأخافه على نفسى لما انا فيه من ضعف الجسد ، وضعف العقل
لكبرى ، فبادرنى بابيك ليعالجنى ويداوى علتى قبل ان
يدركنى الموت وانا على الحال ، فابتدر ابو القاسم الى ابيه
فاخبره بخبر الشيخ ، فجاء مسرعا فتارة يمشى ، وتارة
يجرى وهو فى ذلك كله يبكى حتى قدم عليه ، فقال له
الشيخ هلم يا طيبى ، فان الشيطان اولع بى واستفزنى
على ضعفى ويخيل لى كانه يقول لى : كيف ربك ؟ ويخطر
ببالى ما اخشى ان يصيرنى الى الهلاك . فقال له ابو زكرياء
اعلم يا شيخ ان كل ما يخطر ببالك ويتمثل فى وهمك
ويحضره عقلك ويبلغه ذهنك فانه خلق من خلق الله تعالى
ولا يخطر بالبال الا ما تدركه الحواس أو شبيه بما تدركه
والله عز وجل متعال على الاشياء والانداد والاضداد ،
واعلم ان نفى هذه الخواطر عن الله هو من محض الايمان
واخلاص التوحيد ، فقال له الشيخ قد داويت علتى وشفيت
علتى آجرك الله يا ابا زكرياء ، يا بني .

ادخال السرور على
قلب المؤمن الفصل
هـ

ان احكى فى هذه الحكاية (١) ان ابا زكرياء كانت به
علة تعتاده وكان مما يهيجها عليه لحم العنز لا سيما ان كان
بائتا باردا ، فكان يجتنب اللحم العنزى واللحم البائت
البارد ، فلا يكاد يقدم عليه ، ومتى استعمله يوما ثارت
عليه علته ، فحضر فى هذا اليوم مجيبا دعوة ابي محمد
كما تقدم وكان صائما صوم تطوع ، فناوله ابو محمد
قطعة من لحم بارد عنزى بائت ورغب اليه ان يأكلها ، فقال
له يا شيخ ان هذا آخر النهار ، وانا صائم ، وأيضا فان بى

(١) كذا بالنسخ ولعل صواب العبارة هكذا : وبعد ان حكى هذه الحكاية ذكر ان ابا
زكرياء الخ

علة لا تكاد تخفى عليك ، فقال له سألتك بالله العظيم الا ما اكلت فلم يمكنه الا مراقبة قلب الشيخ ، وموافقته ، فتناول اللحم وأكل منه ما قدم له . فمئذ أن أكل ذلك اللحم شفاه الله من تلك العلة . ثم لم تعد له حتى لقي الله . قيل وانه أتاه بعد ذلك آت فى منامه فقال له : اعلم ان موافقتك لقصد ابى محمد وتطبيب نفسه وادخال السرور عليه افضل من عبادتك سنة ، قيل وانه من ذلك اليوم يأكل المأكلا التى ذكرناها ولا يجد لها الما .

ومن شكره لنعم الله تعالى ان امرأة معدمة جاءت تسأله شيئا من الزيت لتدهن به رأسها وقد أضر بها الشعث . فأخذ أبو زكرياء اناء ليملاها لها زيتا ففرض خاتم خابية من خوابيه ، ونظر وفكر فيما وسع الله عليه من الرزق ووهب له من الخير ، ففاضت عيناه بكاء ، وهو يقول اللهم لا نسب بينى وبينك استوجب به الخير دون كثير من خلقك ولكن بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين ، ودموعه تقطر على الزيت . ومن اطراحه حظ النفس ما ذكرنا انه خرج مرة فى بعض حاجته فجنه الليل وهو بمقربة من منزل موسى بن الارب ، فقصده وسأل عن موسى فاعلم انه غائب ، فخرجت اليه امرأة موسى ولم تكن تعرفه ، فقالت له من انت ؟ فقال انا ضيف . فقالت ما اسمك قال فصيل ، فانكرت الاسم . الا انها قالت له ان الاضياف ثلاثة منازل فيما يقرون به ، ضيف يقرى باللحم فاما عقيرة واما ذبيحة ، وعاخر يتأدم بالزيت وعاخر بغير ادام ، ولا ادرى أى الثلاثة انت ؟ قال اجعلينى ممن يتأدم بالزيت ففعلت فلما كان بعد ذلك قدم بعلمها فاعلمته ، وقال ويحك فان ضيفك ابو زكرياء فقبح عليها ما قابلته به واستعظمه .

ومن تخرجه ايضا ما بلغنا ان رجلا من أهل صفاقس
دخل جربة تاجرا ثم اراد الخروج ويده بضاعة فاراد ان
يضعها فى امانة ابنى زكرياء فامتنع ابو زكرياء من قبول
وديعته فلم يزل يلح عليه حتى قبلها وكان قبوله بعد ان
قال لا افعل الا ان تهبها لى حيننا ففعل . وسافر الصفاقسى
فاخرج ابو زكرياء البضاعة وعدما ، وعلم كم جملتها .
فلما حال الحول اخرج عنها الزكاة من ماله ، وهى موفرة
ففعل ذلك ستين عديدة كل ذلك ينتظر قدوم الصفاقسى
فلم يقدم ، وطالت غيبته الى ان سمع بان مجاعة عظيمة
فى صفاقس مهلكة ، فقال ابو زكرياء فى نفسه يمكن ان
يكون صاحب الوديفة فى شدة احتياج اليها ، وان المانع
من وصوله اليها عدم القدرة ومتى خاطرت فان نجاني الله
احييت نفسا واديت امانة ، وان هلكت الوديفة غرمتها
من مالى ، قيل وكان ذلك فى فصل لا يمكن فيه ركوب البحر
لاضطرابه وكثرة أهواله . فأخذ البضاعة وركب البحر
فسلمه الله عز وجل قطاب الى ان وصل صفاقس فسأل عن
دار صاحب الوديفة ، فدل على داره فقصد فوجده فى حال
شديد ، بحيث لا يعرف من يخاطب ولا ما به يخاطب ،
فخرج ابو زكرياء الى السوق فاشترى طعاما بقدر ربع
دينار ، وبادر صاحبه فجعل يعلله فيأكل شيئا بعد شئ حتى
انقذ من الهلكة وكان على شفا منها ، فلما ذهب ما به من
الضر فتح عينيه فعرف ابا زكرياء فقال له ما الذى اقدمك
فى هذا الحال يا شيخ ؟ فقال اقدمتنى وديعتك ، هاهى هذه
فخذها فرغب اليه ان يقتسمها فامتنع ابو زكرياء من ذلك
وتضجر ، فدفعها له ورجع الى جربة موفورا للثناء والحسنات
الا انه ربما ذكر هذه القصة بعد ذلك فيقول لو لا انى

تبرعت بدفع الزكاة من مالى لكان لى ان اخرجها من تلك
تبعث الشيخ والبضاعة ، ومن جهاده لنفسه يذكر ان الموضع الذى كان
وعبادته يصلى فيه الصبح هو موضع معروف لا يتحول عنه فذكر لنا
ان الموضع المذكور متى آتاه آت بعد انصراف الشيخ من
صلاة الصبح وجد ذلك الموضع كأنما تواضاً فيه لكثرة
بكائه وخشيته وذكر ذلك أيضاً لابنه زكرياء ، ولما مات
رحمه الله وكان ذلك ليلة من رمضان ، كان ابنه زكرياء
حينئذ يصلى فى المحراب بالناس قيام رمضان ، فلم يكن عند
احد علم بموته حتى سمعوا امته تصيح وتقول : مات سيدى
يا سيدى زكرياء . فدهش الناس كلهم وخرجوا من صلاتهم
وذهل عقولهم الا زكرياء ، فان الله ثبته فتم صلاته ،
فاضطربت الجزيرة تلك الليلة وكانما قامت قيامة على
أهلها ، وبلغنا ان عاملاً من عمال السلطان دخل جريسة
فسأل عنه ، فاعلم بموته فقال دلونى على قبره لازوره ،
مات امرؤ عالم واتبرك به . فلما وقف على قبره قال : عاش حميدا ومات
انه سيموت فقيدا ، اللهم ارحمه واعد على بلده وأهل بيته . وقال فيما
قاله حينئذ مات امرؤ عالم ان سيموت . وقال ابنه زكرياء
انما مثل ابنى كمثل حمولة حملت حملاً ثقيلاً موقراً ، وقد
رأت المكان الذى يحط به عنها حملها فاسرعت لطلب الراحة ،
قلت هذا من احسن الامثال التى تضرب فى مثل ابنى زكرياء
يريد بالحمل الثقيل هذه الحياة ، لان الدنيا سجن المؤمن
وبالاسراع العمل بعد الموت ، وهذا شأن من احب لقاء الله
عز وجل .

ذكر جمل من اخبار أبى عبد الله محمد بن بكر
رحمه الله ، وترتيبه الحلقة وتبينه حدودها
وتأسيسه قواعدها وتحريره قوانينها

كان أبو عبد الله من أكثر الناس علما
وورعا وله السبق في أنواع كثيرة من الفضائل وهو أول من
ألهم سلوك الطريقة التي حفظ الله بها هذا المذهب ، فرسم
المهمل ، وقيد الشارد ، فامتاز طريق الصلاح من طريق
الفساد ، ووضح طريق الغني وطريق الرشاد قرأ على كلا
الشيخين أبى نوح سعيد بن زنفيل وأبى زكرياء بن أبى
مسور وغيرهما ، رحمهم الله ، وكانت لكل واحد منهما
به عناية ، وله فيه حسن نظر .

وبلغنا انه فى ايام قراءته على ابى زكرياء نظر اليه
ذات يوم فرأى اجتهاده وحسن سياسته ، وتمسكه بخلال
الخير ، فقال ان أصاب خرصى ولم تخطأ فراستى فان هذا
الفتى يحيى الله به دينه . فصدق تفرس الشيخ ولم يرغب
ما نظر بعين البصيرة ، فبلغنا انه لما مات أبو نوح وقد
عمت بركته على أبى عبد الله ، وحصل من العلوم خيرا
كثيرا ، الا ان بضاعته من علم اللسان كانت مزجاة ، لم
ير أن يتعاطى من العلوم حتى يحصل الكفاية من علم
الفصاحة فقصد مدينة القيروان ، وأقام بها مدة يتعلم
اللغة والنحو ، حتى اكتفى من علم الفصاحة فصدر عن
القيروان ، وبعد ذلك دارت عليه الحلقة .

وسبب ذلك ومبدأه ان الشيخ ابا زكرياء وجه ولديه
زكرياء ، ويونس ، وابن أخيه أبا بكر بن يحيى ، وغيرهم
من اقاربه فى جماعة ، وقال لهم اطلبوا ابا عبد الله
مبدا تأسيس
الحلقة

فحيثما وجدتموه فلازموه ، واقرأوا عليه ، وحيثما كان فكونوا معه ولو في شغل دنياه ، فخرجوا من جربة حتى اذا كانوا في جبال تمولسة ، وكانت حينئذ ليس فيها احد من أهل الدعوة ، فانهم تغيروا ، وبدلوا الا « يصليتين » عم الفقيه ابي الربيع سليمان بن يخلف ، ونساء واطفال ، قيل ، فعدل الطلبة عنها جانبا وقصدوا الموضع المعروف « بأمدر » ، فسمع يصليتن بقدمهم وعدولهم عن موضعه فسأه ذلك ، وأقبل اليهم ، ورغب كل الرغبة ، وسأل منهم الرجوع الى « تمولسة » فلم تكن منهم اجابة ، واعتذروا بكونهم عاجلين ، وكونهم خلفوا منزله ، وانه لا يلزمه تضييفهم ، ولا تعلق به من هذا نقيصة ، فلما رأى يصليتن امتناعهم من اجابة سؤاله ، قال لهم اما ان فعلتم ما فعلتم فاني لم يبق لى ولا لمن معى رجاء يعلق به ، وسأرجع الى الموضع فأخذ بأيدي النساء والاطفال ونرجع كلنا الى أهل الخلاف . فلما سمعوا ذلك منه اجابوا سؤاله ووافقوه فى الرجوع الى تمولست فأقاموا بها لديه فى كرامات بليغة اياما ، وكلما حضر الطلبة عنده على كرامة واجتمعوا فى وقت ، حظ النساء والاطفال فقال لهم : هذا دينكم (I) وهؤلاء أهل دينكم ، كل ذلك ليتمسكوا ببعض دينهم ويكونوا على ثقة من مذهبهم ، فكانوا على ذلك حتى تيسرت لهم الطريق .

فخرجوا متوجهين الى الجهة التى يرجون ان يجدوا بها ابا عبد الله وهم فى ذلك لا يعلمون له مستقرا ، فلما وصلوا تقيوس وافق وصولهم اليها قدمه من القيروان ، وقد حصل ما كان يفتقر اليه من علم اللسان ، وهو يروم

(I) كلمة الدين تطلق لمعانى عدة ، حسب استعمالها اللغوى ، منها المذهب ، والطريقة ، والسيرة ، وما يعبد به الله .

المسير الى الشيخ ابي عمران موسى بن زكرياء «بتاجديت»
ليزيد عليه ما لا بأس به من علم الفروع ، فقصرت عليهم
الخطا ، وقرب الله عليهم ما كانوا يظنون انه بعيد . قالوا
ما اعتقدنا الا ان الله عز وجل يسر علينا ببركة الشيخ
يصليتن ، وموافقتنا اياه ، وادخالنا السرور عليه وعلى
من معه . فلما ألف الله شملهم بابي عبد الله ، اعلموه بما
جاءوا في طلبه ، والقوا اليه ما فارقوا عليه جزيرة جربة ،
وما وصاهم عليه الشيخ ابو زكرياء ، وأكد عليهم في ان
يكون ، ورغبوا اليه في ان يجلس لهم ويرتب لهم الحلقة ،
فامتنع كل الامتناع . ومكثوا اياما يراودونه على ذلك ،
ويلحون عليه في الطلب ، ولم تكن منه الاجابة . فلما كان
يوما من الايام وهو بمسجد المنية والطلبة يكررون الرغبة
الى ابي عبد الله ، اذ خرج رجل من تقيوس متوجها الى
الحامة ، وخرج معه صاحب له فشيعة ، فلما افترقا نادى
احدهم الآخر : ان يا فلان فاصفوا اسماعهم الى صوته .
فقال له الآخر ليبيك ، فقال له اجعلها لله لا تخب ، أو قال
افعل فعلتك لله فلا تضيع ، قيل فلما سمعوا هذه المقالة
تفاءلوا بها واقاموا بها الحجة على ابي عبد الله ، فاجب
حينئذ على نفسه واجاب ، وعطف عليهم بما سمع ، الا ان
اجابته كانت على شرط ان لا يسئلوه عن مسئلة ، ولا
يجيبهم حتى تمضي أربعة أشهر فتأسست الحلقة في
مسجد المنية ولبثوا مدة على الحالة المشتركة ، والاقامة
لم يعقدوا عليها نياتهم ، وانسداد السبيل ينقص عن
الحركة عزماتهم ، فان ذلك كان في العام الذي قامت به
زناة على صنهاجة ، من ناحية طرابلس ، ويعرف ذلك
العام بعام هزيمة الابراج ، فكثرت الزلازل وامتلات الارض

خوفا ، والشيخ فى اثناء ذلك يستخير الله فيما يقدمه من
أموره ، حتى فتح الله عليه برأى فشاور اصحابه فقال
لهم ان هاهنا ناسا رقاق القلوب ارجو ان ينتجع فيهم
الاسلام ، ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخير
حذاهلا وهم : مغراوة ريغ، فما رأيكم فى الانتقال الى جهتهم ؟
قالوا فى رأيك اليمن والبركة ، فسروا بذلك سرورا
عظيما ، واغتبطوا أى غبطة . فلما اتفق رأيهم على الانتقال
« الى ريغ » قدم ابو عبد الله رسولا الى أبى القاسم يونس
ابن ويزكن الويليلى ، وكتب اليه يعلمه بما عزم عليه هو
وتلامذته من التوجه ، والعمل برسم دراسة العلوم ، واكد
عليه فى ان يهيىء غارا تجتمع فيه التلامذة يأوون اليه
ويحلقون فيه ، وتكون فيه دراستهم وانفرادهم ليتسنى
عزمهم واجتهادهم ، فأخذ أبو القاسم فى
عمل الغار ، وفيه يسر ما يصلح شأن الحلقة ،
فما قدم ابو عبد الله وتلامذته الا وقد تيسرت أمورهم
بلطف الله عز وجل ، فاقاموا عند بنى وليل مدة ، ثم
انتقل أبو عبد الله وتلامذته الى « تينبشلى » فرتب بها
الحلقة ، وشيد من كريم البنيان ما يتشبه بها العزابة
ويتشبهون به الآن ، وان كان الناس قد فسدوا ، وفسد
الزمان فهذا سبب قعود الحلقة المباركة الصادرة عن اكرام
مشاركة بين الشجرتين الطيبتين المسورية والبكرية بخطبة
واجابة كانتا فى الله ، فتولدت بينهما هذه الانوار البهية
فلنذكر لهما من الآداب التى جعلها قوانين ، وصيرها مهيعا
لسالك سبل العلم والدين ، وكان انتقال الشيخ أبى عبد
الله الى زيغ سنة (409) تسع واربعمئة فلذلك يسمى
الغار الاول المذكور التسمي نسبة الى هذه السنة .

ذكر لمع من سير الحلقة وما ينبغي
لاهل طريق العزابة ان يلتزموه وان يعلموه
ويعنموه مما رتبته الشيخ أبو عبد الله محمد
ابن بكر رحمه الله

كان مما رتبته أبو عبد الله من سير الحلقة فبقى رسماً
يقتدى به أن جعل للعزابي الذي نظمته هذا الاسم في سلك
المتدينين ، واعتزل عن دناءة الاجلاف الدنيويين علامات ،
ليعرفوا بسيماهم ، ويتميزوا من سواهم .

هيئة لباس العزابة
من اهل الحلقة

فمنها انه أول ما يتجرد من طريقة أهل الدنيا بحلق
شعر رأسه ثم لا يتركه يطول ابداً ، فالعزابة من شأنهم
عدم الشعور ، ومنها ان لا يلبس ثوبا مصبوغا الا البياض
ولا بأس بعلم الطرفين والطراز ما لم يتفاحشا ، ثم ان
اقتصروا على عباءة أو ملحفة لم يشنه ذلك ، ولم يعبه بل ذلك
به أليق ، وان لبس ذلك على قميص كان أكمل ، ما لم
يكن مبتدئا ، ولا سبيل على اقتصره على قميص ، أو
قميص دون اشتمال أو التحاف أو ارتداء ، وان اعتصم
فالتلحي على ما جاء في الاثر ، وليس لبس العمامة بضربة
لازب ، بل لا بأس باستغنائه عنها ، فان اقتصروا على العباءة
أو اللحاف غطى رأسه والقي الطرف الاعلى من هدب حاشية
الجانب الايمن على العاتق الايسر لا يلقي الهدب كله على
العاتق الايسر ، فان ذلك مود الى انكشاف العورة .

اغسله الحلقة
ومهامهم

وأهل الحلقة صنفان أمر ومأمور على ما يأتي تفصيله
ان شاء الله ، فالأمر اثنان : شيخ الحلقة أو مستنابه ،
والعريف ؛ فالعريف اثنان منفرد وغير منفرد فالمنفرد اثنان
عريف أوقات الختمات والنوم ، وعريف العرفاء ، وهم من

حملة القرآن يكون منهم من يكتب عليه طلبة القرآن
الواهم ، ويصحونها ويحفظونها على حسب ما يأتى بيانه
فهؤلاء لا يحصون عددا ؛ والعريف على أوقات الدراسة
ربما كان واحدا وربما اكثر فهو على قدر الاحتياج اليه
ونحو ذلك ، والمأمور ثلاثة ؛ طبقة القرآن ، وطبقة فنون
العلم ، والمجازون ، ولجميعهم أوقات ، لما يختص به كل
وقت منها .

المهام التي يتولاها
الشيخ — فالشيخ يتعلق به اشياء منها الجلوس لطلبة فنون العلم
فى وقت معلوم ليأخذوا عنه فيه الدرس ، ومنها الجلوس
بأثر الختمات للجواب على الاسئلة فى أى فن كان ، ويذاكر
تلاميذه فيما حصلوه قبل ذلك ، فيستفيدون ويستفيد
من حضر ، وتختص غداة الجمعة بزيادة ذكر شىء من الوعظ
ان امكن ، ومنها الاستفتاح وهو قيامه فى الثلث الأخير من
الليل أو فى الربع الاخير منه فيأتى الى موضع الاستفتاح
فستميد ويسمل ، ويقرأ فاتحة الكتاب ، ويبتدا من حيث
انتهى مجلس الاستفتاح من القرآن فى الليلة التى قبلها
فيهب كل نائم فمنهم من يصير معه فى المجلس ومنهم من
يخرج فيدرس وحده ، لا يخرجون باجمعهم ولا يصيرون
الى المجلس باجمعهم ، بل كيفما تيسر ، فيقرأون القرآن
حتى يؤذن مؤذن الصبح ، فيقطعون القراءة ويدعون
كالعادة من بعد صلاة العشاء الى وقت أذان الصبح ، ومنها
ان يجمعهم فى يوم الجمع؛ وذلك يوم الاثنين والخميس ،
فيعظ ويذكر ويحذر ، ويورد امثالا حكيمة وحكايات
زهديّة ، ثم يمحّص جميع من حضر فيسأل عن أحوالهم
واحدا فواحدا ، ويفقد العرفاء فمن حمدت احواله حمد
الله وشكره على فوزه ، ومن عيب شىء من احواله فان كان

صغيرا أقيم الى زاوية معروفة بان تكون موضعا لتأديبهم ، ثم اجتهد فى عدد ما يجلد تأديبا والكبير الى الخطة والهجران ومنها اذا قدم قادم من بلد قريب أو بعيد ، فلا يخلو اما أن يكون عابر سبيل أو طالبا للإقامة والدخول فى زمرة أهل الحلقة فيشاور الشيخ فى كلا النوعين ويستأذن فى شأنهم فان كان عابر سبيل كان له حظ فيما فتح الله عليه من المأكول غير المدخر ، فيفتح ذلك ولا يحفز (١) عليه فى ملازمة الاوقات ، ولا حظ له فى شئ من الفتوح التى تدخر لا من طعام ولا من غيره وان كان يريد الدخول فى الحلقة استأذن الشيخ فى شأنه فيكشف الشيخ عن احواله ، وما كان عليه فى الموضع الذى قدم منه ، فان اطلع على صلاح احواله أذن له فى الدخول لا غير . فيكون من أهل الحلقة له ما لهم وعليه ما عليهم ، وان اطلع على نقیصة ، وأحوال ذمیمة طرده لا غير ، وان تعذر لبعده داره الاطلاع على الاحوال أو اختلفت فى صلاحه وفساده الاقوال توقف حتى يستبرئ ويستعلم حميدها من ذمیمة ، وصحيح الاقوال من سقیمها ، فان اطلع على الخير الحقه بأهله ، وان اطلع على شر أفضاه الى نوعه وشكله ، وحكمه فى مدة الاستبراء حكم المسافر عابر السبيل فى عونه ، لاحظ له فى المقتسم من الفتوحات المدخرات ، والمعين ، وكونه لا يحفز عليه ، وكونه لا يمنع المأكول فان كان تائباً مبتداً أذن له . ومنها ان عليه تولية عرفاء الاوقات والاذن له فيما يشترى أو يباع ، ويدخر من الاوقات . ومنها الاذن فى قسمة ما يفتح الله من رزق مما يدخل عليهم ، أو مما هو من اغتلالات الاوقاف ،

(١) من حفزه عن الشئ : دفعه اليه واعجله .

ومتى يقسم وعلى من يقسم ، ومنها الحكم بين المختلفين
والمختصمين من التلاميذ فيأخذ المظلوم من الظالم وينصف
المحسن من المسيء .

الهام التي يقوم بها
العرف

والعرف المكلف بالختمات وأوقات النوم يتعلق به
ارتصاد حزب العدو في المجلس الذي تكون فيه المذاكرة ،
فاذا كمل الحزب أو كاد دعا جميع من في المجلس ويؤمنون
على دعائهم فيدعو أسنهم ويدور الدعاء ، فان انتقضى
الدعاء وتخلف احد فالخطة . فاذا كان الضحى نادى بنوم
الهجرة فينامون فاذا ناموا وتكلم أحد أو تحرك بحيث
يؤذى النائمين فالخطة بل ان ابى ان ينام بغير عذر وكان
تركه النوم ذريعة الى امتناع القيام بالليل حتم عليه نوم
القائلة ، فان امتنع فالخطة . ثم اذا كان عند غروب
الشمس نادى بالختمة فيجتمعون على أكبرهم فيدور معه
من يليه في السن والمعرفة رجالا ان قلوا فثلاثة ، وان
كثروا فمشرة ، لايجاوزونها ، والوسط بين التحديدين
اعدل . فان استداروا ذكروا الله وقرأ قارئان آيات من
القرآن ثم يدور الدعاء كالعادة ، ويؤمن من خلفهم ،
ومن تخلف فالخطة . ثم اذا صلواالعشاء وقرأوا من
القرآن ما يسر الله وحان وقت النوم ما لم تكن من ليالى
الاحياء نادى بالدعاء ، وهى ختمة ليست بأكيدة في أكثر
الاقطار ، والمتعارف ان حضروها على الكفاية ، فيدعون
دعاء خفيفا فاذا دعوا فالمستحب الذي وضعه الشيخ أبو
عبد الله ان يكون أفصحهم بيده كتاب ان كان في الوعظ
فهو أولى والا ففيما اتاح الله تعالى ، فيقرأ فيه قليلا بحيث
يستمعون مجتمعين أو لايجتمعون ثم يدعو وينادى بالنوم ،
فاذا ناموا وتكلم أحد ، أو تحرك فالخطة ، الا ان يكون فى

مطالعة كتاب بعيدا عن النائمين فما على المحسنين من سبيل .

عليهم ان يلتزموا
آدابا في اكلهم

والعريف المتكفل بأوقات الطعام له حدود يقف عندها
وأشياء متسع فيها ، وذلك ان الطعام لا يخلو ان يكون في
موضع مألفهم ، أو خارجا ، فما كان خارجا لا يخلو ان
يكون في محل عزابي أو في محل دنيوى فان كان في محل
دنيوى حفز عليهم كل الحفز في ملازمة التحفظ وأفراط
الحذر ، وجعل الشعار بينهم من القول : « حسان » وربما
قال : (حسان بن ثابت) أى حسنوا آدابكم واخلاقكم ،
وهى كلمة يقولونها مهما يدخل فيهم غير الصنف تحذيرا
ان يطلع على ما ينتقد منهم ، وان كان في محل عزابي لم
يتحفظوا كل التحفظ بل يميلون الى ضرب من الادلال ،
وينبسطون بعض الانبساط ، ويحسنون الظنون ،
ولا يحشمون فى اقتراح طيب الطعام أو زيادة الأدام ،
ونحو ذلك ، فالمتعلق بالعريف فى كلا المجلسين أن يرتب
جلوسهم فان غاب احدهم فى عذر ذكرهم بان يستوصوا
غنه ، وان كان فى غير عذر فالخطبة ، فاذا اعتدل جلوسهم
استدعى بماء وغسلوا بعد اشتمالهم الشملة المتعارفة
عند حضور الطعام ، وهو ان يخرج طرفي ثوبه على صدره
بعد أن يدير كل طرف فوق العاتق الذى يليه ، فتبرز
اليدين ولا ينكشف شيء من الجسد ، ثم يأكلون أكلا معتدلا
فمن أكل أكل نهم أو أكل ذى كبر ، عيب عليه فى غير ذلك
الموضع ، ونهي وقبح ، وحذر ان يعود ، فان عاد فالخطبة ،
فاذا طعموا تفقدتهم العريف فان وجد منهم من يده فى
الطعام انتظره حتى يقضوا حاجتهم منه . فاذا فرغوا اذن
بالانصات الى الدعاء ثم يؤذن اسن من حضر فيدعو وان

كان فى مالفهم فلا يخلو ان يكون مما يقدر على ترويه
ومما لفته وحده ، او مما يحتاج معينا ، فان كان مما يحتاج
فيه معينا استعان بمن استحسن ، فان استعان بأحد فامتنع
من غير عذر فالخطئة . لكن ينبغى ان لا يخص بذلك من يعلم
منه كثرة الانقطاع الى المدارس والمطالعة ، فيضع الشيء
فى غير موضعه ، (وان كان) مما لا بأس بقسمته قسم على
ما جرى به العرف فى ذلك القطر . والذى تصلح فيه
المواكلة فاما متكررا معلوما واما نادرا فالنادر يؤكل بلا
شريطة الا اطراح الحرص والشرة ، والترتيب فى ذلك الى
العرف والمتكرر كل يوم (كالتمر) والفاكهة فى أوقاتها
فترتيب ذلك أيضا الى العريف ، ولها شروط يأتى ذكرها
منها ان لها وقتين ، أحدهما وقت الضحى بعد استكمال
اكتتاب اللوح ، وتصحيحها ، والآخر بعد صلاة العصر ،
بقدر ما يقرأ فيه قارئ اللوح مرة أو مرتين ، فاذا
استداروا طوائف فان من شروط ذلك الحضور ان يكون
فى كل طائفة عريف يكون أسنهم أو أنبههم لا تعدو عرافته
ذلك الحال ، فيبتدىء فيلقى ثلاث مسائل فى أى فن كان
ثم كذلك ميامنة ثم على اليمين حتى يتم الدور ، فان وقف
أحد أمسك المبتدىء يده ومنعه الاكل تأديبا وردعا
وتحريضا على تحصيل الفوائد ، فان اتى بشيء قبل منه
ولو بعد حين واطلقت يده ، ومن شأن هذين الوقتين ان
يتفقد العريف اللوح واذا صحح آخر لوح منها دعا الى
الطعام ، وبعد العصر بقدر ما ذكرناه ، فمن اجاب اكل
ومن تأخر فلا اثم عليه ، فانما ذلك على الاختيار الا ان
يكون هناك نافلة فينبغى للعريف ان يعرف بها تعريفا ،
لا يستخفى النطق به ، فقد يكون من العزابة من به شوق

الى تلك النافلة ، فان امتنع بعد هذا ممتنع فلا يتعلق منه بالعرف ذم .

مهام عريف الدراسة

والعرفاء من حملة القرآن ترتبط بكل واحد منهم جماعسة من اصحاب الالواح ، طلبة القرآن يملئ عليهم ويصحح الواحهم ، وياخذهم بالحفظ عن ظهر ، فالجماعة التي ترتبط بكل حافظ يكون اكثرهم عشرة واقلهم اثنين وهذا بحسب الاختيار وفي الامر الاشهر العام . واما مع الضرورات وعدم الرجال فلا حد لكثرتهم ولا لقلتهم . فاذا كان وقت الضحى وتأهبوا للكتب كان لكل جماعة نقيب من أنفسهم يحفز على أصحابه ويجمعهم ، ويستدعى العريف فاذا حضر استاذنه ميامنة في حفظ ما كتب أمس ، ثم يحفظون على اليمين فان حفظوا كلهم استاذنوه في الاستملاء وأملئ عليهم ، وان توقف أحدهم دون الحفظ ، فان كان مبتدئا أقبل له خمس عشرات ، وان كان فوqe الا انه في أول قلم أقبل له ثلاث وان كان في الاعداء فعشرة واحدة ، فمن زاد فعلى ما يجتهد فيه العريف ، والمعروف الاشهر انه ان كان صغيرا فالزاوية والجلد ، وان كان كبيرا فالخطة والطرء ، فاذا ارتسم احد بعريف فليس له ان ينتقل عنه الى غيره الا باذنه ، وان تخلف احدهم بغير عذر حتى يحفظ أصحابه ويكتبوا سطرا أو بعض سطر فالتأديب قد تقدم تفصيله ، وان كان قبل ذلك وبخه العريف ثم صفح عنه وعليه ان يختبرهم احسانا فيما قد حفظوه ليعلم كنه اشتغالهم ورغبتهم واجتهادهم ، فان وجد حفظا ركيكا فان كان ذلك لعلة في فهم التلميذ وضيق باعه ، وعلم ان ذلك الامر كان سماويا عذره ، وأمره بالاعداء ، وان كان التلميذ ذكيا فهما وعلم أن كان لحب البطالة وترك الدراسة اجتهد

فى تمزييره ، ولذلك يسأله الشيخ حين التمحيص يوم
الاجتماع فلا ينبغى له ان يقول الا ما علم من حال كل
واحد منهم .

واما عرفاء أوقات الدراسة فيتفقون أصحاب الالواح
بين الظهر والعصر فان ابطأ احدثهم ابطاء لا يعذر فيه
فالخطة ، وان اشتغل بما يلهيه عن قراءة لوحه فالخطة ، وان
سمعه العريف يقرأ خطأ وكان مع ذلك لاهم له بتصحيح
لوحه فالخطة ، وبين المغرب والعشاء ، فان ابطأ او غاب
أو اشتغل بما يلهيه أو يشغل سواه فالخطة ، وان قام الى
الطعام اختيارا أو الى نجوى فالخطة ، ووقت الاستفتاح ان
نام او تناوم او اشتغل بغير الدراسة ولم يكن له عذر
فالخطة ، وبين صلاة الجمعة والعصر ان غاب عن الحضور
لاستماع قراءة كتاب المواعظ فالخطة . وقد قلنا الا ثلاثة
على ما فعلنا فطلبة القرآن يقرأون الواحد بين الظهر
والعصر حتما . وبعد العصر استجابا ، وصفة هيئتهم
حينئذ ان يشتملوا فلا يظهروا من اجسادهم شيئا ويسندوا
الواحهم الى الاساطين ، ويقابلونها غير مستندين ولا
مكثرين من الالتفات ، وبين العشاءين فى وسط الساحة
غير مستندين ، وقد أبيح لهم الاستناد في غير هذين الوقتين
ان شاموا . والافضل للاصغرين ترك الاستناد ، فلا
يتعرضون الى ما ليس بشأنهم ، غير دراسة القرآن الا ما قد
عناهم من العبادة وفرائض الاسلام ، كالطهارات والصلاة
والصيام ، وما اشبه ذلك . فان امتدوا الى غير ذلك كره
مشى الغراب مع الحمام على انه من كان ذافهم وقلب ذكي ،
ومن اعطاه الله قدرة على تحصيل هذا وهذا فلا باس فى
الازدياد من الخير .

واما طلبة الادب فان اتفق ان يكون اصحاب لويحات وصغر في السن فينبغى لهم التأسي بطلبة القرآن في ترك الاستناد ، واما أصحاب الكتب فشأنهم استناد الى اركان المسجد والابواب والى الاساطين وحيث يستحسن ، واستحسن منهم ولهم ان يجتمعوا للبحث والمذاكرة والمناظرة ، ما لم تفض الى توغير الصدور ، ويكون هذا دأبهم ، ولا بد ان يكون لهم وقت معتاد يكون فيه الميعاد للحضور على الاساتيد ، ويؤدب من غاب من التلاميذ فيأخذ كل منهم درسه وهى «دولته» على استاذة . ويجعل ما يتلقاه خير ملاذه ومعاده ، ثم اذا كانت ختمة غداة وحضر الشيخ فان هنالك طرقا كلها حميدة ، وذلك انهم اما ان يتداولوا وضع السؤال فيبتدئون بالسؤال يوما (I) فمن أفضى اليه النوبة وغاب اجتهد فيه ، واما ان يسأل أفصحهم لسانا واكثرهم بيانا . واما ان يسأل اشداهم احتياجا للسراح فى ضرورة دعت ، أو لنازلة وقعت ، ثم اذا ألقى السؤال فان كان الجمع حفيلا بدأ فسأل الشيخ ثم على من يمينه فيعيده الثانى الى الشيخ طلبا للتخفيف ، والاختصار . وان كان الجمع دون احتفال بينهم سيما ان كانوا لماثل فانه يدير السؤال أو يحيل كل سائل على ميامنه حتى يسدور السؤال الى الشيخ . فان علم الشيخ ان فى الجمع أكفى منه فى تلك المسألة أذن له فى الكلام فيها ، والا تكلم بما عنده . وللسائل ان ينبهه اذا غفل ويذكره اذا نسي، ويفتح له ان ارتج عليه ، ويعترض ان احتاج الى زيادة ايضاح . أو علم من الحاضرين ارادة استزادة كشف ، ثم يسأل كذلك من شاء ويبحث كيف شاء . ومن أراد القيام فلا يقوم حتى

(1) كذا بالنسخ والاصواب ميامنة

يستأذن من يليه ، فان اذن له قام ، وان لم ياذن له أقام .
واذا حضر غير الصنف فيكره ادارة ما يستشنع من المسائل
الشواذ ، التي تضل الغبي : أو تجعله ينسب الرشد الى
الغبي ، فاذا هم الشيخ بالقيام ولم يستثقل تشييع من
يختص به من طلبته ركع وركع اصحابه ركعات الضحى ،
ويشيعوه تكرما له وتأنيسا به ، وان ثقل عليه ذلك ركع
وركعوا وو دعوه ولم يشيعوه .

القاصرون من التلاميذ . واما العاجزون فانواع فالله حسيبهم فيعاقبهم ، أو
يشيهم . فمنهم الطرش والعميان والزمنى والهارمون
وذوو الافهام القاصرة ، وربما استعمل مستعمل فألحق
نفسه بهؤلاء وفيه قدرة وعنده لوجد بعض الغناء ، فهذه
الانواع شانهم الاصغاء والاستماع ليحصلوا الطرق
والاخلاق ، ويظهروا التلطف والاشتياق ، وعليهم حفظ
السيارات والمحافظة على الطرق والاوقات ، وان اجهدوا
انفسهم وزادوا ظفروا ببيع ما ارادوا ، فاما الزمنى
والعميان فقد نطق بعذرهم القرآن واما القاصرو الفهم
فمنهم القانط التارك للعلوم ، ومنهم من الأيأس عنده
معدوم ، وقد شاهدت منهم رجلا فلم اذمهم لاكثرهم حالا .
دخلت حلقة وارجلان حرسها الله وذلك فى ربيع الاخير
سنة 616 ست عشرة وستمائة فى أول ما وجب علي الصوم
والبال خال من الهم ، وكنت اعجب ممن ينفرد فلا يجتهد ،
ممن يمكنه الورود فلا يرد ، ومن يخلو بالمفيد ، كيف
لا يستفيد . وكان لى اذ ذاك فهم بزة الى ان اشتغل البال ،
وتحولت الاحوال ، وكنت ازدرى بأكثر اولائك وذلك لسنى
فاستغفر الله من ذلك ، فمنهم رجل يسمى ابو دوناس من
بعض قراء نفزاوة سبقنى الى الحلقة باعوام والغالب على

ظننى انى وجدت الوحه فى سورة الفيل ومات فى سنة سبع عشرة ولم يستكمل سورة اخرى ، ولم يدع من قدرته شيئا وهل سمعتم بابى يزمر المصعبى كنت اسمع به قبل دخولى وارجلان وما رزق من الاجتهاد مع فهم غير قليل ، فوجدته فى وارجلان وفى لوحه « أو أمر بالتقوى » يكررها اياما كثيرة حينئذ ترسخ فى صدره آية او لا ترسخ فيعيدها واقمت بوارجلان حرسها الله حولين كاملين وشهرين ثم انفصلت وتركت لوحه فى « والضحي والليل اذا سجدى » وهو فى اثناء ذلك لم يال جهدا ، وقد سبقنى الى الحلقة بستة أعوام أو بثمانية أعوام لشك منى ، وهل سمعت بسلمان بن حريز لم يزل يكرر ويعيد سورة الانبياء طول اقامتى بوارجلان ، وخرجت وتركت لوحه فيها ، وبلغنى انه لم يزل كذلك يكررها منذ ثمان وعشرين سنة قبل ذلك فاما هذا فغير بعيد أن ينسب الى التقصير والتضييع ، والغرض ان اعلمكم ان من لم يال جهدا فهو ما جور وان لم يحصل ، وان المتضييع المفرط راض لنفسه بالقوت الحرام واكتساب الآثام ، ومرتكب لسخط العلام ، نسأل الله ان يسلمنا ويختم لنا بغواتم الاسلام ، وينبغى ان تكون خدمة الطعام من هؤلاء الذين لم يفتح الله عليهم ، ولا شرح للعلم صدورهم ، لينفعهم بخدمة اهل الخير ، ويوفيهم اجرهم .

ادب العزابة

— «الافاق والآداب والاحوال قد تقدم ذكر كثير منها فيما مضى مندرجا فى غيره» فافاق الدراسة قد مضى ذكرها ، ووقت الراحة والتصرف هو آخر النهار ، يتصرف الى المواضع التى لا ينكر التصرف فيها كمواضع المياه ومواضع الاشجار وامثالها من الاماكن التى تنفرج فيها النفوس وتنفس فيها الصدور ، فان فى ذلك اجماعا

للخواطر ، وجلاء للنواظر ، فلا بأس فى ذلك ما لم تكن هذه الاماكن معروفة بان يستقر فيها مصادف الشبهات ، كالنساء والحساسات فلا سبيل حينئذ اليها ، والاكثر من التصرف فى الطرقات والاسواق يكره وان دعت ضرورة ففى طريق نافذ ، ووقت لا يظن به ريبة ، ووقت الاكل لمعاشهم التى تختص بكل واحد منهم اذا صلى العتمة فاما وحده واما مع من توافق طبائعهم طبعه ، ويشترط التخفيف وان لا ينفصل الا بعد الدعاء . ووقت تغيير المنكر متى ظهر لا ينحصر الى وقت ، ويشترط تقدم الشيخ أو باذنه ، أو تقدم الامثل . والاوقات المستحب فيها التأهب للصلاة معروفة وهو ان يكون بمقدار ما يستبرىء ويتوضأ ثم يدرك صلاة الجماعة . ويشترط بعد الاثر واعداد المدر ، وأوقات نوافل الصلاة ليلا ونهارا معروفة فلا يحتاج الى زيادة ، فان احتيج فخمس تسليمات بالليل ومثلها ضحى ، هذا الافضل فان زدت فلك ، وان نقصت فلا ذنب عليك ، ولصلاة الليل شروط من اطالة القرآن والخلف فى اسرارها واعلانها ، قيل الاعلان أفضل اذ فيه ايقاظ الناس وقيل الاسرار أفضل لبعده من رياء المخلوقين ، وهذا بحسب الاحوال . والاولى اخفاء العبادات . والركعات التى تصحب الفرائض معلومة وأوقات الصوم المستحب كيوم الجمعة ، ويوم قبله ، وتاسع ذى الحجة ، ويوم عاشوراء والثلاثة البيض من كل شهر وما شابه ذلك ، ومن آداب الطريق واحوالهم ان لا يتكبر على متواضع ولا يتواضع لتكبر ، ولا يخالط أهل الدنيا ولا يجالسهم الا ان دعت ضرورة لا يوجد منها بد ، ويجلسون لكى يستفيدوا مصلحة لدينهم من علم أو عمل ، والكبير أعذر فى مخالطتهم من المحدث ،

فان الكبير أهل لأن يهديهم والحدث أهل لان يضل ، ومن نهى عن الاكثار من ذلك فلم ينته فالخطة . وينبغي ان يعلم ان المؤاخذة على العثرات والزام الذنب على الخطيئات انما هي بحسب أصحابها وهم طبقات ، فالكبير المبتهل حسن به الظن ، وحسن معه العبارة ، وأدمج له تفسيح زلته فى اللطف قوبل باللطف اشارة (I) ، ومن دونه فان كان فى الطريق راسخ القدم وشامخ القدر أخذته على الكبيرة والصغيرة واستعظمت نقيره من الخطايا وقطميره ، وان يكن غير ذلك تجاف عن النقير والقطمير ، واستكثرت من حسناته الشئء الحقيقير ، وسلكت معه مسلك التأنيس لا التنفير ، قرب قبيح من ذلك هو من هذا حسن . وكثيرا ما رأيت المشائخ يشبهون الصنفين بالماء واللبن ، ومما ينبغي لشيخ الحلقة ان يتفقد أحوال التلاميذ ، فمن كان منهم موسرا نظر له فيمن يخدم ما يقتات به من الطعام ، ومن كان مقترا نظر له فيمن يتبرع له بالخدمة والاطعام ، ولو استقصينا ذكر جميع الحدود وقع السأم دون بلوغ الغاية وفيما ذكرناه كفاية ان شاء الله .

ومن أخبار الشيخ ابي عبد الله رحمه الله :

ما بلغنا ان ابا عبد الله كان يخرج للحلقة فى اوان الربيع الى بوادى بنى مصعب لمأرب ، منها انه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ ، واستصلاحها ، وتدريب قوى اجسادهم واستصلاحها ، فانه علم ما فى بلاد ريغ من رداة الهواء وقلة طيب الماء ، وأيضا فان بنى مصعب كانوا واصلية فعمت عليهم بركته ، فرجعوا الى دين الحق ، والطريقة المرضية ، وذلك كان اكثر قصده فى

(I) كذا فى النسخ ، ويظهر فى العبارة خلل .

انتجاعهم وحلول رباعهم ، وكان يبين لهم طرقا يتبعونها
ويضرب لهم أمثالا حسنة يعملونها .

ذكر ان سائلا منهم ساله ما تقول فى حلال خالطه الحرام
أيوكل منه ؟ قال ما ترى فى جعر دخله جربوع ودخلته
حية كلاهما بمراى منك ، أتدخل فيه يدك طلبا للجربوع ؟
قال لا افعل ، مخافة الحية ، قال وكذلك ما سألت عنه ، وله
معه انواع من هذه الاجوبة .

توجهه الى قسطنطينية وبلغنا ان أبا عبد الله توجه الى قسطنطينية
فى جماعة من أصحابه فاجتمعت عليه جموع
من الناس واشتهر ذكره حتى خاف ان يقال انما يحاول
أمرا ، من قيام أو نحو ذلك ، وكان حينئذ عازما على المسير
الى ناحية طرابلس فلما رأى من الامر ما يفضى الى المكروه
وكان أهل الموضع على غفلة ، أمر بعض أصحابه بان
يخرج البغلة من طريق ، وأمر آخر أن يخرج السرج من
طريق ثم خرج هو من طريق آخر. وخرج أصحابه متوافقين
من أبواب شتى وسلكوا طرقا شتى حتى اجتمعوا فى مكان
تواعدوا على ان يجتمعوا فيه ، فشدوا سرج البغلة فركب
الشيخ وسار ومن معه من أصحابه حتى صاروا بقرب
تملوسة ، فاذا بالفقيه أبى الربيع سليمان بن خلف ،
ومحمد بن عيسى بن ابراهيم الهوارى قادمين من البادية ،
من موضع يقال له (أضريكم) ولهما به أهل وأنعام ، وذلك
فى فصل الربيع ، فلما كانا قريبا من البلد تأملا السيارة
فعرفوا بغلة الشيخ ، فما كاد أن قصدها مسرعين ،
فصافحاه وصافحا أصحابه ، وفيهم عيسى بن ابراهيم
والد محمد بن عيسى المذكور ، فمالا بهم الى حيث اهلوهما
نازلون فاحتفلا فى ضيافتهم ، فدخل اهل المي سرور

احتفاء أهل
تملوسة بابى عبد
الله

عظيم بحلول هذه البركة فيهم ، فلما اكتفوا من الطعام ،
وصلوا، أطاف التلامذة بالشيخ وأطاف به أهل المحي يسألون
عن مسائل دينهم، حتى مضى وقت من الليل وقضوا حاجتهم
من السؤال والجواب ، وغلب عليهم النوم ، فتفرق مجلس
الرجال واجتمعت نسوة المحي فاطفن بالشيخ يسألنه كما
كان الرجال يسألونه ، والشيخ يجيب ، قيل وكان في
النسوة امرأة تسمى أم اليخت ، تنتحل قراءة الكتب وطلب
مسائل الفقه ، وتجيد السؤال ، ومعها أخت لها قريب منها
في هذا المعنى فما برحتا وصاحباتهما يسألن الشيخ ، وهو
تارة يتكلم في الفقه ، وتارة يتكلم في المواعظ حتى طلع
الفجر ، ولم يكل الشيخ عن الجواب ولا غشيه نوم . ذلك
فضل الله يوتييه من يشاء ، فقالت حينئذ لابی الربيع وهى
ابنة خاله لاجل هذه الفوائد طالت غيبتك عنا يا سليمان
تعنى ملازمته شيخه أبا عبد الله اذ كان يقرأ عليه . ولما
جاء تكتيس بن سيد سلم على الشيخ وصافحه ، فسأل
الشيخ من هذا فعرف انه تكتيس وكان تكتيس حينئذ قد
تحولت صفته مما كان يعرف منها الشيخ ، فقال أهـو
صاحبنا قبل هذا ؟ فقال وانا صاحبكم الى الآن . فقال نعم
لكن أنت فى واد ونحن فى واد ، قيل ثم تقدم أبو الربيع
وتكتيس الى لماية يبشرونهم بقسودم الشيخ وأصحابه
فبشرهم . وتأهب المشائخ من لماية وغيرهم للمسير ليتلقوا
الشيخ وأصحابه ، فساروا وفيهم الشيخان ابو محمد عبد
الله بن الامير وأبو محمد وارسفلاس بن مهدى ، وكان
وارسفلاس عالما كبيرا ، فكان الشيخ فى مدة اجتماعهم اذا
سئل عن مسألة أحال على عبد الله بن الامير ، وكان قليل
الجواب وذلك بمحضر الشيخ هيبة له ، فيقول له وارسفلاس :

أجب الناس يا شيخ فليس لك عند أبي محمد جواب ، وكان الشيخ يجيب عن المسائل . ولما دخلوا جربة أسرع الشيخ حتى قدم المسجد الكبير على بنى يراسن فصافحهم ، وأقام فيهم ما شاء الله ، ولم يزل كل من هنالك بين مفيد ومستفيد ، حتى عزم الشيخ على الرحيل ولما أراد الخروج مسافرا قربت اليه دابته ليركب فابتدر الناس ركابه ليمسكوه له وابتدر صالح بن أبي صالح ليمسك ركابه ، فأبوا عليه ، وقال لهم الشيخ دعوه فأمسك ركابه حتى ركب ، وتذكر عند ذلك أيام شبابه وخدمته حينئذ لمشائخه وبره إياهم وما كان يجد لذلك من لذة وارتياح ، فتمثل بقول الشاعر :

لله أيام الشباب وعصره
ولو استعير جديدها فيعمار
ما كان أقصر ليلا ونهارها
وكذاك أيام الشباب قصار

قيل ، ولما خرج من الجزيرة وكان طريقة «بتبا جالت» اجتازوا على الشيخ عمروس فأنزلهم للضيافة ، فنزلوا ، فذبح لهم شاتين من أحسن ما يمكن ان يكون ، ولما حضر الطعام جعل احد التلامذة يختار للشيخ أطيب اللحم ، وأسمنه فنظر الشيخ الى سمن ذلك اللحم ، وقال كيف يكون قلب من يأكل هذا من ماله ؟ فكيف من مال غيره .

ثم كر راجعا الى جهة ريغ ورجع معه أصحابه وكلهم لا يعدو موافقة قلب الشيخ . فبلغنا ان عبد الله بن الامير قال حينئذ:عجبا لهذا الشيخ وأصحابه انما مثلهم كمثل الحواريين لعيسى بن مريم ، وبلغنا ان أبا عبد الله توجه

الى وارجلان فدخل على الشيخ ابي عبد الله محمد
السدراتي الذي كان اهل وارجلان قلبوه أمورهم قبل .
دخل عليه وقد كبر وتنحى عن أمورهم ، ولزم بيته ، فقال
السدراتي للبكري (I) يا محمد أستم تقولون خير الرعاة
راع ساوى بين القوية والعجفاء من غنمه ؟ فسكت عنه
فقال السدراتي أو أستم تقولون ان الناس يصطحبون
على المكروه لئلا يفترقوا ؟ فقال له ففيم ، أفى أمور الدنيا
أم فى أمور الدين ، أم مطلقا ؟ فقال له السدراتي الى
هاهنا انتهى علمى ، وليس عندى زيادة ، فما عندك انت ؟
قال انما ذلك فى أمور الدنيا كنزول المسافرين ورحيلهم ،
وحسن المعاشرة وسيئها ، وصفائر الهفوات ، وأما فى أمور
الدين فلا ، ولو كان يسع ذلك فى أمور الدين لما فارق
السلف ولاتهم ، ان فارقوهم فى الدين حتى اسرعوا
بانفسهم الى الموت ، فماتوا فى مواطن شتى ، كاصحاب
ابن وهب وأصحاب ابي بلال ، وعبد الله بن يحيى الكندى
والمختار بن عوف وغيرهم ، انما ماتوا اذ لم يروا المقام
والصبر على يأتون وهم يأبونه ، رحمة الله عليهم
أجمعين ، ثم قال له الشيخ لا تركز الى كثير ممن يدخل
عليك فانهم يقولون عليك ما لا تقول ، فقال له من أتانى
زائرا فاجره على الله ، ومن قال على ما لم اقل فحسابه على
الله . قلت انما اوردت هذه الحكاية فى هذا الموضع لما ذكر
فيها الشيخ أبو عبد الله رحمه الله فى الصبر والمعاشرة
على المكروه ، وما تبين فيها من الفرق بين المكروهين وقوله
انما ذلك فى أمور الدنيا واما أمور الدين فلا ، لا أقول
انه الآن قال مطلقا ، بل على حسب الاستطاعة ومصادق

لا يسع السكوت عن
الباطل خوفا من
التفرفة

(I) يعنى ابا عبد الله محمد بن بكر .

قولى قد مضى برهانه فيما تقدم من اخبار الشيخين أبى خزر وأبى نوح فى هذا الكتاب لما لم تبلغ بهما الاستطاعة الى أكثر من بذلهما الطاعة لمن يدينان بالبراءة منه لينالا المعافاة فى أنفسهما ، وينالاها من وراءهما ، فوجدناهما قد عاشرا الشيعة وصبرا على المكروه فى الدين تقية ، ثم معاذ الله ان أجعل هذا التشبيه تزييفا لقول الشيخ رحمه الله ولا انه جهل هذا او اغفله ولعله أوماً اليه حينئذ فنسيه الحاكى عنه ، أو ضرب عنه .

ورع الشيخ وإخلاقه
الكريمة

ومما يذكر من نزاهته ما بلغنا انه ولد له مولود فسر الناس بذلك قريبا وبعيدا ، وهموا بأهداء الهدايا والاحتفال بالولائم ، فمنعهم عن ذلك ونهاهم عنه ، فانتهوا مراقبة له . فقالت امرأة أبى القاسم يونس بن ويزكن . أو نحن أيضا يا شيخ تمنعنا عما منعت الناس وتقيسنا بغيرنا ؟ وتكلمت كلام مدل بالاخوة مات بالصدقة القديمة فقال : والله لا أجد يدى هى العليا فأردها هى السفلى . يريد قوله صلى الله عليه وسلم : (اليد العليا خير من السفلى) أى المعطى والمعطى وهو مفسر فى الحديث . ونحو ذلك ما ذكر محبوب بن أبى عبد الله السدراتى ان الشيخ ابا عبد الله وصل ايفران من قرى وارجلان ومعه أصحابه ، فاهتبلوا بتضييفهم ، فلما حضر الطعام وقربت الموائد نظر الشيخ فرأى على المائدة التى قدمت اليه زيادة اختص بها ايشارا فحدثته نفسه ان غيره ممن حضر على تلك الاطعمة ربما قصر فى حقه عن ذلك ، وكانت الجفنة التى قربت للشيخ عليها ورك شاة ، فقال الشيخ لبعض من يليه تأمل الجفان لترى هل هى كهذه أم لا ، فتأمل فاعلمه انها دونها وليس فيها مثلها ، ولا قريب منها ، فنهض الشيخ عن الطعام

وانصرف ولم يأكله ، ونحو ذلك ما بلغنا انه قدم (تين ابي مطوس) فاهدت له لفائف وجمار ، فرد اللفائف وقال ما نحن والهدايا ، فرجع ذلك الى مهديه ، واما الجمار فأكله ومن ذلك انه وجه محبوبا وابا بكر بن محمد من (تين يسلى) الى وارجلان حرسها الله ليشتريا له أمة فلما ساماها من بائعها وعلم انها للبشير ابي عبد الله حط عنهما من الثمن خمسة دنانير ، فقدا بالامة الى الشيخ فاعلماه بما كان من بائعها فلم يأخذها ، وأمر بردها تحرجا وعفة . وأخبار ما يؤثر من كراماته سيأتى ذكرها فى المناقب ان شاء الله فذلك موضعها ، فلذلك لم اضعها هنا والله أعلم .

ـ (ذكر شيء من اخبار نجباء تلامذته)

وان كانوا كلهم نجباء فضلاء أختاروا ما منهم الا من عمت عليه بركته ، وأينعت فى العلوم ثمرته ، ولكن نذكر هنا من حاز قصب السبق وكان عليه الاعتماد فى الفتق والرتق ، وكان له الاثر الكريم ، واستحقاق درجة التقديم ، فمنهم زكرياء ويونس ابنا الشيخ ابي زكرياء رحمهم الله كان زكرياء ويونس من أفضل أهل زمانهما علما وورعا وخلقا وكرما ، وكانا قد قرءا على الشيخ ابي عبد الله حتى برعا فلهما اخبار مأثورة فى كل فن ، نذكر منها ما تيسر .

زكرياء ويونس
ابنا ابي زكرياء
فصيل

ومنها ما بلغنا انها توجهت الى الحج ، فلما كانا ببعض الطريق وقد أضربهما السير ولواهما السفر نام زكرياء فتخلف عن الرفقة ، فلما انتبه من نومه وجد نفسه فى بيداء منقطعا عن الركب ، فدعا الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء . فقال : (اللهم يا صاحب كل غريب . ويا مؤنس كل

وحيد . ويا قريبا غير بعيد . اجعل لى من سفرى هذا فرجا
ومخرجا) . ثم رفع رأسه فنظر ، فاذا عمود من نور ساطع
فى الهواء فيتممه فسار نحوه حتى أدرك الركب فوجد
اصحابه متحيرة خواطرهم ، ذاهلة قلوبهم ، ذاهبة عقولهم
من اجله ، فذهب عنهم ما كانوا فيه من القلق ، ونام
يونس مرة أخرى فى طريقهما ذلك فما استيقظ الا وقد
فاته اصحابه فسار فى اثر الركب فمر بجماعة من أهل
الركب قد كانوا غشيهم النوم وتخلفوا ، فوجد فى نفسه
قوة ونشاطا لم يجده فيهم فخلفهم ، فسار مجدا فلم يزل
يخلف أواخر الركب ناسا بعد ناس حتى مر برجل قد
أدركه العيام فتخلف عن أصحابه ، وقد ورمت قدماء
وانتفخت رجلاه ، واشرف على الهلاك وقنط من الحياة ،
ومعه صرة فيها دنانير فنظر الى يونس فتوسم به الخير ، فقال
له انه قد أصابنى ما ترى ، ومعنى هذه الصرة فخذها .
فانت أولى بها من غيرك ، فتناولها من يده وسار حتى لحق
باصحابه ، ثم ان أهل الركب نزلوا فلم يزل صاحب الصرة
يتبع الاثر يمشى ساعة ويستريح أخرى حتى لحق بالركب
فبات ، فلما ارتحل الركب وارتحل الرجل ووجد فى نفسه
قوة تذكر صرته فجعل يتأمل الناس ويردد بصره فى
وجوههم ، ويكشف عن خبر صرته ، ويبعث فنظر اليه
يونس فمرقه ، واذا هو قد ضمير وتغير لونه وتحول جسمه
فقال له ما بالك ؟ فقال له من قصتي كيت وكيت ، فقال له
يونس : أعطيتك اياها هبة أم أخذها منك
غصبا ؟ فقال بل أعطيتك اياها هبة ، قال
أتعرفه ؟ قال لا الا انه جسيم طويل مثلك
فقال له أتعرف الصرة اذا رأيته ؟ قال نعم ، فاخرج اليه

الصرة فدفعها اليه وجعل يرفع صوته يقول : والله ما هو الا مسلم ، يكررها ، وباتا ليلة فى طريقهما تلك وقصد اشتمل زكرياء على سيوفهما فغشيتهم السلاية فانتهبوا فصاح يونس بأخيه ان تناولنى السيف ، فناداه مرارا فلم يجبه فوضع يونس يده بين رجلى زكرياء فامكنه الله من قائم السيف فسله وقام يدافع عن نفسه وماله فضرب الذى قابله من السلاية بالسيف وقده نصفين فلم يتجرىء عليه احد منهم ، وبلغنا ان الشيخ ابا القاسم يونس هذا قد كان عود نفسه القيام بالليل للتجهد فى المسجد الكبير، وكان منزله بعيدا من المسجد ، فخرج من منزله ذات ليلة يريد المسجد فمر على مقبرة فى طريقه فأحس خلفه حسا ، فالتفت فاذا صورة لا يعرفها فاقشعر جلده ، ثم مضى ولم يكثرت فلما قرب من المقبرة ناداه ذلك الشخص يا ابا القاسم الى متى ننتظرك ، ولم تاتنا ، فمضى الى المسجد الكبير باكيا حازنا ولما وصل المسجد أخذ فى الصلاة ، كما كان يفعل قبل ذلك ، الى ان طلع الفجر فصلى الصبح وتقدم الى الحلقة ، فلما اخذوا فى القراءة أخذ يقرأ معهم والدموع تسيل على خديه ، وعلى لحيته ، حتى طلعت الشمس ، فلما ختموا سأله بعض من معه فى الحلقة فاخبرهم بالقصة وقال لهم ما اظن اجلى الا قد اقترب . فأخذ فى تنفيذ وصيته ووداع اخوانه ولم يعيش الا اياما يسيرة رحمة الله عليه .

ابو الربيع سليمان
بن يغلف

«ومنهم أبو الربيع سليمان بن يغلف المراتى رحمه الله»

كان ابو الربيع قد قرأ على الشيخ ابي على ، واتفق عليه علم الاصول ، والنظر ، وبلغ فى ذلك مبلغا عظيما ، ثم انتقل الى جربة ليقرا بها علم الفروع على فقهاء بنى يراسن

أبى محمد ويسلان بن أبى صالح وأبى زكرياء وزكرياء
ويونس ، وأبو بكر بن يحيى فوافاهم فى وقت اشتغالهم
باسباب لا يجدون بدا من مباشرتها ، ثم قالوا فيما بينهم
لا ينبغي لنا ان ندع مثل هذا وحده ، عاطلا من القراءة
وقد علمنا انه قاصد إلينا ، وعلمنا فيما قصد لكن نقعد
له يوما بعد يوم . فلا هو يتعطل ، ولا أشغالنا ، فاذا
تفرغت اشغالنا تفرغنا لصاحبنا . فصار يقرأ عليهم يوما
يوما فكان على خير ، واستفاد حتى تفرغوا . واجتمع
التلامذة وقصدوا ابا محمد ويسلان ورغبوا اليه فى ان
يجلس لهم ليقروا عليه الفروع ، وسألوه ان يرتبوا عليه
الحلقة ، فاجاب ، وجلس لهم ، وكانوا يقرأون عليه الفقه
فلما ترتبت الحلقة كثرت الطلبة ، وجلهم ممن تقدمت له
قراءة علم الاصول والنظر على الشيخ أبى عبد الله محمد
ابن بكر . وانما انتجعوا جربة لقراءة الفروع كأبى الربيع
المذكور ويعقوب بن يعدل ومصالة بن يحيى وغيرهم ،
 واجتمع أيضا تلامذة من بلاد شتى يريدون علم الكلام ،
 وكانوا يأخذون الدرس على ابن الشيخ أبى زكرياء ، وعلى
أبى بكر بن يحيى ، وكان طلبة علم الكلام ناحية عن طلبة
علم الفقه ، وتسامع الناس فى الجهات بجلوس حلقتين ،
 فجاءوا من كل مكان رغبة فى العلم فكثرت طلبة علم الكلام
فرغب مشائخ بنى يراسن الى تلامذة أبى عبد الله المذكورين
أبى الربيع وأصحابه فى الجلوس لاقرأ طلبة علم الكلام ،
 فقالوا لهم انما جئنا لتتعلم الفروع ، فكيف نعلم غيرنا
الاصول ؟ .

وكان ابو الربيع تنصل من مخالفة الشيوخ فلما رجع
الجواب بهذا الى الشيوخ قالوا للطلبة جدوا واجتهدوا والله

اعتناء أبى الربيع
بطلبته

معينكم ، ويمثل لهم بقول القائل : ان لم يخفروني فسيخفروني ، فأخذوا في الاجتهاد فلم يعدموا من شيوخ بنى يراسن معونة على طلب العلم بالافادة ورفع الكلف والمؤونة . وكان جلوس هاتين الحلفتين بالموضع المعروف « ياتييجان » من الجزيرة وهناك شجرتان من الخروب عظيमतان فكان جلوس طلبة الفقه عند الشجرة القبلية منهما وطلبة الاصول عند الجوفية ، فاقاموا على هذا مدة ، ثم انتقلوا بجملتهم الى المسجد الكبير ، لما كثر طلبة علم الكلام ، فلما رأى أبو محمد ويسلان قلة عدد التلامذة الذين يقرأون عليه الفروع انتقل بهم الى بيته قبالة المسجد الكبير ، فكانوا يأخذون الدرس هناك ، ثم انتقل ابو الربيع بتلاميذه الذين يقرأون علم الكلام الى موضعه « بتمولسة » وكانوا هناك فى عريش عملوه عند عيون تمولسة ، فكثروا واجتهدوا وحسنت احوالهم ، وكانت زنزفة ، ولماية ، ومزاةة ، ومما حولهم من القبائل يبذلون الجهد فى معونة الطلبة بالهدايا ، والتحف ، والعطاء واللفظ ، فكانوا فى أبر حال الا انهم لحقهم خوف من العرب ، فان الموضع الذى هم به هو ممر لاعراب اذا رحلوا من طرابلس الى افريقية أو متى رجعوا . والطلبة بهذا فى حذر ، فبلغ الشيخ أبا القاسم يونس بن زكرياء ما هم فيه من الخوف ، فقال نحن فى أمان وسليمان واصحابه فى خوف ؟ فوجه اليهم رسولا يعلمهم بانه يحجر عليهم المقام بذلك الموضع فلم يسمعه المقام مع نهي الشيخ ، فتفرقوا فى بلاد لماية وزنزفة ، ثم اجتمعوا على شيخهم بعد ذلك ، فقصد بهم جبل زنزفة ويعرف بقلمة أبى على ، وكان اجتماعهم للدرس فى غار هناك ، ثم كثر الطلبة فضاقت عليهم الغار ،

ابو الربيع سليمان
يؤلف كتابا فى
الاصول

فانتقلت منهم جماعة الى غار آخر ، فكان الشيخ ليلة عند هؤلاء وليلة عند هؤلاء ، حتى استفادوا خيرا كثيرا ، والذي صح من اخبار ابي الربيع انه لم يتصدر حتى تبصر فى الفقه ، فحينئذ جلس للحلقة ، قيل ثم ان ابا الربيع وتلامذته ومن هناك من المشائخ أرادوا زيارة أهل الدعوة ليفيدوا ويستفيدوا ، وسيأتى ذكر الزيارة بعد هذا مستقصيا ان شاء الله تعالى ، وكانت سنة الزيارة سنة 449 تسع واربعين واربعمئة فلما رجعوا الى جبل زنزفة ، ولم يبق مع ابي الربيع الا تلامذته انتقل بهم الى تمولسة ثم انتقلوا الى الجبل ، فكانوا فى اجتهاد عظيم .

ثم ان التلامذة رغبوا الى ابي الربيع ان يؤلف لهم كتابا فى علم الاصول ليرووه عنه ، فامتنع كل الامتناع وكرروا الرغبة حتى اجاب على كره ، وذكر ان ابراهيم بن ابراهيم وكان أحد تلامذته رأى فى منامه انه واصحابه نظروا بطن ابي الربيع واستخرجوا منه قطعتين مملوئتين عسلا ، فهاله ما رأى وخاف ان يكون ذلك مكروها ينال منهم شيخهم ، فدخل مدينة قابس فسأل عن منامه رجلا مشهورا بانه يعبر الرؤيا فقال ان كان الرجل ذا مال فمال يؤخذ منه كرها ، قال ليس بذى مال ، فان كان عالما فعلم يؤخذ منه كرها ، قال هو . فاعلم التلامذة بذلك ففسروا سرورا عظيما فشرع فى التأليف فكان يملئ على التلامذة كل يوم بابا فبابا ، فكانوا يعلقون ذلك عنه فى ألواح حتى تتم التأليف ثم عرض الألواح على ترتيبها ، فاثبت وأسقط ، وزاد ونقص ، وصحح وبدل ، حتى لم يبق فيها اشكال وحتى صحت عنده كلها فاستنسخها وجعلها ديوانا فى مجلدين ، الاول والثانى وعرضهما بعد ذلك على ابي عبد الله محمد

بن سودرين فلم يزد فيهما الاحرفين ، ومكث الشيخ
بتمولسة ما شام الله ، ثم انتقل الى موضع بالجبل يعرف
« بتونين » ، ورتب فيه الحلقة فصار مأوى للعزابة وموضعا
للدرس معروفا بالبركة ، مخصوصا هو وأهله بالخير ،
والصلاح ، واليمن ، الى يومنا هذا . فلقد سمعت من غير
واحد من المشايخ ان قراءة شهر بحلقة تونين تقسوم في
تحصيل الفائدة قيام أشهر في غيرها فهو منبر من منابر
الدعوة ، في الافاق المذكور ، وبالعلم والدين مشهور ، لم
تخل قط من جماعة مجتهدين ، في تحصيل علوم الدين
وجماعة موفقين ، بحفظ طرق المتقين ، وجماعة من
وراءهم موهلين بخدمة الحلقة بالمال والنفوس والاهلين ،
أيد الله الجميع وقواهم وآتاهم تقواهم .

« كمل بحمد الله ما يقابل الجزء الاول من كتاب الشيخ
أبى زكريا رحمه الله ، والحمد لله رب العالمين . ويتلوه
ذكر الطبقات وسيرهم ومناقبهم ان شام الله تعالى والله
ولى التوفيق » .

كمل الجزء الاول من كتاب الطبقات
، ويتلوه الجزء الثانى
وهو جزء التراجمة

فهرس العناوين والموضوعات الواردة فى الجزء الاول

23	مبايعته خارج طرابلس		تقديم الكتاب
24	بيان مسألة الحارث وعبد الجبار		مقدمة الكتاب
24	اليقين هل يدفعه الشك ؟	1	سبب تأليفه
27	أبو الخطاب يهاجم القيروان	1	ذكر الفاظ اصطلاح عليها العزابة
	تخير أبى الخطاب جنده بين الجهاد	3	ذكر طبقات المشائخ ، وقائمة فى
28	أو الرجوع	6	اسمائهم
28	استشهاد أبى عاصم السدراتى		أول داع لمذهب الاباضية بالمغرب
29	انه لا يشبه من ولى عليكم من قبل	11	ذكر فضائل ألفرس من العجم
30	المحارب الموحد لا يحل سلبه	12	قصة سقوط شرافات ايوان كسرى
	قدوم ابن الاشعث من طرف	13	فضل البربر من العجم
31	العباسيين	15	كانوا يقاتلون ليقيموا دين الله
33	مباغطة ابن الاشعث لابى الخطاب	18	تفضيل البربر لا يعنى تفضيلهم على
34	مقتل أبى الخطاب واصحابه		العرب
	خروج عبد الرحمن الى المغرب	19	خبر الخمسة نفر حملة العلم الى
35	الايوسط		المغرب
36	ولاية أبى حاتم المزوزى	19	انتقال عبد الرحمن الى المشرق
36	تحصن عبد الرحمن فى سوفجج		للتعلم
38	حصار أبى حاتم للقيروان	20	يدرسون فى سرب خفية
38	ذكر وقعة مغمداس	20	امامة أبى الخطاب عبد الاعلى فى
39	مقتل أبى حاتم واصحابه		طرابلس
39	قدوم يزيد بن حاتم بجيش	21	

استعمال أبي عبيدة الجناوني على
 70 الجبل
 71 الهروب من المسؤولية اثم
 72 امامة افلح بن عبد الوهاب
 تعطيل احكام الله اعظم وزرا من
 75 اراقه الدماء
 اخبار القتال الذي جرى بين
 75 الطائفتين
 77 أيام الامام افلح كانت أيام استقرار
 الافتراق الثالث في الاباضية
 77 وخروج نقات بن نصر
 79 آراء نقات الغربية
 80 نقات في بلاط العباسيين
 يظفر بديوان جابر بن زيد ثم
 81 يتلفه
 وفاة الامام افلح وولاية أبي
 82 بكر
 83 امامة محمد بن افلح
 84 امامة يوسف بن محمد
 أبو منصور الياس (عامل نفوسة)
 84 واخباره
 أبو منصور يحاصر خلفا في جربة
 85 وقعة مانو ، وانقراض الامامة
 87 اثر وقعة مانو على نفوسة
 89 ابراهيم بن الاغلب يتتبع بقية
 90 الاباضية بافريقيا (تونس)
 اخبار عبيد الله الشيعي وظهوره
 91 في المغرب
 سقوط تاهرت على يد الفاطميين .
 94

40 امامة عبد الرحمن بن رستم
 41 انشاء مدينة تاهرت
 42 اختيار عبد الرحمن للامامة
 42 وصف مدينة تاهرت وعمرانها
 45 امداد من اباضية المشرق
 46 عبد الرحمن يجعل الامامة شورى
 47 امامة عبد الوهاب
 47 أول افتراق في الاباضية
 استفتاء علماء المشرق في خلاف
 49 ابن فندين
 توجه شعيب من مصر الى تاهرت
 50 أصل تسمية النكار ومبدأ امرهم
 51 مؤامرة تدبر للامام
 52 هجوم ابن فندين على تاهرت
 54 مكانة الرستميين في المغرب
 56 محاربة الامام للواصلية
 57 الامام يستمد نفوسة
 57 مهدى يقنع عددا من المعتزلة
 60 بطولات أيوب بن العباس
 63 زهد مهدى وورعه
 64 انتقال الامام عبد الوهاب الى
 طرابلس
 65 الامام يهتم في دروسه بمسائل
 الصلاة
 66 تولية السمع بن ابي الخطاب على
 الجبل
 67 الافتراق الثاني في الاباضية
 67

124 قوة مزاةة فى افريقيا
تخوف ابى تميم (المعز الفاطمى)
125 مر ابى القاسم وقتله
ثورة ابى نوح وابى خزر على ابى
126 تميم
128 حصار ابى خزر لباغاي
129 انهزام ابى خزر
131 القاء القبض على ابى نوح
133 أبو نوح بن يدى المعز
134 شفاعة ابن بلكين الصنهاجى فيه
135 أبو تميم المعز يعطى الامان للاباضية
136 العفو عن ابى خزر ومقدمه للقيروان
قصة انتقال المعز الى القاهرة
137 واستصحاب ابى خزر
142 مكانة ابى خزر العلمية
143 اخبار ابى نوح وانتقاله الى وارجلان
145 رجوع ابى نوح الى قسطنطية
مناظرة ابى نوح فى مجلس المنصور
145 بلكين بن زيرى
149 مناظرة تودى الى فتنة بتوزر
ثلاث مسائل سئل عنها الشيخ
153 ابو عبد الله محمد بن بكر
154 أبو نوح ينتقد اهل وارجلان
155 أبو نوح فى مجلس والى زويلة
ذكر شىء من اخبار ابى مسور وابنيه
157 شهادة المشائخ على فضل ابى مسور
159 مآثر وحكم عن ابى زكرياء فصيل
160

95 حصار عبيد الله لوارجلان
اخبار ابى يزيد مخلد (صاحب
الحمار)
96 النجاء ابى يزيد الى اوراس
98 أبو يزيد يفك الحصار بحيلة
99 الاباضية الوهبية تعتزل فتنة ابى
يزيد
100 أبو يزيد يحاصر القيروان والمهدية
100 ابن ابى يزيد يخلف أباه فى بقية
جيشه
102 أخبار ابى يعقوب بن الامام افصح
وهروبه الى وارجلان
104 الافتراق الرابع فى الاباضية
106 سليمان بن ابى يعقوب وآراؤه
106 الغريبة
اخبار ابى الربيع سليمان بن
زرقون وابى الخطاب وسيل وابى
ايوب
109 أبو الربيع مع شيخه ابن الجمعى
110 لو كان مرادى طلب الدنيا لنتها
بعلدى
111 أخبار ابى الخطاب وسيل
113 أخبار ابى ايوب بن كلابة الزواغى
115 الافتراق الخامس فى الاباضية
وخبر السكاك اللواتى
118 أخبار ابى القاسم يزيد بن مخلد
وابى خزر يغلا الوسيانيين
119 مكانة ابى القاسم لدى الفاطميين
123

181	أدب العزابة والطلاب فى العبادة	162	لا يفسد الايمان
	خروج الشيخ ابي عبد الله الى		ادخال السرور على قلب المؤمن
183	ميزاب	163	افضل من العبادة
	احتفاء اهل تمولست به وزيارته		ذكر جمل من اخبار الشيخ ابي عبد
184	الجربة	166	الله محمد بن بكر
	لا يسع السكوت عن الباطل خوف	167	مبدأ تأسيس الحلقة
186	التفرقة	170	ذكر لمع من سير الحلقة
187	ورع الشيخ واخلقه الكريمة	170	ما ينبغي لاهل الطريق ان يلتزموه
188	ذكر شئ من اخبار نجباء التلاميذ	171	اعضاء الحلقة ومهامهم
188	زكرياء ويونس ابنا فصيل	171	المهام التى يتولاها الشيخ
191	أبو الربيع سليمان بن يخلف	173	المهام التى يقوم بها العريف
192	اعتناء ابي الربيع بطلبته	176	مهام عريف الدراسة

فهرس الاماكن الواردة فى الكتاب

توزر 97 - 98 - 109 - 149 - 150

تيسر سرين 107

تيمتى 72 - 73 - 76

تينسلى 170 - 188

تينماطوس 145

تابديوت 109

تاجديت 150 - 168

تاصورت 92

تاهرت 13 - 40 الى 45 - 50 - 51 - 54

60 - 64 - 67 - 77 - 82 - 83 - 87

94 - 104 - 127

تاورغا 34 - 38

- ج -

جزيرة جربة 77 - 85 - 86 - 114 - 115

131 - 139 - 158 الى 162 - 166 - 185

191

جبل دمر 65

جبل نفوسة 58 - 59 - 64 - 66 - 67

70 - 71 - 73 - 79 - 83 - 85 - 97

112 - 116 - 117 - 131 - 136 - 157

- ا -

اربخ 128 - 150 - 170

افريقية (تونس) 38 - 95 - 101 - 111

145 - 159 - 160

ايدوف 73

ايفران 96 - 187

ايكجان (بميلة) 92

ايوان كسرى 13

- ب -

بغداد 31 - 80 - 81 - 83 - 87

البصرة 11 - 12 - 20

باغاي 93 - 128 - 129 - 130

البكرات 143

بادية بنى مصعب 183

- ت -

ترشوين 109

تطاوين 97

تقيوس 96 - 97 - 128 - 149 - 168

تمزرت 114

تمولست 167 - 168

- ط -

طرابلس 23 - 26 - 27 - 31 الى 39
65 الى 71 - 82 - 87 - 93 - 183 - 192
طنبنة 93

- ع -

العراق 19
عزلاتة اليمن 92

- ف -

الفسطاط 142

- ق -

قصر بكر 93
القصر القديم 129
قسطنطينية 35 - 97 - 99 - 110 - 119
145 - 183
قفصة 93
قطننار 77 - 88 - 90 - 145 - 150
151 - 153 - 156
القيروان 11 - 20 - 26 الى 33 - 35
36 - 38 - 39 - 44 - 87 - 91 - 93
96 - 100 - 101 - 102 - 114 - 116
117 - 122 - 123 - 135 - 136 - 137
167 - 168
قابيس 28 - 35 - 101 - 102 - 130
137 - 193

- ح -

الحجاز 137
الحامة 98 - 168
حامة قسطنطينية 119 - 120 - 123 - 124
حسين 17

- د -

درجين 98

- ر -

رقادة 29 - 30 - 94
ريزة 112

- ز -

الزباب 128

- س -

سدراة 30
سلجماسة 93 - 94 - 109
سوفجج 36
وادي سوف 152 - 156
بحيرة ساوة 13

- ش -

الشام 137

- ص -

صفاقس 164 - 165
صياد 22 - 23

مفمداس 38

ميلة 92

مانو 87 - 78 - 126

- و -

وارجلان 93 - 94 - 95 - 105 - 106

119 - 125 - 128 - 138 - 143 - 145

154 - 159 - 179 - 182 - 188

- ك -

كدية كريمة 95 - 107

- م -

مطماطة 82

المغرب (العربي) 11 - 17 - 19 - 20

22 - 32 - 35 - 87 - 92 - 141



فهرس الاعلام واسماء القبائل

- ١ -

- ابراهيم بن ابى ابراهيم ١35
 ابراهيم بن ابراهيم ١93
 ابراهيم بن احمد الاغلبى 87 - 89 - 90
 ابد الله السكالك ١١8 - ١١9
 ابو ايوب بن كلابه ١09 - ١١5 - ١١6
 ١١7
 ابو بكر الصديق ١8 - 50
 ابو بكر بن يوسف 9١
 ابو بكر بن محمد ١88
 ابو بكر بن افلح 82 - 83
 ابو حمزة الشارى 74
 ابو الحسن ايوب 70
 ابو جعفر احمد بن خيران ١49
 ابو زكرياء بن ابى عبد الله ١36
 ابو زكرياء اللالوتى 78
 ابو على ١9١
 ابو سليمان بن ابى يعقوب الفرثى
 ١06 - ١07
 ابو منصور الياش 80 - 84 - 85 - 86
 ابو نوح البصير ١50

ابو نوح (انظر سعيد)

- ابى بن كعب 50
 اسماعيل بن درار 2١
 اسماعيل بن القاسم الفاطمى ١04 - ١02
 ١0١
 اسماعيل بن صالح 48
 افلح بن العباس 87 - 88 - 89 - 90
 افلح بن عبد الوهاب ١١ - 54 - 55 - 62
 72
 بنو امية ١27 - ١33

- ب -

- البربر ١7 - ١8
 ابو القاسم البغطورى 89 - ١١2
 البكرى (ابو عبيدة) 42
 بكر بن حماد 43
 بلكين بن زيرى ١30 - ١34 - ١38
 ١45 الى ١48
 بدنه ١29

- ت -

- تكتيس بن سيد ١84

188 - 189 - 190 - 191 - 192

بنو زلقين 155

زنقة 192 - 193

زناتة 23 - 27 - 97 - 138 - 169

زويشة 23 - 34

زواغه 115 - 161

زويلة 155

الزيدية 24

زيد بن اسلم 13

- س -

سحنون بن ابي ايوب 119

سعد بن وسيم 78 - 79 - 80 - 88

ابو نوح سعيد بن زنفيل 126 الى 139

142 الى 157 - 166 - 167 - 187

سلطان الفارسي 12

ابو الربيع سليمان بن زرقون 97 - 109

113 - 119

ابو الربيع سليمان بن يخلف 36 - 167

183 - 184 - 191 - 192 - 193

ابو سليمان صاحب ابي خزر 140 - 141

سلامة بن سعد 11

بنو سلاوة 116

السمح بن عبد الاعلى 67 - 68 - 69

- ش -

شعيب بن المعروف 49 - 50 - 51 - 54

55

- ج -

جعفر بن علي 130

بو محمد جمال 128 - 30

ابن الجمعي 109 - 130

ابو صالح جنون 105 - 106 - 143 الى

145 - 154 - 159

- ح -

الحسن بن احمد بن ابي زكرياء الكوفي

92

ابو القاسم الحسين بن فرج 92

حسن بن ورميكوك 131

حمو بن اللؤلؤ 105 - 154 - 155

الحارث وعبد الجبار 22 - 24 - 153

- خ -

خزرون بن فلفول 130

خلف بن احمد 158

خلف بن السمح 68 - 69 - 71 - 73

- د -

دوسره بنت الامام 94

- ر -

الربيع بن حبيب 49 - 55 - 66

ابن الرقيق القيرواني 91 - 92

رستم 19

بنو رستم 43

- ز -

زكرياء بن ابي زكرياء فصيل 167

- ص -

صفارية 12

صنهاجة 44 - 151 - 169

صالح بن أبي صالح 185

أبو صالح اليراسني 127

- ع -

أبو الخطاب عبد الأعلى 21 - 22 - 23

5: الى 33 - 37 - 44 - 74

عبد الحميد الجنائني (أبو عبدة) 70

71 - 72 - 73 - 75 - 76

عبد الرحمن بن رستم 12 - 19 - 20

21 - 28 - 29 - 34 - 35 - 36 - 40

الى 46

عبد الرحمن بن حبيب 35

عبد الله بن الأمير 185 - 186

عبد الله بن الحير 89

عبد الله بن زرتين (أبو القاسم) 155

عبد الله بن عباس 13 - 151

عبد الله بن مسعود 18 - 47

عبد الله بن مانوج 159

عبد الله بن يحيى 74 - 186

عبد الله بن يزيد 24 - 148

عبد الوهاب بن عبد الرحمن (الامام)

35 - 46 - 47 - 48 - 52 - 56 - 57

66 - 60

عبد الله بن وهب 21 - 186

أبو عبد الله الشيعي 43 - 95 - 104

عبيد الله الشيعي 91 - 95

عبد المسيح بن تقيلة 14

ابن عباد المصري 66

العباس بن أيوب 76 - 77

العباس بن مرداس 17

العز بن محمد 105

ابن عرفة 83

عزيز بن عيسى 150

عكرمة مولى بن عباس 11

عمروس بن فتح 84 - 89

عمر بن الخطاب 12 - 16 - 17 - 18 - 46

عمرو بن بحر الجاحظ 13

عمرو بن مطكود 39

عمرو بن العاص 17 - 18

أبو عمرو التناوتي 144

أبو عمار عبد الكافي 6 - 9 - 10 - 48

أبو عاصم السدراي 28 - 29

عون بن عبد الله 126

عيسى بن عمير 49

عيسى بن ابراهيم الهواري 184

عيسى بن مريم 186

عائشة أم المؤمنين 15 - 16 - 19

- غ -

الغاية زوجة أبي القاسم 120 - 121

- ف -

فارس 11

الفرس 13

مزانة 87 - 112 - 127 - 128 - 138

192 - 193

مسعود الاندلسي 46

أبو مسور البراسني 116 - 117 - 158

أبو عبيدة مسلم 11 - 20 - 21 - 24

45

مشاراة بن غني 99 - 103

مصالة بن يحيى 191

المعتزلة 60 - 62 - 160

المعز الفاطمي أبو تميم 123 - 124 - 126

127 - 130 - 132 إلى 140

المعيز بن فضالة 156

معاد بن جبل 50

المغيرة بن شعبة 12

مغراوة ريخ 169

أبو معروف 90 - 157 - 158

مليلة (قبيلة) 39

منداس 44

المنصور أبو جعفر 26 - 31 - 37 - 39

مهدي الويفي 58 - 60 - 61 - 62 - 64

أبو عمران موسى بن زكرياء 159 - 168

ميمون بن عبد الوهاب 43 - 56

- ن -

أصحاب النخيلة 74

نزار بن أبي تميم المعز 142

نفاث بن نصر 112

نغراوة 90 - 91 - 150

أبو زكرياء فضيل 139 - 157 إلى 163

164 - 166 - 165

الفضل ابن أبي يزيد 102

- ك -

كتامة 92

كسرى انوشروان 13 - 14 - 15

- ل -

لماية 185 - 192 - 193

لواتة 17 - 31

- م -

المتوكل العباسي 87

أبو المتوكل 49

محبوب بن الرحيل 70

محبوب بن أبي عبد الله 187 - 188

أبو عبد الله محمد بن بكر 153 - 159

166 - 167 - 168 - 169 - 170 - 174

183 - 184 - 186 - 187 - 188 - 191

أبو محمد الجربى 162 - 163

الامام محمد بن أفلح 82 - 83

أبو عبد الله محمد بن سودرين 193

أبو عبد الله محمد السيراتي 186

محمد بن عيسى الهواري 184

محمد بن الاشعث 31 إلى 35

محمد بن يوسف 44

محمد بن يانس 58 - 59 - 61 - 62

مخلد بن المعرد 49

المختار بن عوف 186

- و -

وحنين بن وريغول 145 - 146 - 147

ورفجومة 26 - 27

الواصلية 45 - 57 - 59 - 183

وإرسفلاس بن محمد 185

بنو وسيان 97

أبو الخطاب وسيل 109 إلى 115

أبو محمد ويسلان 126 - 127 - 191

192

بنو ويليل 170

- ي -

يحيى بن يحيى 114

يحيى بن يونس السدرى 157

أبو زكرياء يحيى 48 - 106

يزيد بن حاتم الأزدي 39

يزيد بن فندين 46 - 47 - 48 - 49

50 إلى 56

أبو القاسم يزيد بن مخلد 101 - 109

110 - 111 - 119 إلى 123 - 125 - 126

أبو يزيد (صاحب الحمار) 96 إلى 102

بنو يراسين 86 - 185 - 191

